طفل روزماري

ROSEMARY'S BABY

رواية مفزعة، دشنت بداية عصر روايات الرعب الأمريكية
ديفيد برينجل

رواية

آيرا لَفين

ترجمة: شيرين هنائي

لتحويلك إلى الجروب أضغط هنا

لتحويلك إلى الموقع أضغط هنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

طفل روزماري

رواية

آيرا لَفين

ترجمة: شيرين هنائي

الرواق للنشر والتوزيع

إهداء المترجمة

إلى جِنيَّة الأسنان

ريندا الوكيل

مقدمة المترجمة

سمعتُ عن رواية «طفل روزماري»، من خلال ذكر الكاتب الدكتور أحمد خالد توفيق لها في سياق بعض كتاباته الروائية. وكان فيلم «طفل روزماري» للمخرج الشهير رومان بولانسكي لم يُعرض على الشاشات المصرية، ولم أره مطلقًا يذاع على شاشات قنوات الأفلام الشهيرة ـ حسب علمي. كل هذا التعتيم أثار فضولي للغاية تجاه تلك الرواية تحديدا.

بعد قرائتها، وجدت أسبابًا تمنع انتشارها، تخص محاذير دينية معينة، لكنني لم أفهم سر التعتيم، خاصة وأن أفكارا مشابهة قد تم طرحها في أعمال روائية وسينيمائية أخرى.

الأغرب أنني لم أقرأ ترجمة عربية لها، وشعرت أن ثمة شيئا غامضًا يتعلق بتلك الرواية، ولم أفهمه حتى هذه اللحظة.

أتمنى أن تروق الترجمة للقاريء العربيّ، وقد حاولت قدر المُستطاع نقل التعبيرات الأمريكية ـ خفيفة الظل ـ إلى أقرب معنى لها في العربية.

كذلك حاولت تقليل الهوامش قدر المستطاع، لكن المجتمع والثقافة الأمريكيين لهما خصوصية، وقد أحببتُ أن أُبقي علَى ما كتبه لَفين وعلَى النكهة المميزة للنص. فشرحت ـ باختصار ـ ما سيهم القاريء في الأحداث، وتركت الباقي لبحثه الخاص.

الرواية ثرية للغاية، شخصياتها حية تكاد تراها وتلمسها. وهي خير مثال علَى الرواية السينمائية.

للرواية نهاية مفتوحة مثيرة للجدل والتفكير، لكن «آيرا لَفين» قرر أن يستكملها في عام ١٩٩٧ بروايةٍ تعتبر تَتِمة للأحداث المُعلقة. وسأترجم رواية «ابن روزماري» لتتاح للقاريء في أقرب وقت.

الفصل الأول

وقَّعت روزماري وزوجها جاي وودهاوس عقد اتفاق لإيجار شقةٍ مكونة من خمس غرف، تقع في مبنى أبيض حاد التصميم عند أول طريق فيرست آفينو. قبل أن يصل إليهما نبأ من امرأة تُدعى السيدة كورتيز أن شقة ذات أربع غرف قد صارت متاحةٌ للإيجار في مبنى برامفورد العتيق، المظلم. كان مبنى مكتظًّا بالشقق ذات الأسقف الشاهقة، مرتفعة الإيجار، بسبب التفاصيل المنمقة والمدافيء التي توحي بطابع فيكتوريٍّ مَلكيٍّ. وقد سجلت روزماري وجاي اسميهما في قائمة انتظار إتاحة شقة في برامفورد عند زواجهما، وقد كادا أن ييأسا.

نقل جاي الخبرَ الذي طال انتظاره لروزماري، وهو يكتم صوته ضاغطًا سماعة الهاتف علَى صدره. شهقت روزماري، وبدت كأنها ستبكي:

ـ إلهي!

قال جاي لمن يحدثه عبر الهاتف:

ـ للأسف قد وقّعنا عقدا لإيجار مكان آخر أمس.

أمسكت روزماري ذراع جاي، وهمست له:

ـ ألا نستطيع إلغاءه؟ جِدْ مخرجًا، قُلْ لهم شيئا!

ـ رجاء، انتظري دقيقة، سيدة كورتيز.

ضغط جاي السماعة علَى صدره مرَّة أخرى، وقال لروزماري:

ـ أي شيء أقول؟!

ـ أي شيء، قُل الحقيقة. لقد أتيح لنا السكن في برامفورد أخيرًا!

قال جاي برفق:

ـ عزيزتي، لن يهتموا بهذا الكلام.

ـ سوف تجد حلا، أرجوك يا جاي، أخبرها أننا سنلقي نظرة، لا ترفض عرضها. أرجوك. قبل أن تنهي المكالمة قل لها أننا سنلقي نظرة.

ضحك جاي، ثم وضع سماعة الهاتف علَى أذنه، وقال:

ـ سيدة كورتيز؟ أعتقد أن لدينا فرصة لإلغاء الاتفاق الذي وقعناه أمس، لأننا لم نوقع العقد الرسميّ بعد. لم يكن متاحًا عندهم عقود جاهزة، فوقعنا على اتفاق لا أكثر. هل يمكننا إلقاء نظرة على الشقة التي تهاتفيني بشأنها؟

أوضحت السيدة كورتيز طريقة الوصول إلى الشقة؛ فيجب عليهما الوصول إلى مبنى برامفورد ما بين الساعة الحادية عشرة، والحادية عشرة والنصف. ثم يسألا عن السيد ميكلاس أو جيروم، ويخبرا من

يجداه منهما أنهما الزوجان اللذانِ أرسلَتهما لرؤية الشقة رقم ٧-ج. ثم يتصلوا بها على الرقم التي أعطته لجاي.

* * *

ارتدت روزماري الجوربين القصيرين، ثم وضعت قدميها في حذائها الأصفر، وقالت:

ـ أرأيت كيف يمكنك اختلاق الأعذار؟ أنت كذاب ماهر!

حدق جاي في المرآة، وهو يتحسس كتفه:

ـ سحقًا.. دُمِّل!

ـ لا تضغط عليه.

ـ لكن الشقة مكونة من أربع غرف فقط، دون حجرة للأطفال.

ـ أنا أفضل أن أحظى بأربع غرف في برامفورد على أن أحصل علَى طابق كامل في.. في ذلك المبنى الأبيض الباهت.

ـ المبنى الباهت كان يعجبك أمس.

ـ أعجبني، لكنني لم أحبه قط. أراهن علَى أن المهندس الذي صممه لم يُحبه! سوف نخصص مكانًا لتناول الطعام في حجرة المعيشة، فنحصل علَى حجرة إضافية؛ لتكون حجرةً للأطفال. عندما..أو.. لو أردنا...

راح جاي يمرر ماكينة الحلاقة الكهربائية فوق شفته العليا، وهو يقول:

ـ قريبًا.

نظرت روزماري في المرآة إلى عينيه البنيتين الكبيرتين، مُحَاوِلة تبين

نيته بخصوص إنجاب الأطفال. ثم ارتدت فستانها الأصفر واغلقت السَّحاب.

كانا في حجرة جاي، التي كان يسكن فيها أيام عزوبيته، واقفين بين حوائطها التي تحمل لوحات دعائية لباريس، وفيرونا. وكانت الحجرة تحوي سريرًا كبيرًا، ومطبخًا صغيرًا.

وكان اليوم هو الثلاثاء، الثالثُ من أغسطس.

* * *

كان السيدُ ميكلاس أنيقا، ضئيل الحجم. تنقصُ من كفيه الاثنين بضعة أصابع، مما يجعل مصافحته أمرا محرجًا، لكنه لم يكن يشعر بالحرج على أيِّ حال.

قال السيدُ مِيكلاس، وهو يضغط زر استدعاء المصعد بأصبعه الأوسط:

ـ أنت ممثل؟! لطالما عاش ممثلون كثيرون في هذا المبنى.

أحصى أربعة أسماء، كلهم من المشاهير. ثم سأل جاي، في حماس:

ـ هل ظهرتَ في عرض ما مؤخرًا؟

ـ لقد مثلتُ في مسرحية هاملت منذ مدةٍ، ثم كان عرض الـ..

قاطعته روزماري، ضاحكة:

ـ هو فقط يمزح. لقد مثَّل في مسرحية لوثر وعدد هائل من المسلسلات والإعلانات.

قال ميكلاس:

ـ وها هنا يكمُن المكسب، في الإعلانات، أليس كذلك؟

أومأت روزماري برأسها موافقة، فأضاف جاي:

ـ بالطبع، وكذلك الإثارة الفنية.

نظرت روزماري لجاي في توسُّل، فرد عليها بتعبير وجه بريء، انقلب إلى تعبير متوحش شَبِق، من خلف رأس السيد ميكلاس.

وصلَ المصعد المبطنُ بخشب البلوط والنحاس اللامع، وكان بداخله العامل المختص بتشغيله، وهو شابٌ أسمر يرتدي زيًّا موحدًا. قال له ميكلاس:

ـ الطابق السابع.

ثم أردف موجها كلامه لجاي وروزماري:

ـ الشقة بها أربع غرف، وحمامان. في الأصل كان المبنى يتألف من شقق ضخمة، أصغرها مكون من تسع غرف، قد تم تقسيمهم إلى شقق مختلفة المساحات، مكونة من أربع أو خمس أو ست غرف. شقتكم هي الجزء الخلفيّ من شقة كانت في الأصل مكونة من عشر غرف، وفيها المطبخ الأصليّ والحمام الرئيسيّ. الشقة شديدة الاتساع كما سوف ترون. تم تحويل حجرة المعيشة في الشقة الأصلية إلى حجرة نوم رئيسية في هذه الشقة. وكذلك تم ضم حجرتي الخدم إلى بعضهما ليمثلا حجرة الطعام أو حجرة نوم إضافية. هل لديكما أطفال؟

ردت روزماري على سؤاله:

ـ نخطط لذلك.

ـ ستكون تلك الحجرة إذًا مثالية كحجرة أطفال، بحمام خاص

وخزانة كبيرة. كل شيء في الشقة يناسب زوجين شابين مثلكما.

توقف المصعد، فأعاد الشاب الأسمر الباسم تشغيله مرَّة أخرى لينتقل إلى الأعلى والأسفل عدة مرَّات؛ حتى يتوازى جيدا مع الطابق الذي يريدونه. وبالابتسامة نفسها، فتح الشاب البوابة النحاسية الداخلية ثم الباب الخارجي. تنحى السيد ميكلاس جانبا؛ كي يخرج جاي وروزماري إلى ممرٍ شحيح الإضاءة، مفروش بالسجاد الأخضر.

كان أمامهما فور خروجهما من المصعد، باب شقة مزخرف مدهون بالأخضر، ويحمل رقم ٧- ب عليه، يتوسطه عينٌ سحرية نحاسية.

قادهما السيد ميكلاس عبر الممرات يمينا، ثم يسارا. تبعته روزماري وزوجها، يلاحظانِ المواضع البالية من ورق الحائط ذي الزوايا المبرومة المتسخة، ولاحظا المصباح المعطل، والرقعة ذات اللون الأخضر الفاتح على السجاد الأخضر الغامق.

نظر جاي لروزماري نظرة تحمل معني «سجادة مُرقَّعة؟!». أبعدت عينيها عن الرقعة، وابتسمت ابتسامة تعني: «أنا أحب كل شيء هنا.»

قال السيد ميكلاس دون أن ينظر إليهما خلفه:

ـ الساكنة السابقة، السيدة جاردينيا، قد تُوفيت منذ أيام، ولم يتم نقل أغراضها من الشقة بعد. طلب منِّي ابنُها أن أبلغَ من سيؤجر الشقة من بعدها أن السجاد، ومكيفات الهواء، وبعض قطع الأثاث معروضة للبيع.

انعطف السيد ميكلاس إلى رواق آخر، حوائطه مكسوة بورق حائط مخطط بالذهبيّ والأخضر، ويبدو جديدا. سألته روزماري:

ـ هل تُوفيَت في الشقة؟

ـ لا، في المستشفى. دخلَت في غيبوبة لعدة أسابيع. لقد كانت مُسنة وتُوفيت حتى قبل أن تفيق. أتمنى أن أموت مثلها عندما يحين وقتي. كانت سيدة مَرِحة تتمتع بصحة جيدة، تطبخ طعامها وتتسوق بنفسها. كانت من أفضل المحاميات في نيويورك.

وصلوا أخيرًا إلى بئر السلم الذي ينتهي عنده الرواق، وكان مُتاخِمًا له الباب الذي يحمل رقم ٧-ج. وكان بابًا ضيقًا، خاليًا من زخارف الأكاليل، على عكس كل الأبواب التي مروا بها في الأروقة.

أشار السيد ميكلاس إلى زر الجرس المنقوش فوقه، علَى لوحة من البلاستيك سوداء، اسم السيدة جاردينيا بخط أبيض منمق. ثم دفع بالمفتاح إلى القفل وأداره بالرغم من الأصابع المفقودة في كفه، ودفع الباب.

ـ تفضلا..

كان الباب مفتوحًا على امتداد ذراعه، وقد مال أمامًا على أطراف أصابعه.

* * *

كانت حجرات الشقة الأربعة مقسمة؛ اثنتانِ على كل جانب من جانبي الصالة الرئيسية، والممتدة في خط مستقيم من الباب. الغرفة الأولى من اليمين هي المطبخ. حاولت روزماري حبس ضحكتها عند مرآهُ، فقد كان المطبخ أكبر من الشقة التي يسكنان بها. في المطبخ موقدٌ ذو ست أعين، وفُرْنَانِ. كذلك براد عتيق ضخم كالماموث، وحوض

غسيل أثريّ. على حوائطه تتراص عشرات الخزائن، تتوسطهم نافذة تطل على الشارع. في منتصف المطبخ، تقف طاولة السيدة جاريدينا المصنوعة من الكروم وسط المقاعد، تعلوها أعداد من مجلة فورتشن وميوزيكال أميريكا. كان المكان صالحًا كي تضع فيه روزماري ركنُ الإفطار الذي قصت تصميمه من مجلة هاوس بيوتيفول الشهر الماضي.

في قُبالة المطبخ، تقع حجرة الطعام، أو الحجرة الإضافية، والتي كانت تستخدمها السيدة جاريدينا، كما هو واضح، كمكتب وصوبة نباتات.

على أرففٍ خشبيةٍ مُعلقة، تناثرت عشرات النباتات الجافة والميتة، تحت صفٍ من المصابيح غير المضاءة. وفي وسط أرفف النباتات، يقبع مكتب، متناثرٌ عليه أوراقٌ وكُتُب. كان مكتبا فاخرًا، لامعًا، يتلألأ بأثر السنين. تركت روزماري السيد ميكلاس وجاي عند الباب، وتوجهت إلى المكتب، تخطو فوق سعفٍ جاف ملقى على الأرض. مكاتب كهذه لا يمكن أن يراها المرء إلا في واجهات عرض متاجر التُّحف.

مررت روزماري كفها علَى الخشب والنقوش، وتساءلت إن كان المكتبُ من ضمن الأغراض المعروضة للبيع. رأت روزماري كتابةً منمقة باللون البنفسجيّ علَى ورقة. «لقد كان هذا أكثر من مجرد تسلية مثيرة. لا أستطيع أن أتمالك نفسي...». ضبطت روزماري نفسها تتلصص، فالتفتت إلى السيد ميكلاس، وسألت:

ـ هل هذا المكتب من ضمن الأغراض التي يريد ابن السيدة جاردينا بيعها؟

ـ لا أعرف، لكن يمكنني سؤاله عنه.

قال جاي منبهرًا:

ـ المكتب تحفة فنية.

دارت روزماري بعينيها حول الحجرة، وهتفت باسمة:

ـ أليس كذلك؟

كانت الحجرة تلائم تمامًا حجرة الأطفال التي طالما تخيلتها بالرغم من كونها مظلمة بعض الشيء، فالنافذة الوحيدة بها تطل على باحة ضيقة. لكن لو تم تركيب ورق حائط بلونيها المفضلين: الأبيض والأصفر، سيشرق المكان بشكلٍ هائل.

كان الحمام المرفق صغيرا، لكنه بمثابة إضافة لطيفة للحجرة. وكانت تحوي الخزانة المفتوحة بعض البذور والشتلات الأفضل حالا. استداروا نحو الباب فسأل جاي:

ـ ما كل تلك النباتات؟

قالت روزماري:

ـ أغلبها مجرد أعشاب. يمكنك أن ترى هناك نعناع وريحان، لكنني لا أعرف كُنه النباتات الأخرى.

تلا تلك الحجرتين خزانة ضيوف إضافية، ثم إلى اليمين ممر يفضي إلى حجرة المعيشة الضخمة ذات النوافذ الكبيرة العالية. نافذتانِ منهم ذواتا زجاجٍ محفور كالألماس، الطرف السفليُّ منهما مخصص كمجالس خشبية لمشاهدة الشارع. في صدر الحجرة مدفأة ذات إطار رخاميٍّ أبيض، على يسارها مكتبة من خشب البلوط.

أمسكت روزماري كف جاي، وأطبقت عليها، قائلة:

ـ جاي!

ـ إمم..

كان ردُّه مُلتبسًا، لكنه ضغط علَى كفها، وكان السيد ميكلاس واقفًا إلى جواره. قال:

ـ المدفأة تعمل بالطبع.

غرفة النوم من خلفهم مُرضية كمساحة، ونوافذها مواجهة للباحة الضيقة ذاتها، التي يطل عليها المكتب. قالت روزماري بعد أن شاهدت الحمام الرئيسي:

ـ شقة رائعة!

دارت روزماري في أرجاء حجرة المعيشة فاردةً ذراعيها، كأنها تحاول أن تعانق المكان.

ـ أنا أحبها!

قال جاي، محدثًا السيد ميكلاس:

ـ ما تفعله هي لن يساعدني في التفاوض على تقليل الإيجار!

ابتسم السيدُ ميكلاس، وقال:

ـ لربما نزيد الإيجار لو كان بوسعنا زيادته. القانون يمنعنا من زيادة الإيجار أكثر من خمسة عشر بالمائة من إيجار الساكن السابق. أعني أن شقق كهذه، بذلك التفرد والسحر، نادرة كأسنان الدجاج هذه الأيام.

مال السيد ميكلاس على المرآة المحاطة بإطار من خشب الماهوجني عند المدخل، وأضاف:

ـ للشقة خمس خزائن كالغرف. اثنتانِ في حجرة النوم، واحدة في حجرة النوم الإضافية، وواحدة في الصالة، فأين الخامسة؟ تعال وانظر.

اقترب جاي من المرآة، ونظر إلى حيث يشير السيد ميكلاس، وقال ذاهلا:

ـ أستطيع ان أرى أطراف زوايا باب، هذه هي الخامسة!

أشارت روزماري إلى موضع باهت على الحائط قرب حجرة النوم، وهتفت:

ـ لقد غيرت السيدة جاردينيا موضع المرآة، فقد كانت هناك على ذلك الحائط.

تحت موضع المرآة القديم، كان ثمة أثر لأربعة قوائم، هي قوائم المنضدة ذاتها، المرفقة بالمرآة، والتي خلَّف نقلها أثرَ جرٍّ واضح في السجاد الأحمر.

قال السيد ميكلاس لجاي:

ـ هلا ساعدتني.

دفع الرجلانِ ببطء المرآة والمنضدة المرفقة بها إلى حيث موضعها الأصلي. صاح جاي وهو يجاهد؛ كي يتنفس:

ـ لن أتعجب إن كان جَر هذا الشيء هو سبب غيبوبتها!

قال السيد ميكلاس منقطع الأنفاس:

ـ ما كانت تستطيع جرها بنفسها، فقد كانت في التاسعة والثمانين من العمر.

حدقت روزماري في باب الخزانة التي انكشف لهم وسألت:

ـ هل نفتحه؟ أم علينا أن ننتظر ابنها؟

لائمت الآثار الأربع على البساط، القوائم الأربع الخاصة بمنضدة المرآة. فرك السيد ميكلاس كفيه، ناقصتي الأصابع، وقال:

ـ أنا مفوضٌ لعرض الشقة.

توجه نحو الباب وفتحه، كانت الخزانة خالية إلا من مكنسة كهربية، وأربعة أرفف خشبية في ركن منها، أما الرف العلوي فكان مكدسًا بمناشف الحمام الخضراء والزرقاء. قال جاي، مازحا:

ـ أيًّا من كانت تحتجزه في الداخل، فقد هرب!

قال السيد ميكلاس:

ـ ربما لم تحتج إلى خمس خزائن.

تساءلت روزماري، في حيرة:

ـ لكن لم أخفت بابًا وراءه مكنسة كهربية ومناشف؟

ضحك السيد ميكلاس، وهتف:

ـ لن نعرفَ أبدًا. ربما أصيبت بخرف الشيخوخة قُبيل النهاية.

* * *

شكرا السيد ميكلاس، وانصرفا ماشيين ببطء على الرصيف. قالت روزماري، وهي تحاول أن يبدو اختيارها للشقة عمليًا:

ـ الشقة أرخص من الشقق الأخرى المماثلة.

ـ لكنها أصغر بحجرة عن الشقق الأخرى يا عزيزتي.

سارت روزماري صامتةً لبرهة، ثم قالت:

ـ موقعها أفضل..

ـ فعلا، يمكنني الذهاب إلى كل المسارح مشيًا!

تخطت روزماري التعقل والعملية، وصاحت:

ـ لنأخذها، لو سمحت، لو سمحت! إنها شقة رائعة ولم تكن السيدة جاردينا تُحسن استغلالها. حجرة المعيشة يمكن أن تكون أكثر دفئًا وجمالا و.. جاي! لنأخذها لو سمحت، اتفقنا؟

ابتسم جاي، وقال:

ـ حسنا. فقط لو وجدنا طريقة للتملص من عقد الشقة الذي وقعناه أمس.

أمسكت روزماري كوع جاي في سعادة، وهتفت:

ـ سنرى، يمكنك التحجج بأي شيء، أنا أثق في قدراتك!

* * *

اتصل جاي بالسيدة كورتيز من كابينة هاتف عمومي زجاجية، بينما وقفت روزماري في الخارج تحاول أن تقرأ شفتيه. قالت له السيدة كورتيز أنها ستُمهلهما حتى الساعة الثالثة، لو لم يتصلا بها للتأكيد، فستعرض الشقة علَى من يليهما في قائمة الانتظار.

ذهبا إلى مقهى وطلبا شرابًا وشطائر سلاطة الدجاج في خبز أسمر. قالت روزماري:

ـ يمكنك أن تخبرهم أنني مريضة وسأذهب إلى المستشفى.

لم يكن هذا عذرًا مقبولا أو مقنعًا، فاختلق جاي كذبة عن رحلة عمل له تقتضي السفر مدة أربعة أشهر للالتحاق بفريق عمل مسرحية، كُسرت ساق الممثل الرئيسي فيها. بينما زوجته ستضطر إلى الانتقال للعيش مع والديها في أوكلاهوما. كانت كذبة طويلة تزداد تفاصيلها في عقله مع الوقت، وكان عنها راضيًا. قام جاي بحثًا عن هاتف، بينما جلست روزماري تحتسي مشروبها، وراحت تفكر في الشقة التي لا تحبها، وتعدِّدُ مزاياها في حال فشلهم في التملص منها. ففيها مطبخ جديد لامع، وغسالة أطباق، وإطلالة على إيست ريفير، وتكييف مركزيّ.

أحضرت النادلة الشطائر.

مرت سيدة حامل ترتدي فستانا أزرق، فتابعتها روزماري. يبدو أنها في شهرها السادسِ أو السابع، وكانت تتحدث إلى سيدة مُسنَّة تحملُ أغراضًا، لابد وأنها أمها.

من الجهة المقابلة، لوحت شابة حمراء الشعر لروزماري، وكانت هي الموظفة الجديدة التي أتت قبل ترك روزماري لوظيفتها بأسبوع.

قالت الشابة شيئًا فلم تسمعها روزماري، كررت ما قالت فلم تفهم.

ثم عاد جاي، طويلا ووسيما، وعينيه تلمعان بالانتصار. سألته روزماري وهو يجلس على المقعد المقابل لها:

ـ ماذا حدث؟

ـ لقد تم إلغاء الاتفاق، وسنسترد المقدم الذي دفعناه. تنتظرنا السيدة كورتيز في الساعة الثانية.

ـ هل اتصلت بها؟

ـ نعم، اتصلتُ بها.

كانت الشابة حمراء الشعر تقف ملاصقة لهما فجأة وهي تقول:

ـ كنتُ أقول لك إن الزواج يليق بك. تبدين رائعة!

حاولت أن تتذكر روزماري اسم الشابة بلا جدوى، ثم ضحكت قائلة:

ـ شكرًا لك. نحن نحتفل، لقد حصلنا على شقة في مبنى برامفورد!

ـ برامفورد؟! أنا مهووسة به. إن فكرتِ يومًا في التخلي عن الشقة أخبريني أولًا، لا تنسِي. كل تلك التماثيل العجيبة الملتفة حول واجهة المبنى. أنا مغرمةٌ بها!

الفصل الثاني

وللمفاجأة، حاول هاتش أن يثنيهما عن إيجار شقة برامفورد، متعللًا بكونها «منطقة خطرة».

عندما أتت روزماري إلى نيويورك في يونيو ١٩٦٢، سكنت مع فتاتين من أوماها، وفتاتين من أتلانتا في شقة تطل على جنوب طريق ليكسنجتون. وكان هاتش يسكن في الشقة المجاورة. تم الاعتراف به كبديل للأب لدى الفتيات الأربع، إلا إنه قد ربَّى ابنتيه وكان ذلك كافيا بالنسبة له.

وقد كان متاحًا ـ دومًا ـ في الطواريء التي يواجهونها، مثل ليلة حبس واحدة منهن داخل مخرج الحريق، ويوم أن كادت تختنق جين حتى الموت.

كان يُدعى إدوارد هاتشِنز، وكان إنجليزيًا يبلغ من العمر أربعا وخمسين عاما.

كتب هاتش ثلاث سلاسل روائية تحت أسماء مستعارة، وكلها مغامرات موجهة للصبية.

كان يمنح روزماري نوعًا مختلفًا من المساعدة، فقد كانت أصغر إخوتها الستة، وكلهم قد تزوجوا بالقرب من آبائهم. تركت روزماري خلفها في أوماها أبًا غاضبًا مرتابًا، وأمًّا صامتة، وأخوة متنمرين. إلا أخًا منهم، يعاني إدمان الخمر. قال لها: اذهبي يا روزي، وافعلي ما شئتِ. وأعطاها كيسًا بلاستيكيًّا، فيه خمسة وثمانون دولارا.

في نيويورك، شعرت روزماري بتأنيب الضمير وبكونها أنانية، وقد كانت تلك هي حال الطواريء التي ساعدها هاتش في الخلاص منها. كان يزودها بالشاي، وبالحديث عن العائلة والأطفال، وواجب المرء نحو نفسه. سألته روزماري أسئلة كانت محرمة في مدرستها الثانوية الكاثوليكية، فأرسلها إلى دروس ليلية في علم الفلسفة. كان يقول لها: سأصنع من تلك الزهرة الخجلة دوقة.

الآن، يتناول جاي وروزماري غداءهما مع هاتش مرَّة كل شهر تقريبًا، سواء في شقتهم أو في مطعم من اختياره لو كان دوره في دعوتهما. يرى جاي أن هاتش مملا نوعًا ما، لكنه ـ دائما ـ يحرص على معاملته بودٍّ. كانت زوجته ابنة عم لتيرينس راتيجان، كاتب المسرحيات، لذا كان من الأفضل الحفاظ على علاقته به.

يوم الثلاثاء التالي لمشاهدتهما الشقة، تناولت روزماري وجاي الغداءَ مع هاتش في مطعم ألماني صغير، وكانا قد أعطيا السيدة كورتيز اسم هاتش كضامنٍ لهما في عقد الإيجار، وقد تم التواصل معه بهذا الشأن ووافق على ضمانهما.

ـ كنتُ أغالبُ رغبة ملحة في ذكر أنكما مدمنا مخدرات، أو أي شيء مما يتسبب في رفض مديري إيجار الشقق إعطاؤكما المكان للإيجار.

تساءلت روزماري عن السبب في تلك الرغبة، فأردف هاتش:

ـ لا أعرف إن كنتما تعلمان، لكن مبنى برامفورد سمعته سيئة بسبب ما حدث فيه في مطلع هذا القرن.

نظر هاتش لهما وهو يفرد الزبد على الخبز، وأدرك أنهما لم يسمعا من قبل عن تلك الحوادث.

كان هاتش ذا عينين زرقاوين ثاقبتين، ووجه مشرق، تعلوه خصلات من الشعر الأسود الذي يصففه بشكل يداري صلعته. قال هاتش:

ـ بالإضافة إلى النجوم أمثال: إيزادورا دُنكانز، وثيودور درايزرس، استضاف مبنى برامفورد عددا كبيرا من الشخصيات الأقل شهرة. فقد سكن فيه الأختانِ ترنش، اللتان كانتا تقومان بتجاربهما الغذائية فيه، وحيث كانت تقام حفلات كيث كينيدي. عاش أيضًا في المبنى آدريان مَركاتو، وبيريل آمِس.

ـ من هاتان الأختان ترينش؟

سأل جاي، وأكملت روزماري:

ـ ومن هو آدريان مَركاتو؟

ـ الأختان ترينش، كانتا سيدتين فيكتوريتين، تمارسان أكل لحوم البشر. لقد طبختا وأكلتا سبعة أطفال، منهم ابن أخ لهما.

ـ رائع!

قالها جاي، فالتفت هاتش إلى روزماري مردفًا:

ـ مارَس أدريان مَركاتو السحر. ذاع صيته في نهاية القرن الماضي

بعد زعمه أنه قد صرع الشيطان ذاته! أظهر للناس حفنة من الشعر وقلامة مخالب فصدقه بعضهم، وتربصوا به وحاولوا قتله في مدخل مبنى برامفورد.

هتفت روزماري:

ـ أنت تمزح!

ـ بالعكس، أنا جادٌّ تماما! بعدها بعدة سنوات، بدأ أمرُ كيث كينيدي، ومع بداية العشرينيات صار نصف المبنى مهجورًا.

قال جاي:

ـ أعرفُ بشأن كينيدي وبيريل آمِس، لكنني لم أعرف قط أن آدريان مَركاتوا عاش هناك.

ارتعدت روزماري، وهي تقول:

ـ وتلك الأختانِ.

قال هاتش في تؤدة:

ـ كانت الحرب العالمية الثانية وأزمة الإسكان هي ما ملأت المبنى من جديد، والآن صار المبنى من ضمن المباني العتيقة التاريخية، وقد اكتسب هيبتها ورونقها. لكن في العشرينيات كانوا يسمونه مبنى برامفورد الأسود، وكان العقلاء من الناس يبتعدون عنه.

وضع النادل المقبلات أمامهم، ونظرت روزماري لجاي متسائلة، فعقد حاجبيه وهز رأسه سريعا بمعنى: «لا تدعيه يخيفك»

انصرف النادلُ، فأكمل هاتش:

ـ عبر السنوات، حصل مبنى برادفورد على أكثر من نصيبه من القبح والمآسي، ولم تكن كل حوادثه في الماضي البعيد. في عام ١٩٥٩ وجدوا رضيعا ملفوفًا في ورق الجرائد في البدروم.

شهقت روزماري، قائلة:

ـ إلهي..لكن.. أمورا كتلك تحدث في كل الأماكن بين الحين والآخر.

ـ بين الحين والآخر. الفكرة في أن أحداث مبنى برامفورد تحدث بكثافة أكثر من «بين الحين والآخر». حوادث الانتحار تزيد في ذلك المبنى عن سواه.

سأل جاي، محاولًا أن يبدو جادا ومهتمًّا:

ـ وما التفسير يا هاتش؟ لابد وأن هناك واحدا.

نظر له هاتش للحظة، ثم قال:

ـ ربما السُّمعة السيئة المرتبطة بالأختين ترينش هي ما جذبت آدريان مَركاتو ببساطة. وبالتالي فيُمكن أن نقول أن سمعة الأخير هي ما جائت بكينيدي، فتحول المبنى تدريجيا إلى مُجتمعٍ للأشخاص ذوي التصرفات الشَّاذة. وربما كان التفسير هو شيء لا نعرفه، شيء ذو صلة بالمجالات المغناطيسية أو الإكترونيات، وماشابه من الأشياء التي تجعل تلك الأماكنُ أكثر خبثًا. لكنني متأكدٌ من أن مبنى برامفورد ذو طبيعة فريدة. كان ثمة منزل في لندن، في شارع بريد، حيث حدثت خمس حوادث قتل، غير ذات صلة ببعضها بعضا، خلال ستين عاما. ولم يكن هناك أي تشابه بين طرق القتل أو بين القاتلين أو بين الضحايا. ومع ذلك، قد حدث في المنزل خمس جرائم قتل. هُدم المنزل عام ١٩٥٤ دون سبب

واضح، وانتهت القصة عند هذا الحد، مبتورة بلا تفسير.

بدأت روزماري في تناول البطيخ أمامها بالمعلقة، وقالت شاردة:

ـ ربما هناك منازل خيِّرة أيضا، يحب الناس فيها بعضهم بعضا ويتزوجون وينجبون الأطفال.

ـ ويصبحون نجوما سينمائيين.

أضاف جاي، فقال هاتش باسمًا:

ـ غالبا ثمة بيوت كهذه، لكنَّ أحدا لم يسمع بها. فكلما فاحت رائحة منزل، صار مشهورًا. أتمنى لو تستطيعان أن تجدا بيتا آخر غير شقة برامفورد.

أوقفت روزماري المعلقة المليئة بالبطيخ في منتصف الطريق إلى فمها وسألته:

ـ هل تحاول أن تثنينا عن إيجار هذه الشقة فعلا؟

ـ فتاتي الحبيبة، لقد كان لدي موعد مع امرأة رائعة، الليلة، وقد ألغيته من أجل أن أناقش معكما هذا الموضوع. أنا بالفعل أحاول أن أقنعكما بالابتعاد عن هذا المبنى.

صاح جاي:

ـ إلهي، هاتش..

قاطعه هاتش:

ـ أنا لا أقول أنه فور دخولكما مبنى برامفورد، فسيتشهم رأساكما ببيانو ساقط من علٍ، أو تأكلكما إحدى العوانس الساكنات فيه، أو

تتحولا إلى حجر. كل ما أريد قوله هو أن تاريخ المبنى المريب يجب أن يوضع جنبًا إلى جنب مع مزاياه وإيجاره المنخفض، والمدفأة الرخامية. المنزل ذو تاريخ طويل من الأحداث المريبة. لمَ تصران على اقتحام منطقة خطرة؟ لو كنتما تتوقان إلى منزل من طراز قديم، فلتبحثا عن شقة في مبنى داكوتا أو مبنى أوزبورن.

قالت روزماري:

ـ لقد صار مبنى داكوتا مبنى تعاونيا لغير القادرين، أما مبنى أوزبورن فقد دخل في قرارات الإزالة.

تساءل جاي:

ـ ألا تُبالغ بعض الشيء يا هاتش؟ هل حدث أي شيء مريب خلال الأعوام القليلة الماضية؟ بخلاف ذاك الطفلُ في البدروم؟

ـ قُتِل عامل مصعد الشتاء الماضي، بطريقة لا يسعني البوح بها على مائدة العشاء. لقد كُنت اليوم في مكتبة جريدة التايمز وقد غصتُ مدة ثلاث ساعات في حجرة المايكروفيلم. هل تريدان سماع المزيد؟

نظرت روزماري إلى جاي، فوضع شوكته وأزاح منشفته جانبًا، قائلًا:

ـ حسنا، الكثير من الأحداث الشنيعة قد وقعت هناك، ولا يعني ذلك أن أحداثا أخرى مماثلة قد تقع. لا أعتقد أن مبنى برامفورد يمثل منطقة خطر أكثر من أي مبنى آخر في المدينة. يمكن أن تقلب عملة فتحصل على نقش الصورة خمس مرَّات متتابعة، ولا يعني هذا أنك لو قلبتها خمس مرَّات أخرى ستحصل على النقش ذاتهِ، ولا يعني كذلك أن العملة مختلفة عن باقي العملات. إنها المصادفة ببساطة!

قالت روزماري بصوت مرتجف:

ـ لو أن ثمة شيئا خبيثا في المبنى، أليس من المفترض أن يهدموه كما فعلوا في ذلك المنزل في لندن؟

ـ منزل لندن كان مملوكًا لعائلة آخر من قُتل فيه، أما مبنى برامفورد فهو مملوك للكنيسة المجاورة.

أشعل جاي سيجارته، وقال منتصرا:

ـ حسنا، لقد حصلنا على حماية إلهية!

ـ لكنها لم تكن ذات تأثير عليه.

رفع النادل أطباقهم، وقالت روزماري:

ـ لم أعرف أن المبنى مملوكٌ لكنيسة.

سألهما هاتش:

ـ هل جربتما البحث في مبنى وايومنج؟ يقعُ في الحي السكني نفسه، كما أتذكر.

ـ هاتش، لقد بحثنا في كل مكان. لم نجد أي مسكن إلا في المباني الحديثة ذات الحجرات المربعة المتماثلة، وكاميرات المراقبة في المصاعد.

ابتسم هاتش ساخرا، وقال:

ـ وهل هذه الأمور بهذا السوء؟

ـ نعم!

ـ لقد كنا اتفقنا على شقة حديثة، لكننا ألغينا الاتفاق من أجل شقة برامفورد.

نظر هاتش إليهما للحظات، ثم غاص في كرسيه مباعدًا بين كفيه، قائلا:

ـ سأهتم بشأني الخاص إذًا كما كان يجب عليَّ من البداية. أنا أحمق، اعذراني. فقط عِديني أن تركّبا مزلاجا، وتستخدما العين السحرية قبل فتح الباب لأي شخص.

ـ بالفعل للباب عدة مزاليج، سأغلقها كلها.

ـ ولا تبدأي في التعرف على الجيران مباشرة، لستِ في آيوا.

ـ أوماها..

ثم جلب النادل طعام العشاء.

* * *

في يوم الإثنين التالي، وقّعت روزماري وزوجها عقد إيجار للشقة رقم ٧-ج مدة عامين في مبنى برامفورد. أعطيا السيدة كورتيز شيكا بمبلغ خمسمائة وثلاثة وثمانين دولارا كإيجار شهرٍ للتأمين. وقيل لهما أن الشقة ستكون جاهزةً للإقامة في أول سبتمبر، بعد إعادة طلائها وإخراج الأغراض القديمة للساكنة السابقة منها.

في نفس يوم توقيعهما للعقد، تلقيا مكالمة هاتفية من مارتِن جاردينيا، ابن السيدة جارينيا، واتفقوا على المقابلة في الشقة، في الساعة الثامنة من مساء يوم الثلاثاء.

كان مارتِن جاردينا رجلا في الستين من العمر، بوجه صبوح وأدب جَمٍّ في التعامل. وأثناء مقابلتهما أشار إلى الأغراض المعروضة للبيع

وأسعارها التي كانت منخفضة بشكلٍ مغرٍ. راحا يتفحصا الأغراض ويتشاوران، ثم اشتريا مُكيفي هواء، وصندوقًا لحفظ مستحضرات التجميل، مصنوعًا من خشب الورد، تعلوه مرآة، ومرفق معه كرسي صغير. اشتريا كذلك البساط الإيراني الموجود في حجرة المعيشة، وعددًا من المُتكئات، وحاجزًا للمدفأة. لكن مكتب السيدة جاردينا لم يكن متاحًا للبيع.

بينما كان يسجلُ جاي ما اشترياه ويكتب الشيكات بأثمانها، راحت روزماري تقيسُ أبعاد غرفة المعيشة وغرفة النوم، بمسطرة طويلة قابلة للطي، اشترتها في صباح ذلك اليوم.

في شهر مارس الماضي، لعب جاي دورا في مسلسل «عالم آخر» الذي يُذاع في الصباح، وقد عاد الدور الذي مثله للظهور مجددا في حلقات الموسم الجديد، لذا فسيكون جاي مشغولا مدة ثلاثة أيام تالية وحتى نهاية الإسبوع.

بدأت روزماري في غربلة ملفٍ كانت تجمع فيه صورا لأفكار تزيين المنازل منذ أن كانت مراهقة، لتنتقي منه ما يليق مع الشقة الجديدة. وأوحت إليها تلك القصاصات بشراء قطع أثاث تناسبها، فخرجت مع رفيقة غرفتها القديمة، جوان جيليكو، التي تمتلك معرفة بأماكن شراء الأثاث بأسعار معقولة.

كتبت روزماري ملاحظاتها، ورسمت تخطيطات؛ لتناقشها مع جاي لاحقًا، ثم عادت إلى المنزل محملة بقصاصات ورق الحائط والأقمشة، لتتحين وقت فراغ زوجها ليختار معها ما يناسبهما. كما اضطرت ـ في سعادة ـ لإلغاء ورشة تعليم النحت، ومواعيد طبيب الأسنان؛ كي تتفرغ لتلك المهام.

في مساء الجمعة، صارت الشقة ملكهما. مُتسعٌ من الحوائط الشاهقة، والظلام غير المألوف.

قاما بتشغيل مُكيف الهواء، وجلسا أرضًا على البساط أمام المدفأة، راضيين عن كل ما اشترياه من أغراض المالكة القديمة، سعيدين بكل ركن في الشقة.

وكأنهما في نزهة خلوية، أكلا عشاءهما، المكون من شطائر التونة والبيرة على البساط. وبدئا بعد ذلك في تخطيط الحجرات الأربع.

ثم على مكانهما فوق البساط، أطفئا النور، وخلعا ملابسهما، ومارسا الحب على الضوء القادم من النوافذ.

استلقى جاي على ظهره، ثم اتسعت عيناه فجأة، وهمس:

ـ شش.. أنا أسمع.. أسمع صوت الأختين ترينش تمضغان الأطفال!

ضربته روزماري في كتفه، وهي تضحك.

اشتريا أريكة، وفراشًا كبيرًا، ومنضدة للمطبخ، مع كرسيين خشبيين لها. وجاء النقاشون وطلوا الحوائط حتى أتموا مهامهم تاركين الشقة كما أرادتها روزماري، ورحلوا في يوم الجمعة، العشرين من الشهر الجاري. ثم جاء عامل تركيب ورق الحائط المتذمر، وأنهى عمله في حجرة النوم.

ظهر جاي في إعلان تليفزيوني، كسب من وراءه ثمانية عشر ألف دولار، أنفقا منها على شراء أطقم تقديم الطعام، والفضيات، وغيرها، وتبقى مبلغ معقول في النهاية.

وفي الجمعة، السابع والعشرين من أغسطس، انتهت أعمال صيانة وفرش الشقة، وانتقل الزوجان إليها. أرسلت جوان وديك جيليكو

زهرية زرع، وأرسل وكيل أعمال جاي زهرية أخرى. أرسل هاتش برقية يقول فيها: «سيتحول مبنى برامفورد من مكان قميء إلى مكان مبهج، حين يحمل أحد أبوابه لافتة عليها اسمَي ر. وج. وودهاوس.»

الفصل الثالث

انشغلت روزماري، وغمرتها السعادة. اشترت ستائرَ جديدة وعلَّقتها، ووجدت مصباحًا فيكتوري الطراز يناسبُ حجرة المعيشة.

وفي يوم، اكتشفت أن الألواح الأربع في خزانة الصالة عبارة عن أرفف، فعلَّقتهم على الحائط، وعندما عاد جاي إلى البيت أرَته الخزانة وقد اصطفت فيها المناشفُ والملاءات. تعرَّفت روزماري على المكان المحيط بالمبنى، وعرفت عددًا من المطاعم ومغسلة لغسل قمصان جاي الغالية.

وانشغل جاي كذلك، كأي زوج آخر في مكانه. وبعد انقضاء عطلة يوم العمال، عاد مُدرِّب الصوت الخاص به من إجازته، فواصل جاي تدريباته معه في الصباح، وفي المساء كان يحضرُ تجارب الأداء لترشيح الممثلين للأدوار التليفزيونية والإعلانات.

على الإفطار، ينشغل جاي بمطالعة صفحة المسرح في الجريدة، والتي يبدو أن لا أحد يطالعها سواه، فكانت روزماري تضع قهوته أمامه وتقرأ هي الملحق الآخر للجريدة.

أما غرفة الأطفال، فكانت تبدو كَوَكرٍ، بحوائطها البيضاء وبعض الأثاث القديم. عليها انتظار وصول ورق الحائط المنقوش بالأصفر والأبيض ـ لاحقًا ـ كي تبدو أفضل. كانت روزماري تحتفظ بعينة منه مع قصاصات من مجلات تحملُ تصميمات لمهد ومكتب.

أرسلَت خطابًا لأخيها برايان تُشاركه فيه فرحتها. لن يسعد أحد آخر من العائلة من أجلها سواه، فكلهم قد عادوها لأسبابٍ ثلاث:

١- الزواج من بروستانتي.

٢- الزواج في حفل ذي مراسم مدنية، بعيدا عن الكنيسة.

٣- اختيار زوجٍ، أمُّه قد طُلِّقت مرتانِ، ومتزوجة للمرَّة الثالثة من يهوديٍّ.

طهت روزماري لجاي طبقا راقيا من لحم العجل، وخبزت كعكة وبسكويت بالزبد.

* * *

سمع جاي وروزماري، ميني كاستيفيت قبل أن يرونها، وقد عبر صوتها الجهوري الشبيهُ بالنهيق حائط حجرة نومهما.

ـ رومان، تعال إلى الفراش.. الساعة الآن الحادية عشرة والثُلُث.

ثم سمعا بعد خمس دقائق أخرى:

ـ رومان، اجلب لي بعضًا من بيرة الجذور في عودتك.

قال جاي، باسمًا:

ـ لم أكن أعرف أنهم يصنعون أجزاءً أخرى من أفلام الأم والأب كيتل![1]

ضحكت روزماري في غير ثقة، فبعض خلفيات جاي الفنية غير معروفة لديها وقد كانت أصغر منه بتسعة أعوام، ولم تبدُ سلسلة الأفلام التي ذكرها مألوفة.

قابل جاي وروزماري عائلة جولد، قاطني الشقة ٧- ح، وقد كانا زوجين مسنين لطيفين. وقابلا أيضا عائلة برون، ألمانية الأصل وابنهما والتر، والذين يسكنون في الشقة ٧- ت.

ابتسما حين مرَّا بأفراد عائلة كيلوجز الساكنين في الشقة ٧- خ، والسيد شتاين من الشقة ٧- د. تذكرت روزماري اسم كل شخص قابلوه بدقة، ومكان إقامته، فقد قرأت اللوحات التي تحمل أسماءهم، والمثبتة فوق الأبواب، ولم تشعر بتأنيب ضمير تجاه هذا التلصص البسيط.

لم يجد جاي وروزماري أي أثر لوجود الأختين ترينش في هذا المكان من قبل، أو عن وجود آدريان مَركاتو أو كيث كينيدي، أو بيريل آمِس، أو أيًّا ممَّن كانوا على شاكلتهم.

وكان السكان طبيعيين عدا زوجين من المثليين جنسيا، وهما: دوبين وديفور، ولم يكونا غير طبيعيين بالمعنى الدارج بالطبع.

وفي كل ليلة تقريبًا، يبدأ نهيق السيدة ذات اللكنة الريفية من الشقة المجاورة، والتي اكتشف جاي وروزماري أنها ـ الشقة لا السيدة ـ كانت

---

(1) Pa and Ma Kettle

سلسلة أفلام أمريكية كوميدية، تدور في الريف وأجواء المزارع

الجزء الأمامي الأكبر من شقتهما. صاحت السيدة:

ـ لكن لا يمكنك ان تكونَ متأكدا إلى هذا الحد. ولو أردت رأيي، فلا يتوجب علينا إخبارها مُطلقا. هذا رأيي.

في يوم سبت، أقامت عائلة كاستيفيت حفلًا، استضافوا فيه نحو دستة من الأشخاص الصاخبين. لم يجد جاي صعوبة في النوم على الرغم من الضوضاء، لكن روزماري ظلت مستيقظة لما بعد الثانية صباحًا تستمعُ إلى الغناء النشاز، المُصاحَب بعزف الفلوت أو الكلارينيت[1].

* * *

الوقتُ الوحيد التي تذكرت فيه روزماري مخاوف هاتش، كان اليوم الذي نزلت فيه لبدروم المبنى، حيثُ غسالات الملابس العامة.

كان مصعدُ الخدمات غير مستقِر، يتأرجحُ ويئن، ويُصدر أصواتًا مفاجئة مفزعة تشي باحتمالية سقوطه.

وكان البدروم مكانًا مُخيفًا، حوائط طُرقته مبنية بالقرميد المطلي بالأبيض الشاحب. يمكن للمرء فيه أن يسمع صوت خطواته مع صدى أبواب تُفتح وتُغلق. على جانبي الطُرقة ثلاجات مُهملة مُلقاة تحت مصابيح مُسيَّجة بأقفاص من السلك.

فكرت روزماري في الطفل الذي وجدوه في هذا المكان، مُلقًى، ملفوفا في ورق الجرائد. تُرى طفل من يكون؟ وكيف مات؟ من وجده، وهل تم إلقاءُ القبض على من ألقاه؟

---

(١) آلات عزف تشبه الناي

خطر في بال روزماري أن تذهبَ إلى المكتبة، وتقرأ عن الخبر في الجريدة التي تحدث عنها هاتش. لكن قد يمنح تصرفها هذا الأمر لمسة حقيقية مخيفة. أن تعرف أين وجدوا الطفل تحديدا، وتضطر بعدها إلى العبور من جوار تلك النقطة في ذهابها وإيابها من وإلى المغسلة، لن يكون وضعًا مُحتملا أبدا.

التجاهلُ نعمة..اللعنة علَى هاتش ونواياه الطيبة!

كانت المغسلة لتليق أكثر بسجن، كانت الحوائط مُرصعة بالمزيد من المصابيح الشاحبة خلف أقفاصٍ من السلك. وعدد من الأحواض المزدوجة في ركن من المكان داخل مقصورات من الحديد.

كانت الغسالات والمُجففات العمومية تعمل بالعملات المعدنية، وثمة عدد من الغسالات الخاصة مُغلقة بقفل داخل مقصورات.

تنزلُ روزماري للمغسلة في نهاية الأسبوع، أو بعد الساعة الخامسة. ففي باقي أيام الأسبوع، تجتمع عدد من النساء السمروات، تتحدثن وتغسلن وتكوين الملابس، لكنهن يصمتن فجأة عند دخولها المكان. كانت تشعر بالحرج وتبتسم لهن، وتحاول أن تكون غير مرئية قدر المُستطاع. لكنهن يبقين صامتات، فتشعر بأنها قد ضايقتهن بشكل أو بآخر.

* * *

بعد مُضي أسبوعين على إقامة روزماري وجاي في مبنى برامفورد، كانت روزماري تجلس في المغسلة في الساعة الخامسة والربع، تقرأ مجلة وتنتظر أن تنهي الغسالة غسيلها لتضيف منعم الأقمشة لماء الشطف.

دخلت شابة في مثل عمرها، سوداء الشعر ذات وجه مستدير، وظنتها روزماري لأول وهلة أنها آنا ماريا البيرجاتّي، المطربة الإيطالية الأمريكية الشهيرة. كانت ترتدي حذاءً مكشوفا وبنطالًا قصيرًا أسود، وقميصًا حريريًا بلون الخوخ، وتحمل سلة غسيل بلاستيكية صفراء.

هزت الشابة رأسها لروزماري ولم تحدّثها، ثم توجهت لإحدى الغسالات الشاغرة، وراحت تضع فيها الغسيل.

يبدو أن آنا ماريا البيرجاتي ـ كما تدعوها روزماري في سرها ـ لا تعيشُ في برامفورد، لكن ربما كانت تزور شخصا ما وتساعده في الغسيل.

نظرة مُقربة أخرى وأدركت روزماري أنها لا تشبه آنّا ماريا، فأنفها أطول بكثير، وتعبيرات وجهها مختلفة، فشبيهتها الشهيرة رائعةٌ مُلفتة للأنظار.

اكتشفت روزماري فجأة أن الشابة تحدق فيها، بابتسامة متسائلة مُحرَجة، وهي بعدُ واقفة جوار الغسالة الممتلئة المغلقة.

قالت روزماري في حرج:

ـ أنا آسفة، ظننتكِ آنّا ماريا البيرجاتّي، لذا كنت أحملق فيكِ. معذرة.

اِحْمَرّ وجه الفتاة، ونظرت إلى الأرض مبتسمة. قالت:

ـ يحدثُ هذا الالتباس كثيرا، لا تعتذري. الكثير يظنونني آنّا ماريا منذ كنت طفلة! لكن لا أرى تشابهًا بيننا. أنا من أصل إيطالي مثلها، لكنني لا أرى أي تشابه ظاهري.

ـ بالعكس، هناك تشابه كبير.

ـ أعتقد أنك مُحقة. الكثير يخبرونني بذلك بالرغم من كوني لا أراه.

ـ هل تعرفينها؟

ـ كلا.

ـ الطريقة التي قلت بها آنا ماريا بلا ألقاب...

ـ لا، لا..أنا فقط أقول اسمها بلا ألقاب جراء الحديث عنها كثيرا كلما رآني أحد.

مسحت الشابة كفيها في بنطالها القصير، ثم مدت يدها إلى روزماري قائلة:

ـ أنا تيري جيونُوفريو.. اسم عائلتي صعب فلا تتعبي نفسك في محاولة نطقه.

ابتسمت روزماري وصافحتها، قائلة:

ـ أنا روزماري وودهاوس، نحن السكان الجدد. هل تسكنين هنا منذ زمن؟

ـ لستُ ساكنة على الإطلاق. أنا فقط أقيم مع عائلة كاستيفيت، في الطابق السابع. أنا ضيفتهم.. نوعًا ما.. وأقيم معهم منذ يونيو الماضي. هل تعرفينهم؟

ـ لا، لكن شقتنا كانت الجزء الخلفي من شقتهم.

ـ إلهي..أنت من سكن شقة السيدة....العجوز المتوفاة؟

ـ السيدة جاردينيا..نعم.

ـ كانت صديقة لعائلة كاستيفيت. كانت تهوى زراعة الأعشاب

وكانت تهدي منها للسيدة كاستيفيت؛ كي تستخدمها في الطهي.

ـ بالفعل، عند زيارتنا للشقة في أول مرَّة، كانت ثمة غرفة مليئة بالنباتات.

ـ السيدة كاستيفيت زرعت لنفسها بعض الأعشاب في المطبخ بعد موت السيدة جاردينا.

ـ معذرة..

توجهت روزماري للغسالة التي تستخدمها؛ كي تضع مُنعم الأقمشة. سألتها تيري:

ـ أتعرفين مَنْ تشبهينَ؟

فتحت روزماري زجاجة مُنعم الأقمشة، وسألت:

ـ مَنْ؟

ـ الممثلة بايبر لوري.

ضحكت روزماري، وهتفت:

ـ لا! غريب منك أن تقولي شيئا كهذا، فكان زوجي يواعد بايبر لوري قبل أن نتزوج.

ـ تمزحين! يواعدها في هوليوود؟

صبت روزماري بعض منعم الأقمشة في غطاء الزجاجة، ففتحت لها تيري باب الغسالة.

ـ لا، كان يواعدها هنا، في نيويورك.

ـ زوجك ممثل؟

هزت روزماري رأسها وهي تغلق الزجاجة.

ـ تمزحين! ما اسمه؟

ـ جاي وودهاوس. مثّل في مسرحية لوثر، وغيره من المسلسلات التليفزيونية.

ـ انا أشاهد التلفاز أغلب الوقت، أعتقد أنني رأيته من قبل.

سمعتا صوت تهشم زجاج في البدروم، ربما جراء سقوط لوح زجاج أو كسر في أحد النوافذ. تكورت روزماري على نفسها وهي تنظر في قلق نحو باب المغسلة.

ـ أكره هذا البدروم!

ـ وأنا أيضا، أنا سعيدة لأنك هنا معي. لو كنت وحدي لتجمدتُ من الذعر.

ـ ربما أسقط صبي توصيل البقالة زجاجة أو..

ـ اسمعي، يمكننا النزول إلى هنا سويًا من الآن فصاعدا. باب شقتك جوار مصعد الخدمات، أليس كذلك؟ سأمر عليكِ وننزلُ سويا.

ـ سيكون هذا ممتازًا. أكره النزول إلى هنا وحدي.

ضحكت تيري في سعادة، وبدت كأنما تحاول أن تجد كلمات مناسبة، ثم ضحكت مجددا وهتفت:

ـ لدي تميمة، ربما تجلُب الحظ لكلينا.

جذبت تيري فتحة عنق قمصيها وأخرجت سلسلة فضية، معلقةٌ

فيها كرة قابلة للفتح، قطرها أقل من بوصة. قالت روزماري:

ـ أوه.. جميلة!

ـ أليست كذلك؟ أعطتنيها السيدة كاستيفيت أول أمس. التميمة عمرها ثلثمائة سنة. استنبتت السيدة كاستفيت الشيء بداخلها في صوبة نباتاتها. نبات يجلب الحظ أو المفترض أنه كذلك.

حدّقت روزماري أكثر في التميمة التي تحملها تيري بين السبابة والإبهام، ورأت من بين الفتحات الزخرفية في الكرة مادة إسفنجية بلون أخضر مائل للبني، فاحت منها رائحة نفاذة تراجعت على إثرها روزماري خلفًا.

ضحكت تيري، وقالت:

ـ لستُ مغرمة بالراحة، لكن أتمنى أن يكون للتميمة مفعول.

ـ تميمةٌ رائعة، لم أرَ شيئا كهذا من قبل.

اتكأت تيري على غسالة وراحت تنظر للكرة وتديرها بين أصابعها في إعجاب، وهي تقول:

ـ أصلُها أوروبي.. آل كاستيفيت هم أكثر الناس طيبةً في العالم. فقد أخذوني من على الرصيف حرفيا، فقد تعاطيت المخدرات إلى حد فقداني الوعي في شارع قريب من هنا. جَلباني إلى بيتهما وتبنياني كأب وأم، أو للدقة، كجدٍّ وجدة.

ـ هل كنتِ مريضة؟

ـ مريضة وصف غير دقيق، فقد كنت أتضور جوعا، وغارقة في

مستنقع الإدمان. لقد أنقذاني مما لا أستطيع استرجاعه في ذهني مرَّة أخرى. أعادا ـ السيد والسيدة كاستيفيت ـ تأهيلي، وأخرجاني من إدمان الهيروين. أطعماني وكسياني، ولم أعد أحمل همَّ شيء في وجودهما. ولأنهما لم يُنجبا، فأنا بمثابة ابنة لهما لم يُنجبانها.. أتفهمينني؟

أومأت روزماري إيجابا.

ـ ظننتُ في البداية أن لهما أغراضا أكثر التواء. أغراضا جنسية من نوع ما يريدها منِّي الرجل، أو زوجته. لكنهما بالفعل عاملانني باعتبارهما جدة وجدة. حتى أنهما سيُلحقانني بمدرسة لتعلم إدارة المكاتب، وسأدفع لهما تكاليف تعليمي ـ لاحقًا ـ حين أجد عملا. فأنا لم أكمل تعليمي الثانوي.

أسقطت تيري التميمة إلى داخل فتحة صدر قميصها. قالت روزماري:

ـ لكم هو مُطَمئنٌ أن أسمع عن أناس خيرين بهذا الشكل، في حين نسمع كل يوم عن اللا مبالين والخائفين من التدخل في أي أمور قد يحتاج المرء مساعدتهم فيها.

ـ لا يوجد الكثير من أمثال السيد والسيدة كاستيفت، فلولاهما لكُنت ميتة الآن، أو في السجن.

ـ ألا يوجد أي فرد من عائلتك يهتم لشأنك؟

ـ لدي أخ يعمل في البحرية، كلما قَلّ ما أحكي لك عنه، كان أفضل.

نقلت روزماري غسيلها إلى المجفف، وانتظرت أن تُنهي تيري غسيلها.

تحدثت الشابتان عن جاي، زوج روزماري، وعن دوره في «عالم

جديد». وقد أبدت تيري انبهارا بكون روزماري متزوجة من جاي وودهاوس شخصيًا. كما حكت روزماري عن تاريخ مبنى برامفورد، والتي لم تسمع تيري عنه شيئا من قبل. تحدثتا كذلك عن الزيارة المُقبلة للبابا بولس لنيويورك، فقد كانت تيري كاثوليكية مثل روزماري، لكنها لم تعد متدينة. إلا إنها كانت تتوق إلى الحصول على تذكرة لحضور القداس في ستاد اليانكي.

أنهت تيري غسيلها، فتحركت الشابتان نحو مصعد الخدمات، وصعدتا سويا إلى الطابق السابع.

دَعَت روزماري رفيقتها إلى رؤية الشقة، لكن تيري اعتذرت، فقد اعتاد السيد والسيدة كاستيفيت تناول العشاء في الساعة السادسة، وتكره أن تتأخر عليهما. لكنها أخبرت روزماري أنها ستُهاتفها في المساء؛ ليجلُبا غسيلهما الجاف من المغسلة.

* * *

جلس جاي أمام التلفاز يشاهد فيلمًا لجريس كيلي وهو يتناول المقرمشات من كيس، بينما تحكي له روزماري عما حدث في البدروم اليوم، وعن تَذَكّر تيري لدوره في «عالم جديد» مما أسعده بالرغم من إظهاره عدم الاكتراث. كان جاي مهموما بسبب منافسة غير شريفة بينه وبين ممثل يُدعى دونالد باومجارت، حيث يحاول الأخير أن يأخذ منه دوره في مسرحية جديدة، وكانت محاولاته غير نزيهة. هتف جاي في حنق:

- إلهي، أي نوع من الأسماء هذا؟ دونالد باومجارت؟!

وكان اسم جاي الأصلي «شيرمان بيدِن».

* * *

نزلت روزماري وتيري إلى البدروم في الثامنة مساءً لجلب غسيلهما، ثم عادت تيري مع رفيقتها إلى شقتها؛ كي تراها وتقابل جاي.

انبهرت تيري بجاي، واحْمَرَّ وجهها. كانتْ مُثارة في كل مرَّة يلتفتُ فيها، أو يقربُ منها مطفأة السجائر أو يُشعل الثقاب.

لم ترَ تيري الشقة من قبل، فقد تَخاصم آل كاستيفيت والسيدة جاردينا قبل وصولها بقليل، ثم دخلت السيدة جاريدينا في غيبوبة أدت إلى وفاتها. قالت تيري:

ـ يالها من شقة رائعة.

قالت روزماري باسمة:

ـ ستكون رائعة حقًا عندما نُتم فرشها.

ضرب جاي كفيه ببعضهما، وصاح مشيرا نحو تيري:

ـ تذكرتُ! آنا ماريا البيرجاتّي!

* * *

الفصل الرابع

وصلتهما هديةٌ من هاتش، عبارة عن دلو للثلج من خشب الساج، مبطن بقماش برتقالي. اتصلت روزماري بهاتش فورًا لتشكره. كان هاتش قد رأى الشقة بعد الانتهاء من طلائها، لكنه لم يأت مرَّة أخرى بعد انتقال جاي وروزماري إليها. راحت تحكي له روزماري عبر الهاتف عن مشاكل تأخر توصيل الأثاث، فصاح هاتش:

ـ كفى حديثا تافها، أخبريني كيف حالكما؟ كيف حال سكنكما الجديد؟

حكَت روزماري في سعادة عن تفاصيل كل ما عرفته ومرَّت به في مبنى برامفورد.

ـ الجيران لا يبدون غرباء الأطوار. إلا بعض غرابة الأطوار غير الغريبة! مثل كون اثنين منهم من المثليين جنسيًا، وزوجين على الجهة المقابلة من شقتهما، يربيان سلالات من القطط الفارسية في شقة في بنسلفانيا. يمكننا الحصول على قطة منهما في أي وقت.

ـ ستغرقكما القطة بالشعر المتساقط.

ـ وهناك زوجانِ آخرانِ لم نقابلهما، وهما من ساعدا الفتاة التي قابلتها والتي كانت مدمنة على المخدرات. لقد ألحقَاها بمدرسة أيضًا.

ـ يبدو من حديثك أنكما انتقلتما للعيش في المزرعة السعيدة. أنا سعيدٌ لكما.

ـ البدروم مكان مخيف..ألعنك كلما نزلت إليه.

ـ لم تلعنيني؟!

ـ بسبب حكاياتك.

ـ أتقصدين الحكايات التي أكتبها، أم التي حكيتها لك؟ لومي إذن إنذار الحريق على إنذاره بالحريق، ولومي مكتب الطقس على الإعصار!

أذعنت روزماري، وقالت:

ـ لن يكون تأثير البدروم عليَّ كبيرا الآن. فالفتاة التي ذكرتها تنزل معي دومًا.

ـ لقد تأقلمتِ مع المكان بالشكل الذي توقعته. تمتعي باستخدام دلو الثلج، وأبلغي جاي سلامي.

* * *

ظهر آل كاب الذين يعيشون في الشقة ٧- ث، وقد كانا زوجين في منتصف الثلاثينيات. لهما ابنة فضولية تبلغ من العمر عامين، وتُدعى ليزا. سألت ليزا روزماري، وهي تجلس في عربتها:

ـ ما اسمك؟ هل تناولت بيضتك؟ هل تناولتِ كابتِن كرانش؟

ـ اسمي روزماري، وأجل تناولتُ بيضتي، لكنني لم أسمع من قبل بكابتن كرانش. من يكون؟

* * *

في يوم الجمعة، السابع عشر من سبتمبر، ذهبت روزماري مع جاي إلى عمله، وشهدت نقاشا حادًا حول السماح للممثلين غير الأمريكيين بالحصول على فرص، وتراجعت المناقشة الحادة تحت هجوم من النكات والمزاح الذي امتد لما بعد منتصف الليل.

في طريق عودتهما، سارت روزماري وجاي في المساء الضبابي، حتى إذا اقتربا من مبنى برامفورد، رأياه ككتلة سوداء، تتجمهر تحتها مجموعة من المارين حول سيارة واقفة جوار الرصيف. بينما راحت أضواء سيارتي الشرطة عند المنعطف تدور في المكان.

أسرعت روزماي وجاى الخُطى، وأمسك كل منهما كفَّ الآخر في توتر. توقفت السيارات المارة لتتحقق من كُنه ما يتجمهر حوله الناس، بينما أطل سكان برامفورد والمباني المجاورة من نوافذهم يشاهدون ما يحدث، رؤوسهم تطل من النوافذ جنبًا إلى جنب مع رؤوس تماثيل الكائنات الخرافية والجُرجولات التي تُزين الواجهات العتيقة.

خرج حارس العقار الليليّ: توبي، حاملا غطاءً بُنيًّا، تناوله منه رجال الشرطة سريعا.

كان سقف السيارة تحت المبنى منبعجًا، وقد تهشمت نوافذها. قال أحدهم:

ـ لقد ماتت..

هتف آخر:

ـ كنتُ أنظر للأعلى وأظنها طائرًا عملاقا ما ينقض. نسر مثلا.

وقفت روزماري وجاي على أطراف أصابعهما ليريا ما يتحدث الناس عنه، صاح رجال الشرطة:

ـ تراجعوا..

تفرق الناس وابتعدت الأكتاف المتلاحمة عن بعضها بعضًا. علَى الرصيف كانت تيري راقدة، ترمق السماء بعين واحدة، بينما نصف وجهها الآخر غارق في الدماء. غطى الشرطيان جسدها بالغطاء البني، فتسربت الدماء عبره في لطخة حمراء كبيرة.

رسمت روزماري علامة الصليب، وأبقت عينيها مغلقتين، خشية أن تتقيأ.

أجفل جاي، وسحب شهيقا من بين أسنانه هاتفا:

ـ إلهي.إلهي.

صاح شرطيٌّ:

ـ تراجع لو سمحت.

قال جاي:

ـ نعرفها..

ـ ما اسمها؟

ـ تيري.

ـ اسم عائلتها؟

كان الشرطي وسيمًا، غارقًا في العرق. التفتَ جاي إلى زوجته، متسائلا:

ـ رو، ما كان اسم عائلتها؟

فتحت روزماري عينيها وابتلعت ريقها في صعوبة، وهمست:

ـ لا أذكر. اسم إيطالي يبدأ بحرف الجيم. اسم طويل كانت تمزح بشأن صعوبة نطقه.

قال جاي للشرطي الوسيم:

ـ كانت تسكن مع آل كاستيفيت في الشقة ٧- أ.

ـ لدينا تلك المعلومة بالفعل.

جاء شرطي آخر يحمل ورقة صفراء، وكان السيد ميكلاس يتبعه مرتديا معطف المطر فوق بيجاما مُخططة. قال الشرطيُّ ذو الورقة الصفراء إلى الشرطيِّ الوسيم :

ـ «حياةٌ قصيرة وجميلة»..هكذا مكتوب في الورقة التي ألصقتها على حاجز النافذة بلاصق طبيٍّ؛ كي لا تطير.

ـ هل من أحد في الشقة؟

هزَّ الشرطيُّ رأسه نافيًا. قرأ الشرطيُّ الوسيم ما في الورقة، وقال بلكنة إيطالية لا تشوبها شائبة:

ـ تيريسا جيونُّوفريو.

أومأت روزماري. قال جاي:

ـ لم يكن يبدو أن لديها خواطر حزينة من أي نوع بالأمس.

دسَّ الشرطيُّ الوسيم الوريقة في ملف، فبدا طرفها الأصفر. قال الشرطي:

ـ لا شيء سوى الخواطر الحزينة.

سأل السيد ميكلاس روزماري:

ـ أتعرفينها؟

ـ معرفة سطحية.

ـ بديهي أن تعرفيها؛ تقطنون في الطابق ذاته.

قال جاي لروزماري:

ـ هيا يا حبيبتي، لنصعد إلى شقتنا.

سأل الشرطي:

ـ هل لديكما أي فكرة عن مكان الزوجين كاستيفيت؟

ـ أبدا. فنحن لم نقابلهما من قبل.

قالت روزماري:

ـ في وقت كهذا، يكونان في شقتهما. نسمعهما دوما من خلال حائط حجرة النوم المشترك بين شقتينا.

وضع جاي يده على ظهر روزماري، قائلا في رفق:

ـ هيا بنا يا عزيزتي..

أومئا برأسيهما للسيد ميكلاس وللشرطي، وتوجها نحو مدخل المبنى. ثم سمعا السيد ميكلاس يصيح:

ـ ها هما قادمَين!

توقف جاي وروزماري والتفتا.

من اتجاه وسط المدينة، حيث كانا جاي وروزماري، جائت سيدة طويلة ذات شعر أشيب، يصحبها رجل طويل نحيل مضطرب. سألت روزماري السيد ميكلاس:

ـ الزوجان كاستيفيت؟

ـ نعم.

كانت السيدة كاستيفيت ترتدي الأزرق، مع حقيبة وقفازين وحذاء في لون الثلج. يتوكأ زوجها على ذراعها، وكان يرتدي معطفا قطنيا ملونا، وسروالا أحمر، وربطة عنق وردية، وقبعة ذات شريط ورديّ.

بدا السيد كاستفيت في عمر الخامسة والسبعين أو يزيد، وكانت زوجته في أواخر الستينيات. اقترب الزوجان في فضول طفولي من المشهد، يوزعان الابتسامات على من يعرفانهم من الواقفين.

تقدم رجال الشرطة منهما، فاختفت ابتسامتهما على الفور. قالت السيدة كاستفيت شيئا في قلق، فقطب السيد كاستيفيت جبينه وهز رأسه. كان فمه المتسع ورديا كأنما يضع أحمر الشفاه، وكان خدَّاه شاحبين، تعلوهما عينان غائرتان صغيرتان.

أما هي، فكانت شفتها السفلية ممتلئة، وترتدي نظارة طبية ذات إطار ورديٍّ بسلسلة رقبة تتدلى من أمام اذنيها المزدانتين بقرطين من اللؤلؤ.

سألهما الشرطي:

ـ هل أنتما آل كاستيفيت، القاطنان في الطابق السابع؟

أجاب السيد كاستيفيت بصوتٍ جاف:

ـ نعم، نحن.

ـ هل تعيش معكما شابة تدعى تيريسا جيونُّوفريو؟

قالت السيدة كاستيفيت في قلق:

ـ أجل. ما الخطب؟

ـ من الأفضل أن تجهزا نفسيكما لتلقي خبرا مفجعا.

وقف الشرطي ينظر إليهما للحظات، ثم قال:

ـ لقد انتحرت. ألقت بنفسها من النافذة.

نظر الزوجان كاستيفيت إلى الشرطي دون تغير في تعبير وجهيهما لبرهة، وكأنما لم يقل الرجل شيئا بعد. مالت السيدة كاستيفيت ولمحت من خلفه الغطاء المبقع بالدماء، ثم استقامت واقفة تنظر إلى عيني الشرطي:

ـ هذا ليس ممكنا.

قالتها بلهجتها الريفية، بالطريقة نفسها التي كانت تقول بها «رومان، اجلب لي بعضا من بيرة الجذور».

ـ هناك لَبس.. لابد وأن شخصا آخر تحت هذا الغطاء.

صاح الشرطي دون أن ينحِّي عينيه عنهما:

ـ آرتي، هلا صحبت الزوجين ليلقيا نظرة.

أطبقت السيدة كاستيفيت فكيها وسارت خلف الشرطي المدعو آرتي، بينما ظل زوجها في مكانه. قال للشرطي:

ـ لطالما عرفت أن هذا سيحدث. كانت تُصاب بنوبات من الاكتئاب كل ثلاثة أسابيع تقريبا. لاحظت ذلك ونبهتُ زوجتي، فلم تبال. هي امرأة متفائلة تؤمن بأن كل شيء سيسير كما تشاء.

عادت السيدة كاستيفيت، هاتفة:

ـ هي لم تقتل نفسها. لقد كانت شابة سعيدة بلا أي دافع لقتل نفسها. لابد وأن سقوطها كان حادثا، ربما كانت تنظف النافذة واختل توازنها. كانت دوما تساعدنا في أعمال المنزل.

قال السيد كاستيفيت:

ـ أي مجنون يُنظف النوافذ في منتصف الليل؟

ـ وما المانع؟!

أخرج الشرطي الوسيم الورقة الصفراء من الملف وقدمها لهما. ترددت السيدة كاستيفيت قليلا قبل أن تمد يدها وتأخذها. مال السيد كاستيفيت من خلف كتفها ليقرأ معها محركا شفتيه.

سأل الشرطي:

ـ هل هذا خطها؟

أومأت السيدة كاستيفيت موافقة، وقال زوجها:

ـ هو خطها، بالتأكيد.

مد الشرطي يده، فناولته السيدة كاستيفيت الورقة. خلعت السيدة نظارتها وتركتها تتدلى على صدرها، وغطت وجهها بكفيها.

ـ لا أصدق.. لقد كانت سعيدة، وكل ما يفسد عليها حياتها قد زال.

أحاط السيد كاستيفيت كتفي زوجته بذراعه وراح يهز رأسه آسفًا.

سأل الشرطي:

ـ هل تعرفان اسم أيٍّ من أقاربها؟

ـ ليس لديها أي اقارب. كانت وحيدة، لم يكن لديها أحد سوانا.

سألتها روزماري:

ـ ألم يكن لها أخ؟

وضعت السيدة كاستيفيت نظارتها على عينيها مرَّة أخرى ناظرة نحو روزماري، ورفع زوجها عينيه عن الأرض محدقا فيها من تحت طرف قبعته. سأل الشرطي:

ـ هل لديها أخ؟

أجابت روزماري:

ـ قالت إن لديها أخًا في البحرية.

نظر الشرطي إلى السيد والسيدة كاستيفيت، فقالت المرأة:

ـ لم أكن أعرف.

ـ كلانا لم نكن على علم.

سأل الشرطي روزماري:

ـ هل تعرفين رتبته أو مكان خدمته؟

ـ لا.

أردفت روزماري، وهي تنظر للسيد والسيدة كاستيفيت:

ـ لقد أتت على ذكره منذ أيام في المغسلة. أنا روزماري وودهاوس.

قال جاي:

ـ نسكن في الشقة ٧- ج.

أكملت روزماري، في حزن:

ـ أشعر بما تشعرانه تجاه ما حدث. كانت تبدو سعيدة ومتفائلة. لقد قالت أشياء رائعة عنكما، كانت شاكرة للغاية لمساعدتكما ولكل ما منحتماه لها.

قالت السيدة كاستيفيت:

ـ شكرًا لك.

غمغم السيد كاستيفيت:

ـ لفتة طيبة أن تبلغينا أنها كانت شاكرة لنا. سيهون علينا ما قلته كثيرا.

سأل الشرطي روزماري:

ـ أتعرفين شيئا عن أخيها سوى أنه في البحرية؟

ـ هذا كلُ ما قالته لي، ولا أظن أن كان بينهما ود.

ـ سيكون من السهل علينا إيجاده، مع لقب عائلته غير الشائع.

وضع جاي يده على ظهر روزماري مرَّة أخرى وتراجعا إلى المبنى.

قالت روزماري:

ـ أنا آسفة لما حدث.. يا لها من خسارة.

ردت السيدة كاستيفيت:

ـ شكرًا لكما.

غمغم السيد كاستيفيت جملة طويلة مدغمة، ولم يُفهم منها سوى عبارة «في آخر أيامها.»

* * *

صعدت روزماري وجاي إلى طابقهما، ولم يكف عامل المصعد دييجو عن ترديد عبارة «يا إلهي..ياإلهي». مشيا عبر الرواق المتفرع إلى شقتهما. فتح السيد كيلوجز فرجة في باب شقته ونظر إليهما عبر سلسلة الباب متسائلا عما يحدث بالأسفل، فحكيا له.

جلست روزماري وجاي على حافة فراشهما لدقائق، يحاولان تخمين سبب انتحار تيري، إلا إذا أخبرهما آل كاستيفيت عن محتوى الورقة الصفراء. حتى وإن اطلعا على ما في الورقة، فلن يُلما بالصورة كاملة. ربما كانت الحقيقة أبعد مما تدركه تيري نفسها. شيء ما أبعدها عن المخدرات، وشيء ما سحبها نحو الموت، ماهية هذا الشيء الأخير لن يعرفها أحد.

قالت روزماري:

ـ اتذكُر ما قاله هاتش؟ عن زيادة عدد حالات الانتحار هنا عن أي مبنى آخر؟

ـ رو، هذا كلام فارغ. هراء كثير حول «المنطقة الخطرة» المزعومة.

ـ لكن هاتش يؤمن بصدق هذا الهراء.

ـ حسن، لكنه ما زال كلامًا فارغا.

ـ أستطيع توقع ما سوف يقوله، عندما يعلم بما حدث.

ـ لا تخبريه.

غيَّرا ملابسهما، واغتسلا، ثم أكملا لعبة السكرابل. ثم توقفا، ومارسا الحب، ثم التهما المكرونة الباردة واللبن اللذين وجداهما في البراد. وقبل أن يناما في حوالي الثانية والنصف، تذَّكر جاي أن يراجع تسجيلات آلة الرد التلقائي. وجد جاي رسالة تخبره بقبوله لأداء إعلان إذاعي لنبيذُ كريستا بلانكا.

غاص جاي في النوم، بينما ظلت روزماري جواره، وجه تيري الغارق في الدماء معلق أمام عينيها ترمق السماء بعين واحدة.

ثم رأت نفسها في المدرسة الكاثوليكية. الأخت آجنس تلوح في وجهها بقبضتها، تطردها من قيادة مراقبة الطابق الثاني، وتصيح فيها:

ـ لا أفهم، كيف لفتاة مثلك أن تكون قائدة لأي شيء؟

استيقظت روزماري على صوت طرقةٍ على الجدار، وسمعت السيدة كاستيفيت تقول:

ـ ولا تخبرني لو سمحت عن ما قالته لورا لويز، فأنا لا أهتم.

تقلبت روزماري، ودسَّتْ رأسَها تحت وسادتها.

كانت الأخت آجنس غاضبة، مُضيقة عينيها، تتسع فتحتا أنفها وتضيقا بسرعة كما هو المألوف عنها في مواقف كتلك.

كانت روزماري هي السبب في سد كل نوافذ المدرسة بالقرميد.

ـ لو كنتِ تطيعينا ما اضطرننا لفعل هذا.

بكت الأخت آجنس في تضرع بلهجة ريفية، وحاول مُدير المدرسة تهدأتها، لكنها صاحت:

ـ قلتُ لك لا تخبرها بشيء، لن يتسع عقلها لذلك.

وكانت روزماري قد أخبرت الأخت فيرونيكا بشأن غلق النوافذ بالقرميد، مما دفع الأخيرة إلى سحب المدرسة من مسابقة أفضل مدرسة. لو لم تكن روزماري أخبرتها، ما كان لأحد أن يعرف شيئا، ولكانت المدرسة فازت في المسابقة. وفي قراره نفس الأخت آجنس، كانت تعرف أن مدرسة كاثوليكية لم تكن لتفوز في مسابقة كهذه بالتحايل.

ظلت الأخت آجنس تصيح:

ـ أي واحدة، أي واحدة! كل ما يتطلبه الأمر أن تكون جميلة وسليمة وغير عذراء. حتى لو كانت عاهرة مدمنة على المخدرات. ألم أقل هذا منذ البداية؟! طالما كانت جميلة وسليمة وغير عذراء.

لم تفهم روزماري عن أي شيء تتحدث، وكذلك المدير، العم مايك. فتقلّبت روزماري في فراشها لتجد نفسها في مساء السبت. كانت هي وبرايان وإيدي وجين في انتظار أن يروا جاري كوبر وباتريشيا نيل، ولم يكونوا ينتظروا رؤيتهما في فيلم، بل في الحقيقة.

الفصل الخامس

في يوم الإثنين التالي، كانت روزماري تضع حقّائب التسوق على منضدة المطبخ، عندما دق جرس الباب. من خلال العينِ السحرية النحاسية، رأت روزماري السيدة كاستيفيت، ترتدي وشاحًا على رأسها يُطل من تحته شعرها الأبيض مُلتف الخصلات. كانت تنظر أمامها مباشرة وكأنها تنتظر أن يضغط مصور ما زر الكاميرا. فتحت روزماري الباب قائلة:

ـ أهلا، كيف حالك؟

ابتسمت السيدة كاستيفيت في كآبة، وقالت:

ـ بخير، هل يمكنني الدخول لدقيقة؟

ـ بالطبع، تفضلي.

فتحت روزماري الباب على مصراعيه وألصقت ظهرها بالجدار. ضربتها رائحة لاذعة عند مرور السيدة كاستيفيت من أمامها، رائحة تميمة تيري الجالبة للحظ السعيد.

كانت السيدة كاستيفيت ترتدي بنطالا من طراز أردية مصارعي

الثيران القصيرة الضيقة، ولم يكن يليق بها ارتداؤه، ففخذاها كانا عملاقين، مترهلين بالدهون. وكان البنطال ذا لون ليمونيّ.

توقفت السيدة في الصالة أمام المطبخ، ووضعت نظارتها ذات السلسلة على قصبة أنفها ونظرت لروزماري. عاد إلى روزماري ذكرى حلمها عن الأخت آجنس الغاضبة، فأبعدت الذكرى وابتسمت، مُستعدة لسماع ما ستقوله السيدة كاستيفيت.

ـ جئتُ كي أشكرك لإخبارك لنا بما كانت تشعر به تيري تجاهنا. لن تتخيلي كم كانت كلماتك عزاءً لنا، لأننا كنا سنفكر وقتها أننا خذلناها بشكل ما، مما دفعها لقتل نفسها. بالطبع رسالتها أوضحت أنها فعلت ذلك بإرادتها وبلا جريرة منا، لكننا ارتحنا حين سمعنا رأيها فينا من شخص آخر.

ـ لا تشكريني، فكل ما قلته هو ما أخبرتني به لا أكثر.

ـ لم يكن أحد غيرك ليهتم. لم يكن أحد ليتكبد عناء فتح فمه ونفخ الهواء فيه وتحريك لسانه ليتكلم. عندما تصيرين في مثل سني، ستعرفين أن التصرفات الطيبة أقل مما تتصوري في هذا العالم. لذا، فأنا أشكرك، ورومان يشكرك.. رومان هو زوجي.

ـ لا شكر على واجب. أنا سعيدة بأن كلامي قد ساعدكما قليلا.

ـ لقد تم حرق جثمانها هذا الصباح دون طقوس كنسية. هذا هو ما أوصت به. علينا أن ننس كل شيء ونكمل حياتنا. بالطبع لن يكون هذا سهلا، لقد أضفت سعادة على حياتنا سنفتقدها بشدة. لم يكن لدينا أولاد. هل لديك أولاد؟

ـ لا.

نظرت السيدة كاستيفيت إلى المطبخ، وصاحت:

ـ جميل.. جميلةٌ هي الطريقة التي تعلقي بها الأواني على الحوائط. انظري كيف اخترتِ الطاولة ومكانها؟ هذا مدهش.

ـ لقد نقلت ذلك التصميم من مجلة.

ـ يعجبني الطلاء كذلك. لابد وأنكم أجزلتم العطاء للعمال، فهم لم يقوموا بهذا العمل المبهر لنا.

ـ كل ما أعطيناه لهم هو خمسة دولارات لكل واحد منهم.

ـ فقط؟

التفتت السيدة كاستيفيت إلى الحجرة خلفها، وقالت:

ـ جميل، حجرة لمشاهدة التلفاز؟

ـ مؤقتا، لكنها ستكون حجرة أطفال لاحقًا.

نظرت السيدة كاستيفيت نحوها، وسألت:

ـ هل أنتِ حامل؟

ـ ليس بعد، آمل في ذلك بمجرد أن نستقر.

ـ هذا رائع، أنت شابة ومعافاة. سيكون لديكما أطفال كثيرون.

ـ نخطط لإنجاب ثلاثة أبناء. هل تودين أن تشاهدي باقي الشقة؟

ـ أود ذلك فعلا..أتوق لمشاهدة لمساتك. كنت آتي هنا يوميًا تقريبًا، المرأة التي كانت تعيش هنا كانت صديقة مقربة لي.

عبرت روزماري أمام السيدة كاستيفيت لتقودها، وقالت:

ـ علمتُ ذلك. تيري أخبرتني.

ـ يبدو أنكما أمضيتما وقتا طويلا في الدردشة في البدروم.

ـ لقد تحدثنا ليوم واحد فقط.

أصيبت السيدة كاستيفيت بالذهول لدى مرآها لحجرة المعيشة. قالت:

ـ إلهي! لا أستطيع ان أستوعب كل هذا التغيير. تبدو الحجرة أكثر إشراقا! انظري إلى هذا الكرسي، أليس مذهلا؟

ـ لقد أوصلوه إلينا يوم الجمعة.

ـ وكم كلفكما كرسي كهذا؟

قالت روزماري في ارتباك:

ـ لا أذكر تحديدا.. نحو مائتي دولار.

أشارت السيدة كاستيفيت إلى أنفها، وضحكت:

ـ لم يزعجك سؤالي، أليس كذلك؟ اعذريني فأنفي كبيرة من كثرة ما أدسها في شئون الآخرين.

ضحكت روزماري، وهتفت:

ـ لا، أبدا.

تفحصت السيدة كاستيفيت حجرة النوم والحمام، سألت عن السعر الذي طلبه ابن السيدة جارديتيا مقابل الأغراض التي اشتریاها منه. سألت روزماري عن عمرها، وعن المصابيح فوق الطاولة، وعن ما إذا كانت فرشاة الأسنان الكهربية أفضل من العادية.

وجدت روزماري نفسها مستمتعة بصحبة تلك المرأة، وبودها وصوتها العالي ذي اللكنة الريفية، وأسئلتها التي لا تنتهي.

قدمت لها روزماري بعض الكعك والقهوة، حيث جلست السيدة كاستيفيت في المطبخ، تتفحص الأسعار الملصقة على الأغراض التي تسوقتها روزماري. سألت روزماري عن عمل زوجها فأجابتها. صاحت العجوز:

ـ كنت متأكدة! لقد أخبرت رومان أمس، وقلت له أن هذا الشاب ممثل. ثمة ممثلان أو ثلاثة يقطنون مبنى برامفورد. ماذا مثّل زوجك من أفلام؟

ـ هو ممثل تليفزيوني، وقد ظهر أيضا في عدة إعلانات ومسرحيات.

تناولا الكعك والقهوة في المطبخ، بعد أن رفضت السيدة كاستيفيت أن تجلس في حجرة المعيشة، وتلوث أثاثها الثمين.

ازدردت السيدة كاستيفيت القهوة وقطعة الكعك سويا، ثم قالت:

ـ اسمعي، لدي قطعية لحم ممتازة، شريحة بسُمك بوصتين ترقد على طاولة المطبخ لدي الآن بينما نتكلم. تعلمين أننا نعيش وحدنا، ونصف قطعة اللحم ستُلقى في القمامة ولن نقدر على أكلها وحدنا. لماذا لا تأتي أنت وجاي للعشاء معنا الليلة؟

ـ أوه. لا، لن نستطيع.

ـ بالطبع تستطيعان، ولمَ الرفض؟

ـ أبدًا، أعتقد أنك لن تريدي أن..

ـ ستسعداننا كثيرا لو أتيتما.

نظرت السيدة كاستيفيت إلى أسفل، ثم رفعت عينيها مصحوبة بابتسامة حزينة.

ـ كان في زيارتنا أصدقاء ليلة أمس، وليلة السبت. اليوم هو أول يوم سنقضيه وحدنا بعد.. بعد الليلة إياها.

مالت روزماري أمامًا نحو السيدة العجوز، وقالت في حنان:

ـ إن كنت مُصرة، ولن نتعبك بقدومنا.

ـ لم أكن لأدعوكما لو كان ثمة ما سيتعبني. صدقيني فأنا أنانية للغاية.

ابتسمت روزماري، وقالت:

ـ أنانية؟ عرفتُ من تيري عنكِ عكس ذلك.

ـ حسنًا، لم تكن تيري تعرف ما تتحدث عنه.

ـ سيتوجب علي أن أخبر جاي أولا بأمر دعوتك. لكن اعتبري أننا سنأتي.

ابتسمت السيدة كاستيفيت، وهتفت:

ـ وأخبريه أننا لن نقبل الرفض. حضوره مهم حتى يتسنى لي أن افخر بأنني أعرف ممثلا شهيرا!

ضحكتا، وأكملتا الكعك والقهوة. تحدثتا عن مخاطر مهنة التمثيل، وعن مسلسلات التلفاز ورداءتها مؤخرا.

وعند الباب، سألت السيدة كاستيفيت:

ـ السادسة مساءً مناسبٌ لك؟

ـ مناسبٌ للغاية.

ـ لا يحبُ رومان أن يتناولَ عشاءه في وقتٍ متأخر عن الساعةِ السادسة، فلديه مشاكل في المعدة تمنعه من النوم لو أكل في وقت متأخر. تعرفين شقتنا، أليس كذلك؟ سننتظركما.

أخرجت السيدة كاستيفيت من جيبها رزمة من المظاريف أعطتهم لروزماري وقالت:

ـ هاك بريدك، لقد استلمته بدلا عنك. أغلبه إعلانات. أفضل من لا شيء، أليس كذلك؟

* * *

عاد جاي إلى البيت في الثانية والنصف، مُعتل المِزاج. فقد علِم من خلال وكيلهِ أن المدعو دونالد باومجارت قد حصل على الدور الذي كان قد أوشك هو على الفوز به.

قبَّلته روزماري، وأراحته على كرسيه الجديد الوثير، وأحضرت له شطيرة من الجبن المُذاب وبيرة.

أخبرت جاي أنها قد قرأت نص المسرحية التي سيمثل فيها باومجارت بدلا من جاي، وأن المسرحية لم تعجبها، ولن يستمر عرضها على المسرح طويلا. سرعان ما سيطوي النسيان دونالد باومجارت.

ـ حتى لو لم تَطُل فترة عرضها، لكنه عرض ملفتٌ للأنظار. سنرى، سوف يحصل على دور آخر بسرعة.

فتح جاي طرف شطيرته ونظر داخلها بمرارة، ثم أغلق الطرف والتهمها.

قالت روزماري:

ـ السيدة كاستيفيت زارتنا اليوم.. جائت تشكرني على ما قلته عن لسان تيري، لكنني أظنها زيارة لترى الشقة لا أكثر. المرأة لم تكف عن الحديث طيلة الوقت، حتى أنها سألت عن أسعار بعض الأغراض!

ـ أتمزحين؟!

ـ لقد اعترفت بوضوح أنها تدس أنفها في كل شيء. لكن للعجب، بدت لي طريفة ومُحتملة. لقد ألقت نظرة في خزانة الأدوية!

ـ بهذه البساطة؟

ـ بهذه البساطة. وخمن، ماذا كانت ترتدي؟

ـ شوال دقيق؟

ـ لا، بنطالا قصيرا ضيقا.

ـ ماذا؟

ـ أخضر ليموني.

ـ لا تقولي ذلك!

ـ لقد دعتنا إلى العشاء في شقتهما الليلة. أخبرتها أنني سآخذ موافقتك أولا، لكن لتعتبرنا موافقين.

ـ إلهي، لا يجب أن نذهب إليهما. أيجب علينا ذلك؟

ـ أعتقد أنهما يشعران بالوحدة بعد رحيل تيري.

ـ حبيبتي، لو أننا صادقنا عجوزين مثلهما، لن نستطيع إبعادهما عن أقفيتنا أبدًا! فهما يسكنان في الطابق نفسه، وسوف يأتيان إلينا ستَّ مرَّات في اليوم، خاصة وقد قلتِ أنها فضولية.

ـ وقلتُ لها أننا سنأتي.

ـ وقلتِ أنك ستأخذين رأيي أولا!

ـ وقلتُ أننا سنأتي. السيدة تحتاج إلينا.

ـ لا أشعر الليلة بقدرة على مراعاة مشاعر الأب والأم كيتل. آسف يا عزيزتي، اتصلي بها، واعتذري لها.

انتهى جاي من شطيرته، وتشاغلت روزماري في أخذ مقاسات وسائد مقاعد النافذة في صمت. قالت:

ـ سأتصل بها.

ـ لا داعي للنكد.

ـ أنا لا أفتعل أسبابا للنكد! أنا أفهم تماما ما قلته بشأن وجودهما في الطابق نفسه الذي نسكن فيه. أنت محق. أنا لا أفتعل النكد.

ـ اللعنة.. حسنًا، سنذهب.

ـ لا، ولمَ نذهب؟ لا داعي لذلك. لقد تبضعت طعامًا للعشاء قبل قدومها، لا مشكلة.

ـ سنذهب يا روزماري.

ـ لسنا مضطرين للذهاب إن كنت لا تريد.

ـ سنذهب، أعتبرُ ذهابنا صدقة.

ـ اتفقنا.. فقط إن كنت تريد ذلك بالطبع. وسنوضح لهما أن دعوتهما لن تتكرر ولا تعني زيارتنا بدايةً لأي علاقة بيننا.

ـ حسنًا..

الفصل السادس

خرجت روزماري وجاي من شقتهما في الساعة السادسة والنصف تقريبا، وسارا عبر الرواق المتفرع المفروش بالأخضر تجاه شقة آل كاستيفيت.

بمجرد أن قرع جاي الجرس، انفتح باب المصعد المجاور للشقة، وخرج منه السيد دُبين، أو السيد ديفور، فهما لا يعرفان أيًّا منهما يحمل أي اسم. ابتسم الخارج من المصعد لهما محييا، ثم فتح باب شقته حاملا حُلة مغلفة في كيس المغسلة البلاستيكي. قال الرجل مازحا:

ـ أنتما في المكان الخاطيء!

ضحكت روزماري وجاي، ودخل الرجل إلى شقته مانحا لهما لمحة من ورق الحائط الأحمر والذهبي في الداخل.

فتح آل كاستيفيت بابهما، وكانت السيدة كاستيفيت تضع أحمر الشفاه والبودرة، وتبتسم مرتدية فستانا حريريا أخضر، ومئزرا ورديا مزركشا.

ـ جئتما في الوقت المناسب. ادخلا.. رومان يصنع كوكتيل الفودكا. أنا سعيدة أنك أتيت يا جاي. الآن سأخبر الناس أنني أعرفك! جاي وودهاوس قد أكل من هذا الطبق! لن أغسله بعد رحيلك أبدًا، سأتركه في مكانه كزينة!

تبادل جاي وروزماري النظرات من نوعية «يا لصديقتِك»، «ماذا أفعل لها؟!». ثم ضحكا.

كانت ثمة ردهة، تقبع في منتصفها منضدةٌ مستطيلة، مُعدةٌ لاستضافة أربعة أشخاص. فوقها شرشفٌ مطرز وأطباق لا يُماثل أي منها الآخر.

على يسار الردهة، حجرة معيشة في ضعفي حجم حجرة معيشة روزماري وجاي، لكنها كانت مشابهة في التصميم. في صدر الحجرة نافذة واحدة كبيرة بدلا من نافذتين صغيرتين، ومدفأة من الرخام الوردي مزخرفة بإفراط. وكانت الغرفة مفروشة بأثاث لا يمت لبعضه بصلة، ومتناثر في أرجائها كتب وجرائد قديمة وأظرف خطابات وآلة كتابة عتيقة. وعلى الأرض، تمتد سجادة بنية جديدة من الحائط للحائط، موشومة بآثار مكنسة كهربية.

قادتهما السيدة كاستيفت عبر حجرة المعيشة، وأجلستهما على الأريكة الصغيرة. ثم دخل السيد كاستيفيت حاملا صحفة عليها أربعة أكواب من كوكتيل الفودكا، يسيل من حوافهما السائل الوردي. ظل مثبتًا عينيه على حواف الأكواب في طريقه إليهما عبر حجرة المعيشة، وكأن أي خطوة غير محسوبة ستتسبب في كارثة. قال:

ـ يبدو أنني أفعمتُ الكؤوس.. لا، لا تقومي.. فأنا ماهر في صب الفودكا وكأنني ساقٍ محترف، أليس كذلك يا ميني؟

قالت السيدة كاستيفيت:

ـ خذ خذرك فقط؛ كي لا توسِّخ البساط.

ـ لكنني هذا المساء أكثرتُ في عيار أكواب الفودكا، وكان من الأفضل

أن أترك باقي المشروب في الخلاط...ها قد وصلت، اجلسي يا سيدة وودهاوس.. تفضلي.

أخذت روزماري كوبًا وشكرته، ثم جلست. فوضعت السيدة كاستيفيت منديلا ورقيًّا على فخذيها.

ـ تفضل يا سيد وودهاوس، كوكتيل فودكا وردي، هل تذوقته من قبل؟

أخذ جاي كوبه، وجلس قائلا:

ـ كلا.

قدم السيد كاستيفيت الصحفة نحو زوجته، وقال:

ـ ميني.

مسحت روزماري قاعدة كوبها، وقالت بوضوح:

ـ يبدو شهيًا.

رفع السيد كاستيفيت كوبه عاليًا، محييًا الضيفين، ثم قال:

ـ هذا مشروب معروف في أستراليا. أهلا بكما في بيتنا.

رشف السيد كاستيفيت من كوبه، ثم راح يرمقه بعين منتقده، بينما الصحفة مائلة في يده الأخرى، تقطر السائل الوردي على الأرض.

سعلت السيدة كاستيفيت، وكادت تغُص في مشروبها، قالت:

ـ حاذر البساط!

ظلت تسعلُ وهي تشير إلى قدمي زوجها. نظر الرجل إلى أسفل، ثم عدّل وضع الصحفة مرتبكا:

ـ آسف.

وضعت السيدة كاستيفيت كوبها جانبا، ثم ركعت سريعا تضع المناديل الورقية فوق البقعة على البساط.

ـ لقد كان بساطًا جديدًا! يالك من رجل أخرق!

كان كوكتيل الفودكا لاذعا وجيدا. بعد أن تم تجفيف البساط، وعادت الصحفة إلى المطبخ، وجلست السيدة كاستيفيت على كرسيها، سألتهما روزماري:

ـ هل أنتما أستراليو الأصل؟

رد السيد كاستيفيت:

ـ لا، أنا من هنا. من نيويورك ذاتها. لكنني زرت أستراليا كما زرت كل مكان آخر على وجه الأرض..حرفيا.

جلس السيدُ كاستيفيت واضعا ساقا فوق الأخرى، وراح يرشف الفودكا ويتحدث. كان يرتدي حذاءً خفيفًا دون كعب، من تحته جورب، وبنطالا خفيفا رمادي اللون مع قميص أبيض وربطة عنق عريضة مُخططة بالأزرق

والذهبي.

ـ زرتُ كل قارة، كل بلد، كل مدينة..لا يوجد مكان تعرفونه إلا وذهبت إليه. هيا اختر اسما..هيا.

قال جاي:

ـ فيربانكس، ألاسكا.

ـ زرتها.. لقد طفتُ ألاسكا، ذهبتُ إلى فيربانكس.. جونيو.. انكوراج.. نوم.. سيوارد. قضيت أربعة أشهر في ألاسكا عام ١٩٣٨. زرت أيضا بلدات صغيرة مثل: ديلينجهام، واكولوراك.

سألت السيدة كاستيفيت، وهي تُعدل من ثنايا فستانها:

ـ وأنتما، من أين أصولكما؟

ـ أنا من أوماها، أما جاي فهو من بالتيمور.

قال السيد كاستيفيت:

ـ أوماها مدينة جميلة، وكذلك بالتيمور.

سألته روزماري:

ـ هل كنت تسافر لغرض العمل؟

ـ العمل والمتعة. أبلغُ من العمر تسعة وسبعين عاما، ومنذ كنت في العاشرة وأنا أتنقل من مكان إلى آخر. سمِّ أي مكان وسأخبرك أنني زرته.

سأل جاي:

ـ ولأي عمل تسافر يا سيد كاستيفيت؟

ـ أي عمل، وكل عمل: الصوف، السكر، لعب الأطفال، قطع غيار الماكينات، التأمينات، الزيوت.

صدح صوت جرس من جهة المطبخ، فقامت السيدة كاستيفيت واقفة وكوبها لا يزال في يدها:

ـ اللحم جاهز. خذوا شرابكم معكم. رومان، لا تنس دواءك.

ـ ستنتهي فترة علاجي في الثالث من أكتوبر. قبل يوم من زيارة البابا. لا أعرف كيف سيزورنا البابا أثناء إضراب الصحف هذا.

ـ سمعتُ أنه سيؤجل الزيارة حتى انتهاء الإضراب.

قالتها السيدة كاستيفيت، فابتسم جاي مضيفا:

ـ هذا لزوم التغطية الإعلامية.

بدأت روزماري في تقطيع قطعة اللحم التي كانت جافة لغاية، ومن تحتها حبوب البازلاء والبطاطس المهروسة ملتصقة بالصلصة السميكة المفعمة بالدقيق. ضحكت السيدة كاستيفيت، وقالت:

ـ كما قلتَ، تغطية إعلامية، وكأن غرض الزيارة هو الدعاية لا أكثر.

ـ الملابس، والطقوس. كل الأديان الأخرى لديها الاهتمام نفسه بالمظاهر والدعاية البصرية، بما فيها الكاثوليكية.

قالت السيدة كاستيفيت:

ـ أعتقد أننا نضايق روزماري.

ـ لا لا، أبدًا.

سأل السيد كاستيفيت:

ـ لستِ متدينة يا عزيزتي، أليس كذلك؟

ـ لقد نشأت علَى تعاليم كاثوليكية، لكنني الآن لا أدرية. لذا لم يضايقني حديثكم عن الكاثوليكية.

ـ وأنت يا جاي؟ هل تعتنق اللا أدرية أيضا؟

ـ أعتقد ذلك. لا أعرف كيف لأي شخص أن يتيقن من إيمانٍ ما.

أعني، لا يوجد دليل دامغ على صحة دين معين.

ـ لا، لا يوجد.

قالت السيدة كاستيفيت، وهي تحدق في روزماري:

ـ لقد بدوتِ متضايقة حين كنا نتكلم عن البابا والتغطية الإعلامية.

ـ حسنا.. إنه البابا قبل كل شيء. لقد تربيت على احترامه، ولا يزال لدي بعض من هذا الاحترام، بالرغم من اعتقادي بكونه ليس مقدسا.

ـ لو كنتِ لا تعتقدين بقدسيته، فلا محل لاحترامك له، لأنه يطوف العالم ويخدع الناس، ويتظاهر بأنه مقدس!

قال جاي:

ـ وجهة نظر جيدة.

أضاف السيد كاستيفيت:

ـ كلما فكرت في الأموال التي ينفقونها على المجوهرات والملابس، يطرأ في عقلي خاطر بأنهم منافقون، يختفون خلف دين مُنظم. جاي، لقد سمعت أنك مثلت في لوثر، هل مثلت دور الشخصية الرئيسية؟

ـ لا، للأسف.

ـ ألم تكن بديلا للمثل ألبرت فيني؟

ـ لا، الممثل الذي قام بدور واينانـد كانَ البديل.

ـ غريب. أذكر أنك كنت بديله. أذكر أيضًا أنك لفت نظري بحركة أديتها خلال تمثيلك، فبحثتُ؛ كي أعرف من أنت، وكان مكتوبا في نهاية العمل أنك بديله!

ـ أي حركة لفتت نظرك؟

ـ لا أتذكر، حركة أديتها.

ـ ثمة حركة عفوية، حركة لا إرادية عندما حاول لوثر...

ـ بالضبط، هي ما تقول. حركة عفوية أصيلة، على عكس كل ما كان يؤديه السيد فيني.

ـ لا تجاملني!

ـ لطالما كنتُ أعتبر أداءه مبالغ في تقديره. أتشوق لرؤيتك تؤدي دوره.

ضحك جاي، وهتف:

ـ هذا حلمٌ مشترك!

نظر جاي إلى روزماري مبتهجًا، فابتسمت له وقد شعرت بسعادة كون جاي سعيدا. لن يكون هناك تأنيبٌ بعد الزيارة بشأن الوقت الذي ضاع في مجالسة الأب والأم بيتل المملين. ليس بيتل، كيتل.

قال السيد كاستيفيت:

ـ كان والدي منتجًا مسرحيًا، وقد أمضيت طفولتي بصحبة أناس مثل السيدة: فيسك، وفوربس روبرتسون، وأوتيس سكينر، ومودجيسكا. وقد رأيتُ ما هو أكثر من المنافسة العادية بين الممثلين. لديك ذوق في اختيار أدوارك يا جاي، وهو ذوق من المفترض أن يؤدي بك للنجومية. بالطبع لديك اختيارات غير موفقة، شأنك كشأن أي ممثل آخر. هل تستعد لأداء دور ما؟

ـ هناك دوْران، أتمنى أن أحصل عليهما.

ـ لا أجد سببًا لاعتقادك بأنك لن تحصل عليهما.

كانت التحلية عبارة عن فطيرة بالقشدة، منزلية الصُنع على طريقة بوسطون، وكانت أفضل حالا من شرائح اللحم والخضروات، لكنها كانت شديدة الحلاوة بالنسبة لروزماري. مدح جاي الفطيرة وتناول قطعتين. ربما كان جاي يُمثل ويبادل المجاملات بمجاملات.

* * *

بعد العشاء، عرضت روزماري أن تساعد السيدة كاستفيت في التنظيف وغسل الصحون، فقبلت السيدة العجوز العرض، بينما جلس الرجلان في حجرة المعيشة.

كان المطبخ يُطل على الردهة، وكان صغيرا؛ بسبب صوبة النباتات التي احتلت أغلبه، كما حكت تيري لروزماري. كانت الصوبة موضوعة على طاولة بعرض ثلاثة أقدام بقرب النافذة الوحيدة للمطبخ. وكانت الصوبة محاطة بمصابيح، تنعكس إضائتها على الزجاج، فيبدو أبيض بدلا من كونه شفافا. فيما تبقى من مساحة المطبخ، رأت روزماري حوضا وموقدا، وبرادا تحفه الخزائن من كل جهة.

وقفت روزماري جوار السيدة كاستيفيت تجفف الأطباق، راضية عن كون مطبخهما أجمل وأكبر وأفخم. قالت:

ـ لقد أخبرتني تيري بشأن صوبة النباتات تلك.

ـ أوه..إنها هواية رائعة. عليكِ أن تجربيها.

ـ أحلم بحديقة أزرع فيها التوابل؛ خارج المدينة بالطبع. فلو حصل جاي على بطولة سينمائية، سننتقل للعيش إلى لوس أنجليس. أنا فتاة ريفية على كل حال.

ـ هل لديك عائلة كبيرة؟

ـ نعم. لدي ثلاثة إخوة وأختان. وأنا الصغرى.

ـ وأختاك متزوجتان؟

ـ نعم.

دفعت السيدة كاستيفيت إسفنجة غارقة بالصابون داخل كوب، وراحت تحركها داخله، وأردفت:

ـ وهل لديهما أطفال؟

ـ واحدة منهما لديها طفلين، والأخرى لديها أربعة أطفال، على الأقل كان هذا هو عدد أبنائهما قبل رحيلي. ربما ازدادوا طفلا أو اثنين.

ظلت السيدة كاستيفيت تغسل الأطباق، حيث كانت بطيئة نوعًا ما. أضافت في بهجة:

ـ هذه علامة ممتازة، إن كان لأختيك أطفال كُثر، ففرصك في الإنجاب عالية. أشياء كهذه تسري في دماء العائلة الواحدة.

ـ نحن نتمتع بالخصوبة فعلا، لدى أخي ثمانية أطفال وهو بعد في السادسة والعشرين.

أمسكت روزماري المنشفة وانتظرت أن تنتهي السيدة كاستفيت من غسل الكوب. شطفت الأخيرة الصابون وناولت الكوب لروزماري.

ـ ثمانية؟ يا إلهي!

ـ لدي أكثر من عشرين ابن أخ وأخت، ولم أرَ أكثر من نصفهم.

ـ ألا تعودين لبيت عائلتك كل فترة؟

ـ لا، لستُ على وفاق مع عائلتي.. فيما عدا أخ واحد. أنا وصمة عار العائلة.

ـ أوه. وكيف ذلك؟!

ـ لأن جاي ليس كاثوليلكيا، ولم نتزوج في كنيسة.

ـ انظري كيف يتسبب الدين في خسارة الناس لبعضهم! عمومًا، فقدك خسارة لهم. لا تدعي هذا الأمر يضايقك.

وضعت روزماري الكوب على الرف، وقالت في شرود:

ـ الكلامُ سهل. هل تريدين أن أغسل أنا الأطباق بدلا عنك؟

ـ لا يا عزيزتي.

نظرت روزماري خارج المطبخ، وكانت ترى فقط طرف حجرة المعيشة. كان جاي والسيد كاستيفيت في الجهة المقابلة، وقد لمحت خيطًا من دخان السجائر متعلقًا في الهواء بالقرب منهما.

ـ روزماري!

التفتت روزماري لتجد السيدة كاستيفيت تمد إليها يدها بطبق مبلل.

تطلب الانتهاء من غسيل الأطباق والأكواب والأوعية مايقرب من ساعة، وكانت روزماري لتنجز تلك المهمة في أقل من نصف ساعة وحدها.

عندما خرجت المرأتان من المطبخ إلى حجرة المعيشة، كان جاي والسيد كاستيفيت يجلسان في قبالة بعضهما بعضا، على الأريكة الصغيرة، يحاول السيد كاستيفيت شرح شيء ما لجاي قارعًا كفيه ببعضهما.

ـ رومان، توقف عن التهام أذني الشاب بحكاياتك! هو فقط ينصتُ إليك من باب الأدب.

ـ أبدًا يا سيدة كاستيفيت، أنا بالفعل مهتم بما يقول.

قال السيد كاستيفيت، منتصرا:

ـ أرأيتِ؟

ـ أنا ميني، وهو رومان، لا تزعج نفسك بالألقاب.

ثم نظرت لروزماري، وأردفت:

ـ اتفقنا؟

ضحك جاي وقال:

ـ اتفقنا يا ميني.

بدأت ثرثرة طويلة عن سكان البناية، وعن أخي تيري، والذي اتضح أنه يعمل في مستشفى مدني في سايجون. وأن السيد كاستيفيت يقرأ كتاب تقرير وارِن عن حادث مقتل الرئيس كينيدي.

روزماري كانت جالسة على كرسيٍّ مستقيم الظهر، تشعرُ بالانفصال عن الواقع. كيف يبدو آل كاستيفيت بهذه الحميمية مع جاي، وكأنهم يعرفون بعضهم بعضا منذ زمن؟ كان شعورها غريبا.

قال السيد كاستفيت:

ـ هل يمكن لها أن تكون حبكة لشيء ما؟

وأدركت روزماري أن الرجل يحاول سحبها إلى الحوار الدائر. استأذنت منه لتذهب إلى الحمام، حيث وجدت هناك مناشف منقوشة

بعبارة «مخصص لضيوفنا». جوارها كتاب بعنوان «نِكاتٌ للمرحاض»، ولم يضحكها هذا التعبير المقزز.

غادرا منزل مضيفيهما في الساعة العاشرة والنصف.

ـ إلى اللقاء يا رومان، شكرًا يا ميني.

تصافح الجميع في حماس، مع وعود بتكرار أمسيات كهذه، وكانت وعودًا كاذبة من طرف روزماري.

انعطفا عند أول تفريعة من الرواق، وسمعا باب شقة آل كاستيفيت ينغلق. زفرت روزماري في ارتياح، وضحكت حينما رأت جاي يفعل مثلها.

قلد جاي الطريقة الريفية التي تتحدث بها السيدة كاستيفيت، وراح يحرك حاجبيه كما تفعل هي.

أمسكت روزماري ذراعه وهي تغالب ضحكاتها، وجريا نحو شقتهما في الرواق الهادىء على أطراف أصابعهما.

وصلا إلى الباب، ففتحه جاي، ثم دخلا، ثم أغلقاه خلفهما، ثم أحكما غلقه بالمفتاح والمزاليج، وراح جاي يدق مسامير خيالية حول إطاره، ويغلق المتاريس ويرفع الجسور، ثم يمسح جبينه في إرهاق.

انحنت روزماري تمسك بطنها، وهي تضحك، مستندة على ظهره، ثم كتمت ضحكاتها بين كفيها.

قال جاي:

ـ أما عن شرائح اللحم.

ـ إلهي. والفطيرة. كيف استطعت أن تأكل قطعتين منها؟

ـ حبيبتي، كان تصرفًا يتطلب شجاعة وتضحية فوق احتمال البشر الفانين. قلتُ لنفسي «يبدو أن أحدا لم يطلب من العجوز قطعة أخرى من أي شيء طهته في حياتها.» لذا قررت أن أسعدها، من وقت لآخر تخطر لي تلك الأفعال النبيلة.

دخلا حجرة نومهما، قالت روزماري:

ـ هي تزرع الأعشاب والتوابل، وعند تمام نضجها تلقي بهم من النافذة.

ـ اخفضي صوتك، للحوائط آذان. ما رأيك في طاقم الطعام الفضي الخاص بهما؟

راحت روزماري تخلع حذائيها بحكهما في الأرضية، وقالت:

ـ ألم يكن ذلك غريبا؟ فقط ثلاثة أطباق متشابهة، بينما يمتلكون طاقمًا مذهلا من الشوك والملاعق والسكاكين الفضية!

ـ لنكن محسنين لهما، فربما يوصون بالطاقم الفضي إلينا بعد موتهما!

ـ لنكن مسرفين ونشتري طاقما خاصًا بنا. هل ذهبتَ إلى الحمام؟

ـ هناك؟ لا.

ـ خمن ماذا يضعون فيه؟

ـ بِيديه؟[1]

ـ كلا. نكاتٌ للمرحاض!

---

(1) Bide

حوض من السيراميك جوار المرحاض يُستخدم لغسل مواضع الإخرج.

ـ لا تقولي ذلك!

خلعت روزماري فستانها، قائلة:

ـ يعلقون الكتاب جوار المرحاض.

ابتسم جاي وهز رأسه، ثم بدأ في خلع أزرار قميصه الذهبية واقفا جوار التسريحة.

ـ حكايات رومان هذا، كانت شائقة للغاية. أنا لم أسمع عن فوربس روبرستون من قبل، لكن يبدو أنه كان ممثلا شهيرًا للغاية في الماضي. سأزورهما غدًا مساءً؛ لأسمع المزيد من تلك القصص.

نظرت له روزماري في حيرة، وهتفت:

ـ حقًّا؟

مد جاي يده إلى روزماري لتخلع زر القميص الأيسر:

ـ اخلعي لي هذا. سأذهب طبعا.

راحت تحاول خلع الزر شاعرة بالضياع والحيرة.

ـ كنت أظننا على موعد مع جيمي وتيجر أصدقائي؟

ـ لم يكن هذا أمرا مؤكدا، كنا سنتصل أولا.

ـ لم يكن أمرا مؤكدا؟!

ـ سنقابلهما يوم الأربعاء أو الخميس.

أمسكت روزماري بالزر الذي خلعته في كفها، نظرت إليه شاردة ثم أعطته له. قال:

ـ شكرًا. لا يتوجب عليكِ الذهاب معي إلى آل كاستيفيت إن لم تريدي ذلك.

ـ أعتقد أنني لن أذهب..

ـ الرجل يعرف أيضا هنري إرفينج!

خلعت روزماري جورابها، وقالت:

ـ لمَ أزالا كل الصور؟

ـ ماذا تعنين؟

ـ صورهما. أزالاها من حجرة المعيشة والرواق والردهة. ثمة مسامير تعليق وآثار أُطُر على الحوائط. حتى الصورة الوحيدة الموضوعة فوق المدفئة، حولها أثر صورتين أخريين.

ـ لم ألاحظ ذلك.

ـ ولمَ يحتفظا بكل تلك الكتب والملفات والخطابات في حجرة المعيشة؟

ـ أخبرني بالسبب؛ فهو من هواة جمع الطوابع، وتصله خطابات من كل أنحاء العالم، لذا يضع حاملَ جرائد؛ للاحتفاظ بكل ما يخص هوايته.

ـ لكن لمَ يضعهم في حجرة المعيشة؟ لديهم أربع أو خمس غرف أخرى موصدة. لم لا يستخدم واحدة منها؟

تقدم جاي نحوها حاملا قميصه، ضغط على أنفها بإصبعه، قائلا:

ـ لقد تفوقتِ على ميني في دَسِّ الأنوف في أمور الآخرين.

أرسل إليها قبلة في الهواء، ودلف إلى الحمام.

* * *

بعدها بعشر دقائق أو ربع ساعة، كانت روزماري تضع الماء في مُحضر القهوة، حين شعرت بألم شديد كالطعنة في بطنها، وكان ذلك قبل ليلة من موعد طمثها.

استندت بكفها على ركن الموقد وحاولت الاسترخاء تاركة الألم يختفي من تلقاء نفسه. أخرجت روزماري علبة القهوة وأوراق الفلتر، شاعرة بالبؤس وفقدان الأمل.

كانت في سن الرابعة والعشرين، وكانت تخطط لإنجاب ثلاثة أطفال بين كل منهم والآخر عامين. لكن جاي كان «غير مستعدٍ بعد»، ولن يكون مستعدا أبدًا إلا عندما يصبح في نجومية مارلون براندو وريتشارد مورتون سويًا. لقد كان يعلم قدر وسامته وموهبته، وموقنا بأنه سيكون نجمًا.

لذا كانت خطتها تكمن في أن تحمل منه «بالخطأ» المقصود. كانت تتعلل بأن أقراص منع الحمل تصيبها بالصداع، وأن الواقي الذكري بغيض.

قال لها جاي أنها ـ في قرارة نفسها ـ لا زالت كاثوليكية متدينة تكره تدابير منع الحمل. احتجَّت روزماري على تفسيره هذا.

كان جاي يحسبُ ويضع علامات على أيام معينة على النتيجة، وهي أيام يسميها «الأيام الخطرة». ويرفض جماعها في تلك الأيام قائلا: «هذا ليس آمنا، ليس اليوم يا عزيزتي.»

ومجددا، فازت حسابات جاي هذا الشهر، وخسرت هي. صرخت روزماري:

ـ اللعنة.

وضربت علبة القهوة وأسقطتها من على الرف. صاح جاي من الخارج:

ـ ماذا حدث؟

ـ لا شيء. صدمتُ كوعي.

على الأقل قد عرفت روزماري الآن ما يؤرقها في كل مساء. لو أنهما يعيشان سويا بلا زواج لكانت حملت خمسين مرَّة حتى الآن.

الفصل السابع

في المساء التالي، بعد العشاء، ذهب جاي إلى آل كاستيفيت، بينما كانت روزماري تنظف المطبخ وتقرر ما إذا كانت ستقضي أمسيتها في العمل على وسائد المقاعد على إفريز النافذة، أو في الفراش تقرأ «مانتشايلد في الأرض الموعودة»، عندما سمعت جرس الباب.

كانت السيدة كاستيفيت ومعها امرأة أخرى قصيرة، منفوخة. تعلق شارة

«انتخبوا باكلي لمنصب العمدة.» على صدر فستانها الأخضر.

قالت السيدة كاستيفيت، عندما فتحت روزماري الباب:

ـ مرحبًا عزيزتي، لن نضايقك، أليس كذلك؟ هذه صديقتي لورا لويز ماكبُرني، تسكن في الطابق الثاني عشر. لورا لويز، هذه هي زوجة جاي، روزماري.

ـ أهلا روزماري! مرحبا بك في برامفورد.

ـ لقد قابلت لورا لويز زوجك عندنا الآن، وأرادت أن تقابلك

أيضا. قال لنا جاي أنك لا تفعلين شيئا، أيمكننا الدخول؟

رفعت روزماري حاجبيها تعجبا، ثم قادتهما إلى حجرة المعيشة. قالت السيدة كاستيفيت:

ـ لقد اشتريتما مقاعد جديدة! رائعة!

ـ لقد وصلت هذا الصباح.

ـ هل أنت بخير يا عزيزتي؟ تبدين مرهقة.

ـ أنا بخير، فقط اليوم هو أول يوم للطمث.

سألت السيد لورا لويز، وهي تجلس:

ـ ولا زلتِ قادرة على الحركة؟ أيام طمثي الأولى تطرحني أرضا، فلا أستطيع النوم، ولا الحركة، ولا الأكل، ولا أي شيء.

قالت السيدة كاستيفيت، وهي تجلس أيضا:

ـ نساء هذه الأيام أكثر صحة منّا، فهن يتحملن أكثر. والشكر للفيتامينات والرعاية الصحية.

وكانت مع كل امرأة منهما حقيبة تطريز من الشكل واللون نفسيهما، ولدهشة روزماري، أخرجت كل منهما إبر الكروشيه والخيط، كأنما تتحضران لأمسية طويلة من الثرثرة وشغل الإبرة.

أشارت السيدة كاستيفيت بالإبرة تجاه ركن، وسألت:

ـ وما هذا هناك؟ غطاءٌ للمقاعد؟

ـ وسائد لمقاعد النافذة.

قالت روزماري لنفسها أنها ستحضر الخيط والإبرة وتجلس معهن تخيط الوسائد كإمرأة شمطاء. قالت لورا لويز:

ـ لقد أدخلتِ تحسينات كثيرة على الشقة يا روزماري.

وضعت السيدة كاستيفيت شيئًا ملفوفا بالمناديل الوردية في كف روزماري مضيفة:

ـ قبل أن أنسى، هذه لك من رومان ومنِّي.

شعرت روزماري بشيء صلب داخل اللفافة.

ـ هدية لي؟

ـ هدية صغيرة للغاية، بمناسبة سكنك هنا.

ـ لا داعي لـ...

بدأت روزماري في فض المناديل الورقية ـ المستخدمة من قبل ـ من حول الشيء الذي اتضح أنه سلسلة تيري المعلق فيها تميمة الحظ. وكانت رائحة القلادة نفاذة حتى أن روزماري أغلقت عينيها وأرجعت رأسها للخلف لا إراديا.

ـ هذه قلادة عتيقة، عمرها يزيد عن ثلاثمائة عام.

ـ جميلة.

أدارت روزماري التميمة في يدها، وهي تتسائل إن كانت ستخبرها بأن تيري أرتها إياها من قبل. لكن اللحظة المناسبة لقول شيء كهذا قد مرَّت.

ـ المادة الخضراء بداخلها هي جذور التانيس[1]؛ لجلب الحظ.

---

(١) جذور نبات خيالي

لم تجلب الحظ لتيري. كتمت روزماري خواطرها، وقالت:

ـ جميلة، لكن لا يمكنني قبول...

ـ لقد قبلتِها بالفعل.

ثم بدأت السيدة كاستيفيت في إكمال جورب بني، وتحاشت النظر إلى روزماري، ثم أردفت:

ـ ارتدِيها.

أضافت لورا لويز:

ـ ستعتادين الرائحة فورا.

ـ هيا، ارتدِيها.

ـ ..شكرًا لك.

ترددت روزماري لحظات، ثم ارتدتها حول عنقها، ودست التميمة داخل صدر فستانها. سقطت التميمة بين ثدييها، باردة، متطفلة. قالت روزماري لنفسها أنها ستخلعها فور رحيلهن.

قالت لورا لويز:

ـ صديق لنا سَبَك السلسلة يدويا خصيصا، فهو طبيب أسنان متعاقد ويهوى سبك المجوهرات من الذهب والفضة. ستقابلينه عند رومان ومينى في..في أمسية قريبة. لربما تقابلين كل أصدقائهما، كل أصدقائنا.

رفعت روزماري عينيها عن حياكة الوسادة، لترى وجه لورا لويز محمرا حرجا من السرعة التي قالت بها آخر عبارة. كانت مينى مشغولة فلم تلحظ أن لورا لويز ابتسمت لروزماري، فبادلتها الأخيرة الابتسام.

سألت لورا لويز:

ـ هل تحيكين ملابسك بنفسك يا روزماري؟

تركت روزماري الموضوع يذوى، فأجابت في حماس:

ـ كلا، أنا أحاول كل فترة، لكن بلا نتيجة مرضية.

تحولت الأمسية إلى مجلس محبب، فقد حكت السيدة كاستيفيت حكايات عن مراهقتها في أوكلاهوما، وعلّمت لورا لويز روزماري حيلتين في الحياكة، وشرحت لها كيف أن السيد باكلي يستحق الفوز بمنصب العمدة بالرغم من الظروف التي تقف ضده.

عاد جاي في الساعة الحادية عشرة، هادئا وسعيدا. ألقى التحية على النسوة، وجلس على المقعد المجاور لروزماري وقبَّل خدها. قالت ميني:

ـ الساعة الحادية عشرة! هيا بنا يا لورا لويز.

هتفت لورا لويز:

ـ زوريني في أي وقت يا روزماري.

أغلقت كلتا السيدتين حقيبتيّ التطريز الخاصة بهما، ورحلتا سريعًا.

قالت روزماري لجاي:

ـ هل كانت حكياته مُسلية كما في الليلة السابقة؟

ـ أجل. هل قضيتِ وقتا ممتعًا؟

ـ لقد أنجزت بعض العمل.

ـ لاحظتُ ذلك.

قالها وهو ينظر نحو الوسادة على فخذي روزماري.

ـ وقد حصلتُ على هدية كذلك.

أرَت روزماري التميمة لجاي وأضافت:

ـ كانت هذه تميمة تيري. لقد أعطوها لها وقد أرتها لي. لابد وأن الشرطة قد..قد أعادتها إليهما.

ـ ربما لم تكن ترتديها ليلتها.

ـ أراهن أنها كانت ترتديها. كانت فخورة بها، وكانت أول هدية تتلقاها في حياتها.

خلعت روزماري السلسلة وكومتها في كفها، وراحت تحدق فيها وتهزها.

ـ ألن ترتديها؟

ـ رائحتها شنيعة. المادة الموضوعة في التميمة تسمى جذور التانيس. لابد وأنها نبتت في الصوبة إياها.

قرب جاي التيمة من أنفه، وقال:

ـ ليست بهذا السوء.

ذهبت روزماري إلى حجرة النوم، وفتحت درجًا تحتفظ فيه بمجوهراتها، وأودعت التميمة في علبة من الصفيح مع أشياء أخرى بلا قيمة. ثم أغلقت الدرج.

كان جاي واقفا في فرجة الباب.، قال:

ـ لو قبَلتِها، فارتديها.

* * *

استيقظت روزماري في هذه الليلة، لتجد جاي جالسًا جوارها يُدخن في الظلام. سألته عما به، فهمس:

ـ لا شيء. بعض الأرق.

فكرت روزماري في أن حكايات رومان عن النجوم القدامى قد أصابت زوجها بالاكتئاب حين قارن إنجازاته بما أنجزه هينري أرفينج وفروبس. أيًا كان اسمه. عودته لسماع المزيد من القصص هي درب من تعذيب النفس.

وضعت روزماري كفها على ذراعه، وطلبت منه ألا يحمل همَّ شيء.

ـ لا أحمل هم ماذا؟

ـ أي شيء.

ـ حسنًا. لن أحمل هم شيء.

ـ أنت بارع يا جاي، بارع للغاية. يومًا ما ستضطر لتعيين لاعبي كاراتيه لحراستك من تلصص المصورين والمعجبين.

ابتسم جاي على خلفية من وهج سيجارته ولم يعلق. أكملت روزماري:

ـ وقريبًا ستحصل على كل ما تستحق..

ـ أعرف. اخلدي إلى النوم ياحبيبتي.

ـ حسنا. احذر رماد السيجارة.

ـ حسنا.

ـ اوقظني لو احتجتَ شيئا.

ـ بالتأكيد.

ـ أحبك.

ـ احبك يا رو.

* * *

بعد ذلك بيوم أو اثنين، جلب جاي تذكرتين لحضور عرض مسرحيٍّ شهير. وأخبرها أن دومينيك، مدرب الصوت، قد أعطاهما له. كانت روزماري تتوق لحضور العرض، لكن جاي كان قد حضره من قبل. قال لها:

ـ اذهبي مع هاتش. سيكون عليَّ أن أعمل في تلك الليلة.

كان هاتش قد حضر من قبل، فذهبت روزماري مع جوان جيليكو، والتي اعترفت لروزماري أنها ستنفصل عن زوجها ديك.

فلم يعد شيء مشترك بينهما سوى عنوان بيتهما. أحزن روزماري الخبر، فقد كان جاي مشغولا أيضًا بشيء لم يستطع إخفاءه ولا مشاركته معها. هل بدأت أولى خطوات انفصال صديقتها وزوجها بالظروف نفسها؟

كانت جوان تضع مساحيق التجميل بكثرة، وتهلل وتضحك بصوت عال أثناء العرض. لا عجب أنها وديك لا يملكان أرضية مشتركة. كانت جوان صاخبة وسوقية، بينما كان ديك متحفظًا وحساسًا، وكان زواجهما خطئًا من البداية.

عندما عادت روزماري للبيت، كان جاي خارجا من الحمام، أكثر حضورا وإشراقا مما كان عليه طيلة الأسبوع المنصرم. قالت له في سعادة أنه على أفضل حال ممَّا توقعت. ثم أخبرته بشأن جوان وديك وانفصالهما.

ـ لقد كانا من فصيلتين مختلفين منذ البداية. ما أخبار عملك اليوم؟

تشممت روزماري رائحة حجرة النوم، وهتفت:

ـ اللعنة على جذور التانيس.

كانت الرائحة النفاذة اللاذعة قد وجدت طريقها إلى هواء الغرفة، وتوغلت فيها. أحضرت روزماري قطعة من ورق القصدير ولفتها ثلاث مرَّات حول التميمة، وبرمت الطرفين؛ كي تحكم غلقها. قال جاي:

ـ على الأغلب كانت ستفقد حدة رائحتها خلال أيام.

ـ لو لم تفقد تلك الرائحة سأتخلص منها وسأخبر ميني أنها قد ضاعت.

راحت روزماري ترش الهواء بعطرها. ثم مارسا الحب، وكان جاي جامحا مُسيطرا. ولاحقًا سمعت روزماري من خلال الحائط المشترك حفلا في شقة رومان وميني. الغناء النشاذ نفسه، الذي سمعته من قبل، وكأنه إنشاد ديني. صوت عزف الفلوت نفسه أو الكلارنيت المصاحب للإنشاد.

* * *

خرج جاي للسهر والاحتفال الواجب بدور باومجارت الجديد، وعاد مخمورا فاقدا لربطة عنقه. في الصباح أخبرها وهو يعاني دوار الخمر أنه سيعيد إليه ربطة عنقه في أقرب فرصة.

مر يومان، واستيقظ جاي مشرقًا يوم الأحد التالي لسهرته، وعكف على تركيب أرفف خزانة حجرة النوم، ودعا بعضا من رفاق التمثيل إلى المنزل في الليل.

في يوم الإثنين، طلى الأرفف وخزانة الأحذية، واعتذر عن موعده للتدريب مع دومينيك، لكنه ظل منتبهًا لجرس الهاتف، الذي كان يرفع سماعته ملهوفا قبل أن يكمل جرسه.

دق جرس الهاتف في الثالثة عصرا، وسمعت روزماري جاي يقول:

- إلهي.. إلهي.. الرجل المسكين!

ذهبت روزماري إلى باب حجرة النوم، لترى جاي لا يزال يردد عبارات الفاجعة والحزن. كان جالسًا على طرف الفراش، ممسكا بالسماعة في يد، وفي الأخرى علبة من مزيل الطلاء ماركة الشيطان الأحمر، لم يكن ينظر نحوها.

- ولم يعرف أحد سبب حدوث ذلك؟ إلهي، هذا فظيع! نعم، بالطبع أوافق. لكنني أكره أن احصل عليه بهذه الطريقة. حسنا، سيكون عليك أن تتحدث إلى آلان بخصوص هذا الأمر. نعم، آلان ستون وكيلي، لكن لن يكون ثمة مشكلة.

كتمت روزماري أنفاسها في شوق لمعرفة كنه هذا الشيء الهام الذي حصل عليه جاي.

- شكرًا سيد وايس، وأخبرني لو عرفت أي أخبار. شكرًا.

اغلق جاي الخط كما أغلق عينيه، وجلس بلا حركة بينما يده لا تزال فوق سماعة الهاتف. كان شاحبا كتمثال شمع يرتدي ملابس حقيقية، ويمسك هاتفا حقيقيا، وعلبة مزيل طلاء حقيقية.

- جاي؟

فتح عينيه، ونظر لها.

ـ ماذا حدث؟

ـ دونالد باومجارت. لقد أصيب بالعمى. استيقظ أمس وقد فقد بصره.

ـ إلهي، لا!

ـ حاول الانتحار هذا الصباح. يرقد الآن في المستشفى تحت تأثير المهدئات.

نظر كل منهما للآخر في ألم.

ـ لكنني حصلت على الدور. ويالها من طريقة للحصول عليه!

نظر لعلبة مزيل الطلاء في يده ووضعها على الكومود، مردفًا:

ـ اسمعي. أريد أن أخرج لأتمشى قليلا. عليَّ أن أهضم كل هذا.

ـ أتفهم بالطبع..

وبعدت روزماري عن الباب، فخرج جاي من باب الشقة تاركا إياه ينغلق من تلقاء نفسه خلفه.

عادت روزماري إلى حجرة المعيشة، وراحت تفكر في البائس دونالد باومجارت، والمحظوظ جاي وودهاوس. لو أن جاي قد حصل على الدور بالفعل، فسيتغير مستقبله تماما، وربما يصل إلى البطولة المطلقة والسينما. سينتقلان إلى لوس أنجيليس، وسيقيمان في مزرعة مرفق بها حديقة مزروعة بالتوابل، وستنجب ثلاثة أطفال، بين الطفل والآخر عامين.

المسكين دونالد باومجارت، ذو الاسم العجيب الذي لم يُتح له تغييره، لابد وأنه كان موهوبا ليختاروه بدلا من جاي. لكنه الآن يرقد في

المستشفى، أعمى، يتمنى الموت.

جلست روزماري على الوسادة التي تبطن إفريز النافذة، ونظرت نحو باب المبنى الرئيسي، منتظرة أن ترى جاي خارجًا منه. هل سيحضر جلسات للتدريب مرَّة أخرى؟ ستحب أن تحضر معه تلك الجلسات خارج المدينة. أين سيعرضون المسرحية؟ في بوسطون؟ فيلادلفيا؟ واشنطن؟ لم تذهب إلى واشنطن من قبل. بينما جاي يحضر التدريب، ستذهب لزيارة معالم المدينة، وفي المساء ستحضر معه الحفلات مع النجوم.

انتظرت روزماري أن يخرج جاي من البوابة لكنه لم يفعل. لابد وأنه قد خرج من الباب الخلفي المطل على شارع رقم ٥٥.

* * *

والآن، بينما كان من المفترض أن يسعد، تجده روزماري مهمومًا، يجلس فلا يتحرك فيه شيء إلا كفه الممسكة بسيجارته، وعيناه.

كانت عيناه تتبعانها كلما تحركت في الشقة، وكأنه يراقب كائنًا خطرًا. سألته عن ما به عشرات المرَّات.

ـ لا شيء. أليس اليوم هو موعد ورشة تعلم النحت؟

ـ أنا لم أذهب منذ شهرين.

ـ لماذا لم تذهبي؟

عندما ذهبت، حطمت النموذج الأوليّ المصنوع من اللدائن التي كانت تعمل عليه، ثم بدأت نموذجا جديدا وسط الدارسين الجُدد.

كان المّدرب يرتدي نظارة، وينحت تفاصيل جذع تمثال دون أن

ينظر إليه. تحركت تفاحة آدم في عنقه عندما سألها:

ـ أين كنتِ؟

ـ في زَنزيبار.

ابتسم في عصبية، وقال:

ـ لم تعد ثمة بلد تُدعى زَنزيبار، الآن يدعونها تانزانيا.

* * *

في يوم لاحق بعد عودتها من الخارج، وجدت أزهارا على منضدة المطبخ، وأزهارا في حجرة المعيشة. وكان جاي خارجا من غرفة النوم يحمل زهرة في يده ويبتسم معتذرا.

ـ لقد كنت شخصا غبيا. كل هذا بسبب إحساسي بالذنب؛ لكوني أتمنى أن لا يعود لباومجارت بصره. يا لي من حقير.

ـ شعورك هذا طبيعي تماما. طبيعي أن تشعر بشعورين متناقضين تجاهه.

قاطعها جاي، وهو يدفع الزهرة تجاه أنفها، ثم قال:

ـ اسمعي، لو أن العالم كله قد انهار من حولي، لن أظلمك أو أحرمك من حقوقك أبدا.

ـ أنت لم..

ـ بل ظلمتك. لقد ظللت أعوامًا أحيا من أجل أحلامي وعملي، ولم افكر لحظة في أن أمنحك حلمًا. لننجب طفلا، موافقة؟ لننجب ثلاثة أطفال دفعة واحدة!

نظرت روزماري لجاي دون أي تعبير.

ـ طفل يا رو.. طفل.. جوجو؟ ماما؟ واوا؟

ـ هل تعني ما قُلت؟

ـ بالطبع، حتى أنني وجدت الأيام المناسبة لذلك: الإثنين والثلاثاء القادمين. الأيام الخطرة، أتذكرينها؟

بدأت الدموع في الاحتشاد في عينيها، وقالت:

ـ أنت تعني ما قلت بالفعل يا جاي؟

ـ لا، أنا فقط أمزح! بالطبع أعني ما قُلتُ. روزماري، لو سمحتِ لا تبكي. يؤلمني بكاؤك للغاية. توقفي عن البكاء.

ـ حسنا. لن أبكي.

ـ أعتقد أنني بالغت قليلا في أمر الأزهار. حجرة النوم مليئة بها.

الفصل الثامن

ذهبت روزماري إلى برودواي لشراء شرائح سمك «أبو سيف»، ثم قطعت المدينة حتى طريق ليكسنجتون؛ لشراء الجبن.

كان في مقدورها الحصول على تلك الأطعمة بالقرب من بيتها، لكنها رأت أن نهارا صافيا كهذا يستأهل أن تجول فيه قليلا في شوارع المدينة، ومعطفها يطير من حول جسدها، تسترق النظر إلى واجهات المحلات لتتأكد من جمال صورتها المنعكسة على الزجاج.

كان اليوم هو يوم الإثنين، الرابع من أكتوبر. وهو اليوم الموعود لزيارة البابا للمدينة. وحدث كهذا جعل الناس أكثر صفاءً وانفتاحًا من أي يوم آخر. خطر في بال روزماري أن المدينة سعيدة في اليوم ذاته الذي تشعر فيه هي بسعادة قصوى.

تابعت روزماري جولات البابا في التلفاز خلال فترة ما بعد الظهيرة. وكانت قد نقلت التلفاز إلى ما ستكون ـ قريبًا ـ حجرة الأطفال؛ حتى تستطيع مشاهدته من المطبخ، أثناء إعدادها السمك والخضروات والسلاطة.

أراحتها كثيرا خطبة البابا في الأمم المتحدة، وشعرت أنها ربما تخفف من وطئة حرب فييتنام. كان يقول: «لن تستمر الحرب.» أليس لكلمات كهذه تأثير يلين قلوب أعتى رجال الدولة؟

في الرابعة والنصف، بينما كانت تُعد المائدة أمام المدفأة، دق جرس الهاتف.

ـ روزماري؟ كيف حالك؟

ـ بخير، كيف حالك أنتِ؟

كانت المتصلة هي مارجرِت، إحدى أختيها.

ـ بخير.

ـ أين أنت يا مارجرِت؟

ـ في أوماها.

لم يكن ثمة ود بينهما قط. كانت مارجرِت ممتعضة متجهمة طيلة حياتها، وكانت توكل إليها أمهما بمهام المُربية والحامية لإخوتها الصغار. اتصال كهذا منها أثار الريبة في نفس روزماري.

ـ هل كلكم بخير؟

وكانت تريد أن تسأل، هل مات أحد منكم؟ أبي؟ أمي؟ برايان؟

ـ كلنا بخير.

ـ فعلا؟

ـ فعلا. هل أنتِ بخير يا روزماري؟

ـ لقد أخبرتك أنني بخير.

ـ لقد روادتني أفكار غريبة عنك يا روزماري طيلة اليوم. شعور بأنك في خطر ما. حادث أو أنك مصابة، وفي المستشفى.

ـ أنا بخير.

ـ كان إحساسا غريبا. كنت متاكدة أن شيئًا ما قد حدث لكِ. ثم اقترحت علي جين أن أتصل بك لأطمئن.

ـ وكيف حالها؟

ـ بخير.

ـ والأولاد؟

ـ فيما عدا الخدوش والكدمات العادية، فالأولاد جميعهم بخير. ولدي طفل آخر في الطريق. وأنتِ؟

ـ لا، لم أكن أعرف، رائع. متى موعد الولادة؟

ـ في نهاية مارس. كيف حال زوجك يا روزماري؟

ـ هو بخير، وقد حصل على دور في مسرحية جديدة.

ـ كنتُ أقول، هل رأيتِ البابا عن قرب؟ لابد وأن الاحتفالات قائمة على قدم وساق لديكم.

ـ بالفعل، شاهدت الزيارة على التلفاز. لديكم احتفالات في أوماها أيضا.

ـ ألم تشاهديه وجها لوجه؟ ألم تخرجي لتتشرفي بالنظر إليه؟

ـ لا، لم أخرج.

ـ حقًا؟

ـ حقًا.

ـ بالأمانة يا روزماري، تعرفين أن أبي وأمي كانا ليطيرا ليلقياه في أي مكان. الكثير من الجيران قد سافروا لملاقاته: آل دونوفان، ودوت وساندي والينجفورد. وأنت هناك، تعيشين بالقرب من مكان زيارته ولم تذهبي؟

ـ لم يَعُد الدين يعني لي شيئا كما كان يعني في الماضي.

ـ كان هذا متوقعًا.

وتخيلت روزماري باقي عبارة أختها، «كان هذا متوقعًا طالما تزوجتِ من بروتستانتي».

ـ كان لطيف منك أن تتصلي يا مارجرِت. لا شيء لتقلقي بشأنه. لم أكن قط في مثل تلك الصحة والسعادة التي أنا عليهما الآن.

ـ لقد كان إحساسا قويا، منذ اللحظة التي استيقظتُ فيها. كنتُ معتادة على العناية بكم أيها الحمقى.

ـ أبلغي الجميع تحياتي، واطلبي من برايان أن يرد علَى خطابي.

ـ سأفعل. روزماري.

ـ نعم؟

ـ لا زالت أشعر بذلك الإحساس المقيت. ابقِ في المنزل. اتفقنا؟

ـ هذا ما خططنا له بالفعل.

قالتها روزماري وهي تنظر نحو المائدة العامرة بالطعام المنمق.

ـ ممتاز. خذي حذرك.

ـ سأفعل. وداعا مارجِرت.

ـ وداعا.

عادت روزماري لتنسيق المائدة، شاعرة بحزن وحنين إلى أيام طفولتها، ولمارجِرت وبرايان وباقي إخوتها. ولأوماها ولماضٍ لن يعود.

بعد أن أعدت الطاولة، ذهبت للاستحمام، ثم وضعت البودرة وتعطرت، وأتمت زينتها، ثم ارتدت بيجاما مخملية في لون النبيذ، أهداها لها جاي في الكريسماس الماضي.

عاد جاي مُتأخرا، بعد الساعة السادسة. قبلها، وقال:

ـ إمم.. تبدين مستعدة لتناول الطعام. اللعنة!

ـ ماذا؟

ـ نسيتُ الفطيرة!

وكان قد طلب منها ألا تصنع حلوى، لأنه سيشتري الفطيرة المفضلة لديها على الإطلاق، فطيرة اليقطين، من محل هورن آند هاردارت الأشهر في نيويورك.

ـ سأركل نفسي حتى الصباح. لقد مررت على فرعين من المحل. ليس فرعا واحدا، وإنما فرعين!

ـ لا عليك. يمكننا تناول الفاكهة والجبن. هذه هي التحلية المُفضلة لدي.

ـ لا، فطيرة يقطين هورن آند هاردارت هي المفضلة لديكِ.

ذهب جاي ليغتسل، بينما وضعت روزماري الفطر المحشو داخل الفرن، وراحت تُعد السلاطة.

بعد دقائق، عاد جاي إلى المطبخ وهو يغلق أزرار قميصه الأزرق المخملي. كان متوهجًا، مُتسشارًا، كأول مرَّة مارسا فيها الحب. وقد أسعد روزماري أن تراه في هذه الحال.

ـ صديقك البابا عطل المرور اليوم.

ـ هل رأيت تغطية التلفاز؟ كانت رائعة.

ـ رأيت لمحة عند آلان.

ـ لقد ألقى خطبة ممتازة في الأمم المُتحدة.. هتف: لن تستمر الحرب!

* * *

تناولا النبيذ والفطر المحشو في غرفة المعيشة، ووضع جاي بعض أوراق الجرائد والأخشاب في المدفأة، مع قطعتين من الفحم. ثم أشعل ورق الجرائد بالكبريت، فهبَّ اللهب والدخان المسود يتصاعد من المدفأة، ويعبق المكان. صاحت روزماري:

ـ إلهي.. الطلاء! الطلاء!

فتح جاي المدخنة، وشغل مكيف الهواء؛ كي يسحب الدخان.

حين استقرت الأمور، ركعت روزماري جوار المدفأة مُمسكةً شرابها، وراحت تحدق في الفحم المشتعل، وقالت:

ـ أليس هذا رائعًا؟ أتمنى لو يكون شتاءً قارسا لم ير أحد مثله منذ ثمانين عاما.

شغَّل جاي أغنية لإيلا فيتزجيرالد، بينما يتناولان شرائح سمك أبو سيف. ثم دق جرس الباب. قام جاي هاتفًا:

ـ اللعنة!

ذهب جاي لفتح الباب وألقى منشفته أرضا في حنق. مالت روزماري خلفًا لتسمع جيدا.

على الباب كانت ميني.

ـ اهلا جاي!

وغمغت بالمزيد مما لم تفهمه روزماري، كانت فقط تردد في نفسها: «لا تدعها للدخول ياجاي.»

عاد إليها صوتي جاي وميني، ولم يكن الحديث يُمهِّد لدخولها. ثم سمعت صوت الباب ينغلق، والقفل يُحكم. فانتظرت روزماري حتى عاد جاي مبتسمًا وكلتا يديه خلف ظهره.

ـ من قال أن توارد الخواطر كذبة؟

مد يديه أمامه، ووضع كوبين من الكاسترد أمامها. ثم أردف:

ـ سنتناول تحلية بالرغم من كل شيء.

أخذ كوبا، ودفع الآخر إلى جوار كأس روزماري.

ـ موس الشوكولا، أو شكولاتة بالفأر[1]. هكذا نطقتها ميني، وقالت أن علينا الحذر منها؛ كي لا يعضنا الفأر!

ضحكت روزماري، وقالت:

---

(1) MOUSSE AU CHOCOLAT
حلوى بودينج بالشوكولاتة. تتشابه أول كلمة من الاسم مع كلمة فأر الإنجليزية MOUSE

ـ جميل. هذا بالضبط ما كنت أتوق لأكله.

ـ أرأيتِ؟ توارد خواطر!

ـ كنت أخشى أن تدخل وتمكث طيلة الأمسية.

ـ كانت فقط تريد تجربة موس الشوكولا فينا، تقول أنها تبرع فيه.

ـ يبدو شهيًا.

ـ بالفعل.

كانا الكوبين مُفعمين بدوامات من الشوكولاتة الكثيفة، وكان يعلو كوب جاي المكسرات المفرومة، بينما كوب روزماري مُكللا بنصف حبة جوز. قالت روزماري:

ـ لكم هو لطيف أن تهدينا تلك الحلوى. لا يجب أن نسخر منها مجددا.

ـ لديك حق.

كان موس الشوكولاتة ممتازا، لكن كان له مذاق خفيف يُذكِّر روزماري بطعم الطبشور. حاول جاي أن يجد ما تزعمه روزماري من طعمٍ غريب، لكنه لم يستطع. وضعت روزماري ملعقتها جانبًا قبل أن تنهي كوبها، فسأل جاي:

ـ ألن تنهي كوبك؟ لا يوجد طعم غريب على الإطلاق.

أصرت روزماري على وجود ذلك الطعم.

ـ لقد قضت العجوز الليالي جوار الموقد؛ كي تصنع لنا تحلية، كليها.

ـ لكنها لا تعجبني!

ـ إنها شهية.

ـ يمكنك أن تكمل كوبي.

تجهم جاي، وقال:

ـ حسنا، لا تأكليه. أنت لا ترتدين التميمة التي أهدتها لك، فلا غرابة في أن لا تأكلي طعامها.

نظرت له روزماري في حيرة، وسألت:

ـ ما علاقة كل أمر منهما بالآخر؟

ـ كلاهما دليل على.. على القسوة. منذ دقائق كنت تطلبين منِّي أن نكف عن السخرية منها، وما تفعلينه هو شكل آخر للسخرية. أن تقبلي منها شيئا ثم لا تستعمليه.

أمسكت روزماري بملعقتها، وهتفت:

ـ أوه.. أنت تحيل الموضوع إلى شجار.

دست روزماري ملعقة مليئة بالحلوى في فمها، فقال جاي:

ـ لن يتحول الأمر إلى شجار. إن كنت لا تريدين أكله فلا تأكليه.

أخذت روزماري ملعقة أخرى من الحلوى، وقالت:

ـ شهي. ولا أثر لأي طعم غريب مثل الطبشور. شغل لنا أغنية أخرى.

قام جاي لتغيير شريط التسجيل، فوضعت روزماري ملعقتين من البودنج في منديلها سريعا، ثم أخفته وراحت تحك ما بقي في الكوب بالملعقة كأنها أكلته.

ـ انظر يا أبي، هل أستحق نجمة ذهبية لأكلي كل ما في طبقي؟

ـ نجمتين. آسف لو كنتُ حادًّا معك.

ـ كنت كذلك بالفعل.

ابتسم جاي، وقال:

ـ آسف.

ـ سامحتك. أنت تراعي مشاعر السيدات المُسنات، هذا يعني أنك ستراعيّ مشاعري حين أكبر.

تناولا ـ لاحقًا ـ القهوة، وقالت روزماري:

ـ اتصلت بي مارجرِت في الصباح.

ـ مارجرِت؟

ـ أختي.

ـ هل كل شيء على ما يرام؟

ـ نعم، لكن كان لديها حدس أنني في مأزق ما.

ـ ثم؟

ـ طلبت منِّي أن نمكث في المنزل الليلة.

ـ اللعنة، لقد حجزت في مطعم نيديك الليلة!

ـ الغ الحجز إذًا.

ـ كيف تكونين عاقلة بينما كل عائلتك من المجانين؟

* * *

باغتت موجة الدوار الثانية روزماري، بينما كانت تنظف بقايا موس الشوكولاتة، الذي لم تأكله من منديلها. تمايلت للحظات، ثم أغمضت عينيها ونظرت أمامها عابسة. سمعت صوت جاي من حجرة الأطفال حيث التلفاز يهتف:

ـ البابا لم يصل بعد لإستاد اليانكي. ياله من تجمهر!

ـ سآتي حالا.

هزت روزماري رأسها، ووضعت المنديل المتسخ داخل الشرشف المطوي، وراحت تملأ حوض الغسيل بالماء والصابون، وتغطس فيه الأطباق والأوعية حتى الصباح.

كانت موجة الدوار الثالثة حين كانت تعلق المنشفة. ظل الشعور بالدوار لوقت أطول، بينما الغرفة تدور من حولها، فتمسكت بحافة الحوض.

عندما زال الدوار همست:

ـ إلهي!

أعزت الدوار إلى ما شربته من نبيذ وقهوة. سارت روزماري حتى باب الحجرة وحاولت أن تُبْقِي على توازنها بالتشبث في مقبض الباب. قام جاي فَزِعا، وقال:

ـ ماذا بك؟

ـ بعض الدوار.

أغلق جاي التلفاز، أحاط جذعها بذراعه؛ ليقيمها.

ـ لا عجب في ذلك، مع ما تناولتيه من النبيذ على معدة فارغة.

سار معها حتى حجرة النوم، وعندما تمايلت أكثر، حملها وأراحها على الفراش. جلس جوارها وراح يدلك جبينها.

أغمضت روزماري عينيها، وكان الفراش كأنما يطفو فوق الماء، يتأرجح ويتمايل كأنه يهدهدها.

ـ رائع.

ـ كل ماتحتاجينه هو النوم بعمق.

ـ لكن، علينا أن نحاول اليوم الحصول على طفل.

ـ سنفعل غدا، لا يزال أمامنا وقت.

ـ سأفوِّت القداس.

ـ نامي. كل ما تحتاجينه هو النوم.

ـ سأغفو قليلا لدقائق.

قالتها، ورأت نفسها تجلس على يخت الرئيس كينيدي، حاملة كأسًا من الخمر. كان يوما مشمسًا، يوما مثاليًا لرحلةٍ بحرية.

كان الرئيس ينظر في خريطة ضخمة، ويعطي التعليمات لرجل زنجيٍّ.

خلع جاي النصف العلوي من بيجامتها. همست:

ـ لم تخلعه؟

ـ كي تشعري براحة أكبر.

ـ انا مرتاحة.

ـ نامي يا رو.

رغم كونها نائمة تقريبا، إلا إنها شعرت بأنها أصبحت شبه عارية إلا من ملابسها الداخلية.

لكن النسوة الأخريات علَى اليخت يرتدين لباس السباحة ـ أيضا ـ الذي يبدو كملابسٍ داخلية. لذا فلا شيء كي تقلق روزماري بشأنه.

كان الرئيس مرتديا بذلته البحرية، وقد نجا من الاغتيال، وكان يبدو أفضل مما كان عليه من قبل.

كان هاتش يقف عند مُقَدَّمِ اليخت، حاملا أدوات قياس الطقس. سألت روزماري الرئيس:

ـ هل سيأتي هاتش معنا؟

رد عليها، مبتسما:

ـ الكاثوليكيون فقط، ولكم كنت أتمنى أن لا نكون مضطرين للالتزام بهذه التحيزات، لكن للأسف نحن مضطرون.

ـ وماذا عن سارة تشرشل؟

تلفتت روزماري حولها فلم تجدها، بعد أن كانت جالسة وسط النسوة منذ قليل. لكن أمها وأبوها وعائلتها كانوا جالسين مكان سارة تشرشل، وكانت أخواتها كلهن حوامل.

كان جاي يخلع خاتم زواجهما، تسائلت عن السبب، لكنها كانت أكثر تعبًا من أن تسأل.

كان اليوم هو أول يوم لافتتاح كنيسة سيستين في إيطاليا، أمام الزائرين،

وكانت روزماري تتفحص سقفها المهيب، وهي فوق مصعد أفقي تم تركيبه ليسهل على الزائرين رؤية المعجزة، التي رسمها مايكل أنجلو على السقف.

رأت روزماري اللوحة التي تمثل الرب يمد أصبعا إلى آدم، معطيا إياه نفخة الروح الربانية.

شعرت روزماري وكأنما يتم سحبها إلى داخل خزانة المفروشات في الصالة. سمعت جاي يقول:

ـ على مهلٍ.

وقال رجل آخر:

ـ لقد أسكرتها بشكل زائد.

صرخ هاتش:

ـ إعصار قتل خمسا وخمسين شخصا في لندن، وهو قادم إلينا!

وعلمت روزماري أنه مُحق، وكان عليها أن تُبلغ الرئيس. السفينة متجهة لكارثة.

لكن الرئيس لم يكن في مكانه، وقمرة القيادة كانت خاوية. لم يكن ثمة أحد على ظهر اليخت إلا الزنجي الذي كان يمسك عجلة القيادة؛ ليثبتها على طريقها.

ذهبت روزماري إليه، ثم اكتشفت أنه يكره كل ذوي البشرة البيضاء، ويكرهها.

ـ عليكِ النزول إلى أسفل اليخت يا سيدتي.

قالها في أدب وكره في الوقت نفسه، دون أن يسمع حتى التحذير التي جائت من أجله.

في الأسفل، قاعة ضخمة للرقص، وعلى جانب منها كنيسة محروقة، وعلى الجانب الآخر رجل ذو ذقن أسود، يحدق فيه.

في منتصف قاعة الرقص كان فراش، تمددت هي عليه. فجأة وجدت نفسها محاطة بعدد من الرجال والنساء العراة، يزيدون في عددهم عن العشرة. وكان جاي من ضمنهم.

كانوا جميعا من كبار السن، وكانت النسوة ذوات أثداء مترهلة. ميني وصديقتها لورا لويز كانتا معهم، وكذلك رومان، وكان يرتدي معطفا حريريا أسود، وتعلو رأسه عمامة كنسية سوداء.

راح رومان يغمس طرف عصا سوداء في سائل أحمر، يحمله في كأسٍ رجل ذو شارب أبيض، ثم يرسم بطرف العصا على جسدها.

تحركت العصا أماما وخلفها على بطنها، وصولا إلى ما بين فخذيها.

راح الأناس العراة ينشدون في لحن نشاز، كلمات بلغة غريبة، مع عزف الفلوت أو الكلارينيت. همس جاي لميني:

ـ لقد أفاقت، وترانا الآن!

كان جاي متسع العينين خوفا، قالت له ميني:

ـ لن ترانا أو تسمعنا طالما أكلت البودينج. هي كالميتة. الآن، أنشد معنا.

دخلت جاكلين كينيدي إلى قاعة الرقص، مرتدية فستان أبيض، مشغولا باللؤلؤ. اقتربت من روزماري، وقالت لها:

ـ لكم أنا حزينة لمعرفة أنك لستِ بخير.

أخبرتها روزماري عن عضة الفأر، وطلبت منها أن لا تقلق، في محاولة منها لتسفيه الأمر.

قالت جاكلين كينيدي:

ـ عليكي أن تربطي ساقيك، في حال تشنّجتِ.

ـ لديكِ حق، ففرصة إصابتي بالسعار ورادة بعد عضة فأر.

شاهدت روزماري خيطينِ من الدخان الأبيض، يلتفان حول ساقيها وذراعيها، ويربطهم إلى الزوايا الأربع للسرير.

قالت جاكلين:

ـ لو أن الموسيقى تزعجك، أخبريني وسأوقفها.

ـ أوه، لا، لا تغيري برنامجكم من أجلي. الموسيقى لا تضايقني أبدًا.

ـ حاولي أن تنامي، وسوف ننتظرك على سطح اليخت.

رحلت جاكلين كينيدي، ومن خلفها تطاير فستانها الأبيض. نامت روزماري لدقائق، ثم جاء جاي وضاجعها. كان عنيفا، يعتصر جسدها بكفيه طويلتي الأظفار.

رفع ساقيها عاليًا وضاجعها بعنف شديد. تألمت بشدة، وهو يسحق صدرها بصدره العريض المغطى برداء جلدي ما كالدرع. وكانت تشعر به وكأنه شخص مختلف تماما. حين فتحت عينيها رأت عينين صفراوين تحدقان فيها من فوقها، وشمت رائحة الكبريت وجذور التانيس، وسمعت أنفاسًا شبقة تتردد.

قالت لنفسها إن ما يحدث ليس حلمًا. فتحت عينيها مستنجدة، لكن شيئا ما غطى وجهها فأصابها الدوار.

راح الدرع الجلدي يصطدم بها مرارًا، ويسحقها تحته، بينما دخل البابا حاملا حقيبة جلدية، ومعطفا على ذراعه. قال لها:

- جاكلين أخبرتني أن فأرا قد عضك.

- هذا صحيح، لذا لم أستطع الذهاب لرؤيتك.

كانت تتحدث في حزن، حتى لا يشعر بشبقها.

- لا تهتمي، لن نريد أن نَضُرَّ صحتك.

- هلا غفرت لي يا أبي؟

- بالتأكيد.

مد كفه إليها؛ كي تُقبل خاتمه، وكان الخاتم عبارة عن كرة فضية قطرها حوالي بوصة، وفي داخل الكرة آنّا ماريا البيرجاتّي صغيرة للغاية.

قبلت روزماري الخاتم، فهرع البابا خارجا ليلحق بطائرته.

الفصل التاسع

قال جاي لروزماري النائمة:

ـ الساعة تجاوزت التاسعة.

مدت روزماري ذراعها أمامها وانقلبت على بطنها، وغاصت في الوسادة:

ـ اتركني لخمس دقائق فقط.

مسد جاي شعرها، وقال:

ـ لا، عليَّ أن أخرج للقاء دومينيك في العاشرة.

ـ كُلْ شيئًا إذًا.

ـ بالتأكيد سأفعل.

ثم ضرب مؤخرتها برفق من فوق الأغطية.

عادت كل ذكريات الليلة الماضية لروزماري. الأحلام والخمر وحلواء ميني والبابا، وكل اللحظات التي وعت فيها لحقيقة كونها غير نائمة.

قامت روزماري جالسة، متكئة على ذراعيها، تنظر إلى جاي يشعل سيجارة، وذقنه يحتاج إلى حلاقة. كان يرتدي البيجاما، وكانت هي عارية.

ـ كم الساعة الآن؟

ـ التاسعة وعشر دقائق صباحا.

ـ ومتى نمتُ؟

ـ في الثامنة والنصف من مساء أمس، وحرفيًا لم تَنَمِي، لقد فقدتِ الوعي. من الآن فصاعدا لن تتناولي أي خمور.

راحت تحك جبينها وأغمضت عينيها، وقالت:

ـ راودتني أحلام غريبة؛ كينيدي، والبابا، ورومان، وميني..

فتحت عينيها وأبصرت خدوشًا على ثديها الأيسر. أزاحت الغطاء لتجد المزيد من الخربشات على كامل جسدها. نظر لها جاي ومد كفه إليها، قال:

ـ لا تقولي. لقد قصصت أظفاري أمس.

نظرت روزماري لأظفاره في شرود. أردف جاي:

ـ لم أكن أريد أن أفقد ليلة يمكننا الإنجاب فيها.

ـ هل تعني أنك...؟

ـ أعتقد أن ظفرين من كفي كانا خشنين.

ـ هل ضاجعتني بينما كنت فاقدة للوعي؟

هز جاي رأسه، وابتسم قائلا:

ـ كان ذلك من باب التغيير النيكروفيلي.[1]

---

(1) NECROPHILIA نيكروفيليا- شهوة مضاجعة الموتى
خلل نفسي غير شائع.

نظرت روزماري للجهة المقابلة، متحاشية النظر إليه، وغطت فخذيها، ثم قالت:

ـ حلمت أن أحدهم كان يغتصبني، لا أعرف من هو، شخص غير بشري.

ـ شكرًا!

ـ وكنت أنت أيضا في الحلم، وميني، ورومان وأناس آخرون. كنا في ما يشبه الاحتفال الطقسيّ.

ـ حاولتُ إيقاظك لكنك كنتِ في عالمٍ آخر.

استدارت روزماري وأنزلت ساقيها من السرير، سألها جاي:

ـ ما بكِ؟

ظلت جالسة في مكانها، متحاشية تلاقي الأعين.

ـ لا شيء، فقط أشعر بغرابة تصرفك وفعلتك تلك وأنا غائبة عن الوعي.

ـ أنا لم أرد أن افقد ليلة مهمة كهذه.

ـ كان يمكننا فعلها في الصباح، أو الليلة. لم تكن ليلة أمس هي الثانية الوحيدة المتاحة طيلة الشهر. حتى ولو كانت ف...

قاطعها جاي، وهو يحرك أصبعه برفق على طول ظهرها:

ـ كنت أظنك لن تغضبي..

ابتعدت روزماري عن لمسته، وقالت:

ـ كان علينا مشاركة لحظة كهذه، لا أن تحظى بها وحدك وأنا نائمة.

قامت روزماري لتُخرج معطفها المنزليّ من الخزانة، وأردفت:

ـ لا عليك. أعتقد أنني أفكر بسخافة.

ـ آسفٌ لأنني خدشتك؛ كنتُ مأخوذا باللحظة.

* * *

بعد رحيل جاي، غسلت روزماري الأطباق والأوعية، وأعادت للمطبخ رونقه ونظافته. ثم فتحت نوافذ حجرة المعيشة وحجرة النوم، فقد تعبق المنزل برائحة دخان المدفأة ليلة أمس.

ثم أخذت حماما طويلا، بالماء الحار أولا ثم البارد، سامحة لأفكارها بأن تنظم نفسها؛ لتستطيع استنتاج شيء ما من كل تلك الخواطر المتزاحمة.

هل كانت ليلة أمس هي الليلة المناسبة للتلقيح كما زعم جاي؟هل تكون حاملًا الآن؟ لا تهم الإجابات، فقد كانت تعيسة على الرغم من كل شيء، وقد بدت سخيفة لذلك.

جاي قد أخذها دون علمها، ضاجعها كجسد مهمل بلا حيلة. «كان ذلك من باب التغيير النيكروفيلي». تغيير يُنحّي حضور الطرف الآخر بكامل حواسه ومشاعره. حتى أنه قد تحول لوحش يغتصب ويخدش ويُدمي.

لقد تسبب ما فعله في كابوس، تكاد أن تكون متأكدة من كونه حقيقيًّا حتى أنها لا زالت تشعر بعصا رومان تتحرك على بطنها. راحت تنظف جسدها بالمزيد من الصابون وهي تفكر في أن ما فعله جاي كان من أجل إنجاب طفل، وكان قد شرب قدر ما شربته من خمر. لكنها كانت تتمنى أن لا يؤثر في زوجها أي مؤثر يدفعه لاغتصابها بهذا الشكل.

راجعت روزماري أحداث الشهر الماضي، وبالأخص الأسبوعين المنصرمين. كان جاي يعاني بشدة من اختلاف ما يفعله عما يشعر به. لكنه كان ممثلا، فهل يوجد من يستطيع معرفة الحقيقة من التمثيل مع من هم في براعته؟

يتطلب الأمر أكثر من الاستحمام؛ كي تزيل هذه الخواطر عن رأسها. أغلقت الصنبور وعصرت شعرها بين كفيها.

في طريقها للتسوق، دقت جرس باب آل كاستيفيت؛ لتعيد إليهما كوبي البودنج. سألتها ميني:

ـ هل أعجبك؟ أعتقد أن مقدار الكاكاو قد زاد منِّي قليلا.

ـ لقد كان شهيا، يجب أن أعرف منك الطريقة.

ـ بالتأكيد. هل ستذهبين للتسوق؟ هل يمكنك أن تسدي إليَّ مساعدة؟ أريد ست بيضات وبرطمانا من القهوة منزوعة الكافيين، وسأعطيك المال لاحقًا. أكره أن أنزل لشراء غرض أو اثنين فقط.

* * *

كانت المسافة بينها وبين جاي تتسع، لكن لم يبدُ جاي واعيًا لذلك. كانت بروفات مسلسله الجديد ستبدأ في نوفمبر، وكان يقضي وقتا طويلا في التدريب علَى دوره، وتناول العشاء مع رفاقه، وزيارة مواقع تصوير العمل.

في الأوقات التي كانا يقضيانها سويا، كان حديثهما مقتصرا على الأخبار والأثاث. كانا يحضران افتتاح المعارض الفنية، وتصوير الأفلام، والعروض الموسيقية، وبدا لها أن جاي يتعمد أن لا ينظر إليها مباشرة.

كان دائم التشاغل بالقراءة أو مشاهدة التلفاز، وكان يهرع للفراش وينام قبل أن تصل هي.

ليلة واحدة ذهب فيها إلى آل كاستيفيت ليسمع بعضا من حكايات رومان، وبقيت هي في الشقة تشاهد التلفاز.

على مائدة الإفطار في اليوم التالي، سألت روزماري زوجها:

ـ ألا ينبغي أن نتحدث عن الأمر؟

ـ أي أمر؟

نظرت إليه وبدا بالفعل أنه لا يعرف عن أي شيء تتحدث.

ـ الحوار الذي كان يدور بيننا.

ـ ماذا تعنين؟

ـ لمَ كففت عن النظر إليَّ؟

ـ عمَ تتحدثين؟ انا أنظر إليك.

ـ لا، لم تكن تنظر.

ـ حبيبتي، ماذا بك؟

ـ لا شيء. لا عليك.

ـ لا تقولي: لا شيء. ماذا يقلقك؟

ـ لا شيء.

ـ حبيبتي، أعلم أنني قد أكون مشغولا بشكل زائد؛ بسبب الدور الجديد، هل هذا هو السبب؟ عزيزتي أنت تعرفين أن هذا الدور مهم

للغاية، لكن انشغالي فيه لا يعني أبدًا أنني لا أحبك. لن أستطيع أن أرمقك بنظرات وَلِهة طيلة الوقت! عليَّ أن افكر في الأمور بشكل أكثر عملية الآن.

كان ما يقوله غريبا، وساحرا، وصادقا، كأنما يمثل دورا ما ببراعة شديدة.

ـ حسنا، اعذرني لكوني سخيفة.

ـ أنتِ سخيفة؟ لن تكوني سخيفة مهما حاولتِ.

ثم مال عبر الطاولة وقبّلها.

* * *

كان لدى هاتش كوخًا بالقرب من برويستر، طلبت منه روزماري أن يعيرها إياه عدة أيام.

ـ جاي مشغول في دوره الجديد، ربما يفيده أن أبتعد قليلا عنه؛ كي يستطيع التركيز.

ـ الكوخ ملكك.

ذهبت روزماري لهاتش؛ كي تأخذ منه المفتاح، لكنها عرجت أولا على محل لبيع المعلبات، حيث كان يعمل بعض من أصدقائها القدامى، ثم صعدت إلى شقة هاتش، والتي كانت ضيقة ومظلمة وأنيقة كسلة قمامة. يتوسط صالتها صورة لوينستون تشيرشل، وأريكة كانت مِلكًا لمدام بومبادور، عشيقة لويس الخامس عشر ملك فرنسا.

كان هاتش جالسا حافي القدمين بين طاولتين صغيرتين. فوق واحدة

منهما آلة كتابة، وفوق الأخرى كومة من الأوراق، وكان يحاول أن يكتب كتابين في وقت واحد، ويتحول من نص إلى آخر حين يجد ما يعصى عليه في واحد منهما.

جلست روزماري على أريكة مدام بومبادور، وقالت:

ـ أنا مشتاقة للذهاب إلى الكوخ، فقد أدركت أنني لم أختل بنفسي قط طيلة حياتي إلا لسويعات قليلة. لذا فكرة قضاء ثلاثة أو اربعة أيام وحدي هي فكرة من الجنة.

ـ فرصة كي تختلي بنفسك وتعرفي من أنت، وأين أنت، وأين تذهبين.

ـ بالضبط.

ـ لا تضغطي علَى نفسك؛ كي تبقي على ابتسامتك أمامي. هل ضربك بأباجورة؟

ـ لم يضربني بأي شيء. جاي يمثل دور شاب مُقعد، وعليه أن يرتدي دعامات للساقين طيلة الوقت ويتدرب على أداء الدور بهما. مع طول التدريب انشغل.

ـ أفهم. سنغير الموضوع. الجرائد تحاول اللحاق بما فات من أخبار أثناء فترة إضرابها. لمَ لم تخبريني بشأن حادث الانتحار في منزلكم السعيد؟

ـ أوه، ألم أخبرك؟

ـ لا، لم تخبريني.

ـ كانت شابة نعرفها، الفتاة التي حكيت لك عنها، تلك التي كانت مدمنة على المخدرات والتي أعاد تأهيلها آل كاستيفيت. أنا متأكدة من أنني أخبرتك بشأنها.

ـ الفتاة التي كانت تنزل للبدروم معك.

ـ بالضبط.

ـ لم يعيدوا تأهيلها إذًا بنجاح. هل كانت تعيش معهما؟

ـ أجل، وقد تعرفنا على الزوجين العجوزين لاحقًا، وجاي يزورهما من وقت لآخر لسماع قصص رومان كاستيفيت عن المسرح. كان والد العجوز منتجا في مطلع القرن.

ـ أيُعقل أن يهتم جاي بصداقة مسنين؟

ـ هو في التاسعة والسبعين، وهي في مطلع السبعينيات.

ـ اسم عائلته غريب، كيف يُكتب؟

كتبت روزماري الاسم لهاتش، نظر له، ثم أردف:

ـ كاستيفيت؟ لم أسمع باسم كهذا من قبل، ربما يكون اسما فرنسيا.

ـ الاسم قد يكون فرنسيا، أما الزوجان فهما أمريكيان، من مكان يدعى بوشهيد، أوكلاهوما.

ـ سأستخدم هذا الاسم في واحدة من رواياتي. أخبريني، كيف ستصلين إلى الكوخ؟ هل معك سيارة؟

ـ سأؤجر سيارة.

ـ خذي سيارتي.

ـ أوه، لا يا هاتش، لن أستطيع.

ـ خذيها يا رو، فكل ما أفعله بها هو نقلها من جانب الطريق إلى جانبه الآخر. لو أخذتها فستوفرين عليَّ عناء نقلها.

ابتسمت روزماري، وقالت:

ـ حسنا، سأسديك معروفا وآخذ سيارتك.

أعطاها هاتش مفتاحي الكوخ والسيارة، ورسم لها خريطة تشرح الطريق، وكتب لها قائمة بالتعليمات التي تخص المُبرد ومضخة الماء والطواريء شائعة الحدوث. ثم ارتدى معطفا وحذاءً ونزل معها ليوصلها للسيارة ماركة أولدزموبيل الزرقاء.

ـ أوراق تسجيل السيارة فيها. رجاء، خذي وقتك في الكوخ ولا تقلقي، لن أحتاج إلى الكوخ أو السيارة قريبًا.

ـ لن أمكث أكثر من أسبوع، ربما يمانع جاي في بقائي لوقت أطول.

مال هاتش عليها من خلال نافذة السيارة، وقال:

ـ لدي تشكيلة من النصائح التي يمكنني أن أسديها إليك، لكنني سأخرس وسأهتم لشأني الخاص كما وعدت.

قبّلته روزماري، وقالت:

ـ أشكرك من أجل كل شيء. أشكرك.

* * *

غادرت روزماري شقتها في صباح السبت، السادس عشر من أكتوبر، وأمضت خمسة أيامٍ في الكوخ. في أول يومين لم تفكر قط في جاي، انتقاما من ترحيبه برحيلها. هل بدت محتاجة إلى السفر إلى هذا الحد؟

تمشت خلال اليومين الأولين في الغابات. ذهبت للنوم مبكرا لكنها نامت متأخرا، قرأت الروايات، وأكلت بشراهة، ولم تفكر مرَّة واحدة في جاي.

في اليوم الثالث، فكرت فيه. كان تافها، أنانيا، ضحلا، مخادعًا. تزوجها ليضمن جمهورًا تحت الطلب، لا رفيقة. كان يريد أن تتبعه عبر الإستوديوهات، تحمل له أوراقه في فمها كالكلب.

ستمنحه عامًا؛ كي يستقيم حاله كزوج صالح، بعدها يمكن أن تنسحب من حياته دون تأنيب ضمير. خلال ذلك العام، ستعود للعمل، وستستعيد ثقتها وإيمانها بنفسها، الذي لطالما حاولت الخلاص منه بحمقها.

ستكون قوية ومستعدة للرحيل في حال لم تجده قد تغير وفقا لمتطلباتها.

لم تتوافق معدتها مع كل الشراهة التي كانت تأكل بها، فلم تعد تقوى علَى هضم أي شيء سوى الحساء، ورقائق الخبز.

في اليوم الرابع، استيقظت بحنين غريب لجاي، وبكت. تسائلت عن سبب وجودها هنا وحيدة في هذا الكوخ القذر؟ ماذا فعل جاي ليستحق كل هذا؟ لقد سَكَر، وضاجعها دون استئذان، ولم يكن ذلك أمرا تهتز له الأرض وتهيج له البحار. هاهو يواجه أكبر تحدٍّ لبناء مستقبله، وهي قد تخلت عن الوقوف إلى جواره وتشجيعه؛ كي تكمُن في هذا المكان وحيدة، شرهة، تأسف لحالها.

بالطبع كان جاي متمركزا حول نفسه، لكنه ممثل، أليس كذلك؟ لورانس أوليفييه الشهير كان أنانيا متمركزا حول ذاته.

أحيانا ما يكذب جاي، لكن أليس هذا ما جذبها إليه ولا يزال يجذبها؟ ألم يكن انطلاقه دومًا نقيضًا مغريًا لتقوقعها وخوفها؟

قادت روزماري سيارتها إلى البلدة، واتصلت به، ورد عليها مساعدُه في العمل:

ـ أهلا يا عزيزتي، هل عدت من السفر؟ جاي في الخارج، هل يمكنه الاتصال بك حين عودته؟ ستتصلين به في الخامسة؟ حسنا. لابد وأن الطقس جميل عندك، هل تتمتعين بوقتك هناك؟ ممتاز!

عندما عاودت الاتصال به في الخامسة، كان لا يزال في الخارج. تناولت طعامها في مقهى، وذهبت إلى دار السينما الوحيدة في هذا المكان.

في التاسعة مساءً، كان لا يزال في الخارج، وقد رد عليها مساعدٌ آخر، حاملا رسالة لها أن عليها الاتصال به غدًا قبل الثامنة صباحًا أو بعد السادسة مساءً.

في اليوم التالي، توصلت روزماري لرؤية أكثر واقعية للأمور. كلاهما علَى خطأ، فهو من ناحيته كان أنانيا، وكانت هي فاشلة في التعبير عن عدم رضاها. لا تتوقع روزماري أن يتغير زوجها دون أن يكون هذا التغيير مطلوبا منها بشكل مباشر. عليهما أن يتحادثا، فقد يكون لديه أسباب لتعاسته كما لديها أسبابها، وكان الصمت هو ما قادهما إلى ما هما فيه الآن.

ذهبت إلى برويستر في السادسة مساءً، واتصلت به، رد عليها قائلا:

ـ أهلا عزيزتي، كيف حالك؟

ـ بخير، كيف حالك أنت؟

ـ بخير.. أفتقدك.

ابتسمت روزماري، وقالت:

ـ وأنا أيضا أفتقدك. سأعود غدا.

ـ ممتاز، رائع. كل شيء هنا في فوضى، لقد تم تأجيل البروفات إلى يناير.

ـ لماذا؟

ـ لم يستطيعوا أن يجدوا من تقوم بدور الطفلة الصغيرة بعد، لذا فأنا في إجازة من هذا العمل مؤقتا. لكنني سأمثل حلقة تجريبية لمسلسل كوميدي، الشهر القادم.

ـ فعلا؟

ـ لقد سقط المسلسل في حجري، ولم أستطع أن أتجاهله. المنتجون أحبوا الفكرة، وسيتم التصوير هنا في نيويورك، ودوري تقريبا هو دور البطولة.

ـ رائع يا جاي!

ـ اسمعي، عليَّ أن أغتسل، وأحلق ذقني. آلان سيصحبني إلى جلسة تصوير سيحضرها المخرج ستانلي كوبريك. متى ستصلين؟

ـ عند الظهر أو قبل ذلك بقليل.

ـ سأنتظرك يا حبيبتي.

ـ أحبك.

اتصلت بهاتش، ولم تجده، فتركت له رسالة بأنها ستعيد سيارته ظهر غدٍ.

في الصباح التالي، نظفت الكوخ، وأغلقته، ثم قادت سيارة هاتش عائدة إلى المدينة. كان المرور مزدحما وكأنما تعبر السيارات من عنق زجاجة. وصلت روزماري إلى منزلها في الساعة الواحدة، وركنت السيارة بشكل سريع أمام مبنى برامفورد؛ كي تستطيع أن تحمل حقيبتها إلى المدخل.

كان جاي في الشقة، وصوت الأغاني يصدح عاليا. فتحت شفتيها لتنادي عليه، فوجدته أمامها مرتديا قميصا وربطة عنق نظيفين، وكان متجها إلى المطبخ ممسكا بكوب قهوة فارغ.

عانقها بذراعٍ واحدة؛ بسبب الكوب، وتبادلا القُبل. سألها:

ـ هل قضيتِ وقتا لطيفا؟

ـ قضيت وقتا بشعًا، مفزعًا. لقد افتقدتك للغاية.

ـ كيف حالك يا حبيبتي؟

ـ بخير، كيف حال ستانلي كوبريك؟

ـ لم يظهر أثناء الجلسة، للأسف.

حملت روزماري حقيبتها إلى حجرة النوم، وفتحتها فوق الفراش. عاد جاي حاملا كوبين من القهوة، وأعطاها واحدًا، ثم جلس علَى المقعد يشاهدها وهي ترتب أغراضها. راحت تحكي له عن الغابات والليالي الهادئة، وأخبرها عن المسلسل الكوميدي الجديد، وعن الممثلين فيه، وعن المنتجين، والكُتَّاب والمخرجين.

سألها جاي، وهي تغلق الحقيبة الخالية:

ـ هل أنتِ بخير حقًّا؟

لم تفهم سبب السؤال، فأردف:

ـ دورتك الشهرية، أليس من المفترض أن تبدأ يوم الثلاثاء الماضي؟

ـ فعلًا؟

أومأ برأسه.

ـ لقد تأخرت يومين فقط.

قالتها باستخفاف، وكأن دقات قلبها لم تتسارع مقاربة علَى التوقف. أردفَت:

ـ علَى الأرجح بسبب تغيير الماء، أو الطعام الذي كنت آكله هناك.

ـ لكنها لم تتأخر من قبل.

ـ لعلها تأتي الليلة أو غدا.

ـ تراهينيني؟

ـ أراهنك.

ـ علَى ربع دولار؟

ـ موافقة.

ـ ستخسرين يا رو.

ـ اصمت، ستوترني! لقد تأخرت يومين فقط، وعلى الأرجح ستأتي الليلة.

الفصل العاشر

لم يأتِ الطمثُ تلك الليلة، ولا الليلة التالية، ولا لعدة أيام تلتها. كانت روزماري تتحرك بحرص وتسير ببطء، وكأنها تيقنت من حملها جراء حديثها مع جاي. هل تتحدث مع جاي بشأن قرارها في الكوخ؟ لا، كل شيء يمكن تأجيله.

نظفت، وتسوقت، وتنفست برفق. لورا لويز جائت ذات صباح وطلبت منها أن تصوِّت لأجل باكلي، فقالت لها أنها ستفعل؛ كي تتخلص منها.

قال جاي عند عودته من عمله:

ـ أَعطنِي الربع دولار الذي راهنتِني عليه.

ـ اصمت!

قالتها ولكمته في كتفه ضاحكة.

حجزت روزماري موعدا مع طبيب نسائيٍّ، وفي يوم الخميس، الثامن والعشرين من أكتوبر ذهبت لملاقاته.

كانت صديقة لها قد اقترحت عليها دكتور هيل، وقد أشرف على ولادتين سابقتين لها، وتقسم على براعته.

كان دكتور هيل أصغر مما توقعته روزماري، فقد كان في عمر جاي أو أصغر. سألها برفق واهتمام، وأجرى كشفًا عليها. ثم أرسلها لتحليل دمٍ في معملٍ قريب.

اتصل بها الطبيب في اليوم التالي في الساعة الثالثة والنصف.

ـ سيدة وودهاوس؟

ـ دكتور هيل؟

ـ أجل.. مبروك!

ـ حقا؟!

ـ حقا.

جلست علَى حافة الفراش، تبتسم وتهمس لنفسها: حقا، حقا، حقا!

ـ هل مازلتِ علَى الخط؟

ـ أجل، ماذا أفعل الآن؟

ـ لا تبذلي مجهودًا في أي شيء، وتعالي الشهر المُقبل. واظبي على تعاطي أقراص نتالين، قرصًا في اليوم. سأرسل لك بالبريد استمارات؛ لتملئيها من أجل ترتيبات الولادة في المستشفى. من الأفضل حجز مكان في أسرع وقت.

ـ متى سألدُ؟

ـ لو أن آخر طمث لكِ كان في الواحد والعشرين من سبتمبر،

فولادتك قد تكون في الثامن والعشرين من يونيو.

ـ يبدو موعدًا بعيدًا للغاية.

ـ بالفعل يبدو كذلك. أريد منك إرسال عينة دم أخرى للمعمل، غدًا أو يوم الإثنين.

ـ بالطبع، لكن لمَ؟

ـ لم تأخذ الممرضة منك القدر الكافي.

ـ لكنني حامل، ألستُ كذلك؟

ـ لقد تأكدنا من حملك، لكنني أود أن أجري بعض التحاليل الأخرى، مثل: سكر الدم.. إلخ. لكن الممرضة أخذت منك ما يكفي لاختبار الحمل فقط.

ـ حسنًا، سأعود إلى المعمل غدًا صباحا.

ـ سأرسل لك أوراق المستشفى بالبريد، وليكن موعدنا في آخر أسبوع من شهر نوفمبر.

أنهت روزماري المكالمة، وشعرت بأن ثمة شيئا خطئا في الأمر. لقد كانت الممرضة في المعمل تعرف جيدا ما تفعله وما المطلوب في حالات الحمل. وطريقة كلام دكتور هيل لم تكن مريحة. هل يظنون أن هناك خطئًا ما حدث من جانبهم؟ خلط لعينات الدم ـ مثلا ـ مع عينات شخص آخر؟

هل هناك احتمال أن لا تكون حاملا؟ لكن دكتور هيل أكد لها الخبر، وكان واثقًا من النتيجة.

حاولت روزماري أن تطرد تلك الأفكار بعيدا، فهي بالتأكيد حامل، عليها أن تكون حاملا.

ذهبت إلى المطبخ، حيث كانت النتيجة معلقة، ووضعت علامة عند يوم غد كتبت عليها: «المعمل». ووضعت علامة أخرى عند يوم التاسع والعشرين من نوفمبر لتذكر موعد الدكتور هيل.

* * *

عندما عاد جاي، هرعت إليه روزماري دون كلمة واحدة، ووضعت في يده ربع دولار. سألها:

ـ ما هذا؟

ثم فهم ماتعنيه، وهتف:

ـ حبيبتي! خبر عظيم!

قبلها مرتين، ثم ثلاث، وهو يحتضنها.

ـ أليس هذا رائعًا؟

ـ أنا سعيد للغاية!

ـ بابا..

ـ ماما!

ـ اسمع يا جاي.

نظرت روزماري فجأة لجاي بجدية، وقالت:

ـ لنجعلها بداية جديدة. يجب أن ننفتح علَى بعضنا بعضًا، ونتحدث بصراحة. لطالما كنتَ متقوقعًا حول ذاتك وعملك، وأنا لا اقولُ لك

أن اهتمامك بتلك الأشياء غير محمود، فهذا عملك. لهذا ذهبتُ إلى الكوخ، لأفكر فيما طرأ بيننا. وكان ما توصلت إليه هو أننا نفتقرُ إلى التواصل، وهو أمر تسببتُ أنا فيه كما تسببتَ أنت أيضا.

ضمها إليه أكثر، ثم نظر إلى عينيها بصدق، وقال:

ـ كلامك صحيح، لقد شعرت بكل ما شعرتِ به. لستُ بقدر حساسيتك بالطبع، فأنا بالفعل أنانيٌّ، وأعتقد يا رو أن أنانيتي هي سبب المشكلة. لقد اخترت تلك المهنة لأنني أناني! لكنك تعلمين أنني أحبك. بالفعل أحبك، لذا أقسم أنني سوف أكون أكثر...

ـ كان هذا خطأي أيضا كما هو...

ـ لا، أنا السبب في كل ذلك، أنا وأنانيتي. تحمَّليني يا رو، وسوف أكون أفضل.

غمرها فيضٌ من المحبة والغفران، فعانقته، وهمست:

ـ جاي..

وبادلته قبلاته بقبلات أكثر حرارة. قال جاي:

ـ هل تعرفين ما أود فعله حقًّا؟

ـ ماذا؟

ـ أن أخبر رومان وميني. أعرف أنك تُفضلين أن تبقي الأمر سرًّا، لكنني كنت قد أخبرتهما أننا نحاول الإنجاب، وكانا سعيدين لأجلنا. ومع أناس في عمرهما لو انتظرنا أكثر لربما لا يتاح لهما من العمر ما يُمَكّنهما من معرفة الخبر لاحقًا.

قالت روزماري في سعادة:

ـ أخبرهما.

قبّل أنفها، وقال:

ـ سأعود خلال دقيقتين.

هرع جاي إلى الباب، وراقبته وهو يبتعد. كان رومان وميني قد أصبحا جزءًا مهمًّا في حياته، لكن ذلك لم يُثِرْ تعجبَها، فأمه كانت امرأة مشغولة بهرائها الخاص، ولم يكن كلا أبويه ـ أباه الحقيقي وزوج أمه ـ يمنحانه الأبوة التي يحتاجها.

آل كاستيفيت ملئا فراغًا عاطفيًا في حياته، فراغًا لم يكن هو نفسه يدرك وجوده. كانت شاكرة لوجودهما، وقررت أن تعاملهما بشكلٍ أفضل في المستقبل.

غسلت روزماري وجهها ونظرت إلى عينيها في المرآة، وهمست:

ـ أنتِ حامل!

ثم طرأ على خاطرها: لكن المعمل يريد عينة أخرى، لأي غرض؟.

بمجرد خروجها من الحمام، رأت ميني ورومان يدخلان مع جاي. ميني لا زالت مرتدية ملابس منزلية، ورومان حاملًا زجاجة نبيذ.

هتفت ميني:

ـ هذه هي الأخبار الرائعة التي أتمنى سماعها! مبارك.

هرعت نحو روزماري وطوقتها بذراعيها مُقبّلةٌ خديها بصوت عال.

قبّل رومان خدها الآخر، وقال:

ـ تمنياتنا لك بكل خير، نحن سعداء بقدر لا نستطيع نحن أنفسنا وصفه. لم يكن متوافرًا لدينا شامبانيا، لكن هذا نبيذ معتق منذ عام ١٩٦١، أعتقد أنه سيفي بغرض النخب.

شكرته روزماري. فسألتها ميني:

ـ متى موعد الولادة؟

ـ الثامن والعشرين من يونيو.

قال رومان:

ـ من الآن فصاعدًا سنتسوق لك كل ما تحتاجين.

أحضر جاي كؤوسًا ومفتاحًا، فالتفت إليه رومان ليفتح زجاجة النبيذ. رافقت ميني روزماري إلى غرفة المعيشة، وسألتها:

ـ اسمعي يا عزيزتي، هل تعرفين طبيبًا ماهرا؟

ـ أجل، طبيب ممتاز.

ـ لدينا صديق من أفضل أطباء النساء في نيويورك، آيب سابيرشتاين. رجلٌ يهوديٌّ. تابع حمل أغلب المشاهير، يمكنه متابعة حملك. كذلك فإن أسعاره رخيصة، يمكنكما توفير المال أيضا.

سأل رومان عبر الحجرة:

ـ آيب سابيرشتاين؟ الرجل هو أفضل أطباء النساء في البلاد. ألم تسمعي عنه من قبل يا روزماري؟

ـ أعتقد أنني سمعتُ.

تذكرت روزماري اسمه من خلال بعض الأخبار التي قرأتها في الصحف.

ـ ما رأيك يا رو؟

ـ لكن ماذا عن دكتور هيل يا جاي؟

ـ لا تقلقي، سأجد منه مخرجا، أنت تعرفينني.

فكرت روزماري في سن دكتور هيل، وفي المعمل الذي لم تأخذ ممرضته منها ما يكفي من الدم. لقد كلفها ذلك قلقًا وتوترا بلا داعٍ.

قالت ميني:

ـ لن أدعك تذهبين لدكتور هيل هذا، الذي لم يسمع عنه أحد من قبل. ستتابعين حملك مع أمهر الأطباء، والأمهر هو آيب سابيرشتاين.

ـ هل تعتقدين أنني سأجد مكانًا لديه؟

ـ سأتصل به حالا، أين الهاتف؟

ـ في حجرة النوم.

ذهبت ميني إلى حجرة النوم، وصبَّ رومان كؤوس النبيذ، مضيفًا:

ـ هو رجل بارع، بالرغم من كل المزاعم عن جنسه المُعذَّب.

أعطى رومان كأسين لجاي وروزماري، ثم انتظر ثلاثتهم عودة ميني. قال جاي لروزماري:

ـ اجلسي يا عزيزتي.

هزت روزماري رأسها رافضةً وظلت واقفة. سمعوا ميني في حجرة النوم تقول:

ـ آيب؟ أنا ميني.. بخير. اسمع، لدي صديقة حامل في أسابيعها الأولى، وأنا في شقتها الآن، وأخبرتها أنك ستُعني بها ولن تكلفها عنايتك

تلك المبالغ الباهظة التي يدفعها المشاهير.

صمتت هنيهة، ثم نادت:

ـ روزماري، أيمكنك زيارته غدًا في الحادية عشرة صباحا؟

ـ بالتأكيد.

قال رومان باسمًا:

ـ أرأيتما؟

قالت ميني عبر الهاتف:

ـ الحادية عشرة موعد مناسبٌ، شكرًا، إلى اللقاء.

قالت ميني عندما عادت:

ـ سأكتب لك عنوانه قبل أن نرحل.

قال جاي:

ـ شكرًا جزيلا لك.

ـ لا أعرف كيف أشكركما.

تناولت ميني كأس النبيذ الذي أعطاه لها رومان، وقالت:

ـ لا عليك. فقط نفذي كل تعليمات آيب وستلدين طفلا مُعافى، هذا هو الشكر الذي نتمناه.

رفع رومان كأسه منتقيًا نخبًا، وقال:

ـ في صحة طفل جميل معافى.

شرب الجميع، جاي وروزماري، وميني، ورومان. قال جاي:

ـ نبيذ ممتاز.

ـ ورخيص كذلك.

هتفت ميني فجأة:

ـ لا أستطيع أن أتحمل. أريد أن أخبر لورا لويز!

قالت روزماري في حرج:

ـ رجاء، لا تخبري أحدا الآن. لا يزال الوقت مبكرا.

ـ لديها حق يا ميني، لدينا وقت طويل لاحقًا لنشر الخبر السعيد.

سألت روزماري:

ـ هل ترغبون في بعض من الجبن ورقائق الخبز؟

قال جاي:

ـ اجلسي يا حبيبتي وسوف أحضر أنا الطعام.

* * *

لم تنم روزماري ليلتها من فرط السعادة، فمن تحت يدها الموضوعة علَى بطنها تنبت بذرة صغيرة، معجزة ستنمو لتزهر أندرو أو سوزان. (كانت قد حسمت رأيها بشأن اسم اندرو، أما سوزان فقابل للنقاش مع جاي).

تُرى ما حجم أندرو أو سوزان الآن؟ بحجم رأس الدبوس؟ لا، بالتأكيد أكبر، ألم تكن في بداية شهرها الثاني؟ لابد وأنه في حجم فرخ الضفدع. هل ثمة كتاب أو شيء من هذا القبيل يوضح أحجام الجنين في الشهور المختلفة؟ ربما يعرف دكتور سابيرشتاين كتابا.

سمعت روزماري صوت محرك سيارة يعوي، وصوت تقلب جاي في الفراش، وصرير فراش ميني ورومان من خلف الحائط.

هناك الكثير من المخاطر لتحمل همها في الشهور المقبلة. خطر الحريق، الأشياء المتساقطة، السيارات الخارجة عن السيطرة. أخطار لم تكن كذلك سوى الآن، في وجود أندرو أو سارة في بطنها. ستقلع من أجل طفلها عن التدخين، وستستشير دكتور سابيرشتاين بشأن الخمور.

لو أن الصلاة لا زالت ممكنة!

لو أن في مقدورها أن تمسك صليبا وترجو الله أن تمر الشهور القادمة على خير، أن تطلب منه أن يبعد عنها العقاقير المريبة التي تشوه الأجنة. ياللـه، ثمانية أشهر بعافية هي كل ما أتمنى، أشهر مليئة بالحديد والحليب، وضوء الشمس.

فجأة، تذكرت روزماري تميمة الحظ السعيد، الكرة التي تحوي جذور التانيس.

شعرت بالحمق وهي تفكر فيها، بل وتحتاج لوجودها حول رقبتها.

قامت من فراشها، وأخرجتها من العلبة الصفيح، ثم حررتها من ورق القصدير الملفوف حولها. تغيرت الرائحة النفاذة لجذور التانيس، لا زالت رائحة قوية لكنها لم تعد منفرة.

وضعت روزماري السلسلة حول عنقها، ثم عادت إلى الفراش وسحبت الغطاء فوق جسدها واضعةً كفها على بطنها، تحمي الجنين بداخلها.

* * *

الجزء الثاني

الفصل الأول

الآن فقط صارت حية، كاملة.

عادت روزماري لكامل حياتها، مهام المنزل، وحضور حصص تعليم النحت. كانت تفعل كل هذا على خلفية من وجود أندرو أو سوزان داخلها، ينمو كل يوم أكثر وأكثر ويقترب من الاكتمال.

كان دكتور سابيرشتاين رائعًا. وكان طويلا، ذا جلد محمر بفعل الشمس. وكان شعره أبيض وذو شارب متدلٍّ.

بالرغم من المقاعد الأثرية والمناضد الرخامية التي تملأ حجرة الاستقبال في عيادته، إلا إنه كان رجلا بسيطًا مُطمئِنًا.

قال لها:

ـ رجاء، لا تقرأي كتبًا. كل حمل يختلف تمامًا عن الآخر. تلك الكتب التي تخبرك بما ستشعرين به في الأسبوع الثالث من الشهر الثالث لن تساعد سوى في جلب المزيد من القلق. لم أرَ حملا مطابقًا لما هو مكتوب في الكتب قط. ولا تستمعي لحكايات صديقاتك عن حملهن أيضًا. كل امرأة تمر بظروف مختلفة تماما عن الأخرى، وكل واحدة ستظن أن حملها

هو الحمل الأمثل، وأن ما تمرين به ليس طبيعيًّا.

سألته روزماري عن المقويات التي وصفها لها دكتور هيل، فأجاب:

ـ لن أصف لك مقويات. السيدة كاستيفيت لديها صوبة أعشاب، سوف أطلب منها أن تصنع لك تركيبة أفضل وأكثر أمانًا من الأدوية. أريدك أيضا أن تشبعي أي رغبة لديك بخصوص الطعام. بعضهم يزعم أن الحوامل يرغبن في أطعمة معينة رغبة منهن في المزيد من الاهتمام أو لأن ذلك مُتوقع في فترة الحمل. أنا لا أتفق مع هذا الزعم. على المرأة الحامل أن تأكل ما تشتهيه. لو رغبتِ في المخلل في منتصف الليل، أرسلي زوجك لشرائه.

ربما تتعجبين من بعض ما سيطلبه جسدك خلال الأشهر القادمة، وإن راودتك أي أسئلة اتصلي بي في أي وقت، ليلا أو نهارا. اتصلي بي ولا تتصلي بأمك أو خالتك. أنا هنا لأجيب عن أسئلتك.

طلب منها الطبيب أن تتابع معه الحمل في العيادة أسبوعيًّا، وهو أكثر بكثير من الرعاية التي كانت ستتلقاها عند دكتور هيل. كذلك لا يتطلب الأمر معه أن تملأ استمارات لحجز المستشفى، فهو يستطيع إلحاقها بالمستشفى في أي وقت.

كلُ شيء كان رائقا ومحببًا وبالضبط كما أرادته روزماري.

قصرت شعرها على هيئة أكثر مواكبة للموضة الرائجة، وأنهت علاج أسنانها، وأدلت بصوتها في انتخابات العمودية، وحضرت تصوير بعض مشاهد جاي من مسلسله الجديد.

كانا يتناولانِ النقانق في أوقات الراحة بين المشاهد، بينما تداعب

الأطفال وتمزح مع النسوة الحوامل في الشارع مشيرة إلى بطنها بما معناه: «وأنا أيضا».

* * *

كان أول ما أثار تساؤلها هو كرهها المفاجيء للملح، وطمأنها دكتور سابيرشتاين، قائلا:

ـ هذا أمر طبيعيٌّ، عندما يحتاج جسمك للملح سيطلبه. ثقي فيما يكرهه جسدك كما طلبت منك أن تثقي فيما يشتهيه.

لم يشتهِ جسدُها شيئا، وصارت شهيتها أقل من المعتاد. كانت تكتفي بالخبز والقهوة كإفطار، وقطعة لحم نصف مطهوة مع الخضروات للعشاء.

في الحادية عشرة من صباح كل يوم، كانت ميني تحضر لها مشروبها المقوي، الذي يبدو لروزماري كمخفوق اللبن بالفستق، وكان باردا، ذا طعم حامض.

ـ ماذا يحوي هذا المشروب؟

ـ التراب، والهباب، وذيول الكلاب!

قالتها ميني باسمة بطريقة الساحرات الشريرات، فضحكت روزماري، وقالت:

ـ وهل سيؤثر هذا على نوع الجنين. ماذا لو أردت ابنة؟

ـ أتريدين ابنة؟

ـ كل ما سوف أحصل عليه سأرضى به، لكن أظن أنه من الأفضل أن يكون أول مولود ذكر.

- إذًا سيكون ذكرًا.

أنهت روزماري المشروب وناولت لميني الكوب الفارغ، وسألتها:

- لنتحدث جديًّا، ماذا يحوي هذا المشروب؟

- بيضة نيئة، جيلاتين، أعشاب...

- وجذور التانيس؟

- بعضا منها، وبعضًا من أعشاب أخرى.

كانت ميني تحضِر المشروب كل يوم في الكوب نفسه، كوب كبير، ذو خطوط زرقاء وخضراء، وكانت تقف في انتظار أن تشربه روزماري أمامها حتى الثمالة.

* * *

في الأسابيع التالية، صار جاي يعتذر عن أيَّ ارتباطات اجتماعية قد تريده روزماري حضورها، متعللا بالتصوير الذي أخذ أكثر من الوقت المتوقع. حتى أن روزماري قد أجلت لقاءهما الشهري بهاتش على العشاء.

بدأت روزماري في الشعور بآلام قوية أصابتها بالقلق، فأنبأت دكتور سابيرشتاين، وطلب منها أن تأتي ليفحصها.

أخبرها الطبيب بعد الكشف أن لا شيء يستدعي قلقها، وأن الألم سببه بعض الانقباضات الطبيعية في عضلات الحوض، وسيختفي وحده خلال يومين. وحتى يزول الألم من تلقاء نفسه، عليها بالأسبيرين كمسكنٍ.

ـ كنت أخشى أن يكون حملا خارج الرحم.

نظر لها الطبيب متشككا، وقال في استنكار:

ـ خارج الرحم؟ كنت أظننا اتفقنا على أن لا تقرأي كتبا عن الحمل يا روزماري.

ـ لقد كان الكتاب أمامي مغريًا في الصيدلية.

ـ وكل ما قدمه لك الكتاب هو القلق. هلا تخلصتِ منه ياروزماري؟

ـ سأتخلص منه، أعدك.

ـ سيزول الألم خلال يوم أو اثنين. حمل خارج الرحم!

قال عبارته الأخيرة وهو يهزُّ رأسه مستنكرا.

لكن الألم لم يزل خلال يومين، بل صار أقوى، وكأنما أحشاؤها مربوطة بسلك شائك يضيق عليها ويمزقها.

كان الألم يستمر الساعة تلو الأخرى، ربما تمر بها دقائق خالية من الألم، لكن روزماري اكتشفت أنها مجرد دقائق يحشد فيها الألم قدرته على الهجوم بقوة أكبر. كان الأسبيرين مُسكنًا معقولا، لكنها كانت تخشى تعاطي المزيد منه.

وعندما يأتي النوم أخيرا، تأتي معه الكوابيس التي تحارب فيها جيوشا من العناكب الضخمة التي تحاصرها في الحمام، أو تجد نفسها فيها محبوسة داخل شجيرة سوداء تنبت من بساط حجرة المعيشة. وكانت تصحو فَزِعة وفي ألم أشد. قال لها دكتور سابيرشتاين:

ـ يحدث هذا أحيانا، وسيتوقف الألم في أي وقت ابتداءً من الآن.

هل أنت واثقة من أنك أخبرتني عمرك الحقيقي؟ فبعض النسوة الأكبر سنا يعانين هذه الآلام بسبب تيبس عضلات الحوض بفعل السن.

قالت ميني، وهي تجلب لها المشروب:

ـ عزيزتي المسكينة، لا تقلقي. لقد مرت ابنة أخت لي في توليدو بالأعراض نفسها، وكذلك امرأتان أخريان أعرفهما. لكن ولادتهن كانت سهلة وقد رزقن جميعا بأطفال أصحاء.

ـ شكرًا لك.

تراجعت ميني خلفا، وهتفت:

ـ أنت لا تصدقينني؟ أقسم لك بالله! لقد حدث هذا.

* * *

أظلم وجه روزماري وبرزت عظامه، لكن جاي كان مصرًّا على أنها بخير.

ـ عمَ تتحدثين؟ تبدين في خير حال، أعتقد أن قصة شعرك الجديدة هي المشكلة. دعيني أكون صريحًا معك يا حبيبتي وأصارحك أن تلك القَصَّة هي أسوأ شيء فعلتيه في حياتك.

* * *

تضائلت موجات الألم العارمة إلى وجود بسيط مستمر، تحملته روزماري وتعايشت معه. كانت تنام سويعات قليلة في الليل، وتتناول حبة أسبرين واحدة بالرغم من سماح دكتور سابيرشتاين بحبتين.

انتهى عصر الخروج مع الأصدقاء، وفصول النحت، وصارت تطلب بقالتها عن طريق الهاتف. مكثت في الشقة تخيط ستائر حجرة الأطفال، وتقرأ كتابًا عن صعود الإمبراطورية الرومانية وسقوطها.

أحيانًا ما كان يأتي رومان أو ميني في أوقات متفرقة، فيجلسان للتسرية عنها وجلب ما قد تحتاجه. في يوم أتت لورا لويز بصينية من كعك الزنجبيل، ولم تكن تعلم بأمر حمل روزماري. قالت لورا لويز عند مرئى روزماري:

ـ أحب قَصَّة شعرك الجديدة! تبدين جميلة ومتماشية مع الموضة.

* * *

عندما انتهى تصوير الحلقة التجريبية، مكث جاي في البيت أوقاتا أطول. كان عمله الجديد في إعلانين للسجائر ومسلسل كوميدي، سيبدأ في منتصف يناير.

راح جاي يساعد روزماري في التنظيف، والإجابة على الهاتف بدلا منها. وفي الأمسيات كانا يلعبان السكرابل[1]

كانت روزماري تخطط لإقامة عشاء ليلة عيد الشكر من أجل بعض من أصدقائها الذين يحيون بعيدا عن أهلهم، لكن تحت وطأة الألم المستمر وخوفها على أندرو أو ميلندا (نعم ميلندا اسم أفضل من سوزان)، قررت أن تُلغي العشاء وتستبدله عشاء آل كاستيفيت.

---

(1) Scrubble

لعبة لغوية عن طريق ترتيب حروف محفورة على مكعبات خشبية صغيرة

الفصل الثاني

في يوم من أيام ديسمبر، بينما كان جاي منشغلا في إعلان سجائر بول مول، اتصل هاتش بهما.

ـ روزماري، أنا أشتري تذاكر لعرض مرسيل مارسو[1]، هل تحضران العرض معي يوم الجمعة؟

ـ لا أظن، فأنا متعبة للغاية، وجاي لديه تصويرٌ لإعلانين هذا الأسبوع.

ـ ما بك؟

ـ لا شيء، بعض التعب.

ـ هل يمكنني زيارتك؟ مجرد دقائق أطمئن فيها عليك.

ـ بالتأكيد، سيسرني ذلك جدًّا.

غيرت روزماري ملابسها سريعًا، وصففت شعرها ووضعت بعض الزينة. نهشها الألم فجأة، فأغمضت عينيها مترنحةً وضغطت على أسنانها.

---

(1) Marcel Marceau

فنان فرنسي شهير بعروض البانتوماميم والتمثيل الصامت.

ثم غاص الألم بعيدا حتى وصل مستوياته المعتادة، فأكملت روزماري شاكرةً ترتيب هندامها.

عندما رآها هاتش، صاح:

ـ يا إلهي!

ـ هذه تسريحة المصمم فيدال ساسون، تسريحة رائجة للغاية.

ـ ماذا بك؟ لا أقصد شعرك.

ـ هل أبدو بهذا السوء؟

أخذت معطف وقبعة هاتش وعلقتهما في الخزانة جوار الباب، وهي تحاول أن تبتسم.

ـ تبدين في حالٍ شنيعة. لقد فقدت وزنا كبيرا، وتحيط عينيك الهالاتُ السود حتى لتثيرين غيرة أي دب باندا. هل تتبعين واحدة من تلك الحميات الشرقية العجيبة؟ حمية زِن[1] ربما؟

ـ كلا.

ـ ما بك؟ هل استشرت طبيبًا؟

ـ يتوجب عليَّ إذًا إخبارك. أنا حامل في شهري الثالث.

حدق فيها هاتش مشوشًا، وقال:

---

(1) Zen diets

حميات عذائية يتبعها أتباع بعض الأديان المنتمية للبوذية؛ وهي حميات تعتمد على الخضروات وما لم يُقتل أو يُذبح من الحيوانات. وفي بعض المذاهب لا يأكلون في تلك الحمية سوى الخضروات فقط.

ـ هراء.. النسوة الحوامل يكتسبن وزنًا، ويَبْدونَ أصحاء، لا كما...

ـ لدي مشاكل بسيطة في الحمل. أعاني من تيبسٍ في المفاصل أو شيء من هذا القبيل، لذا أتعرض لنوبات ألم تحرمني النوم. ليست نوبات بالضبط، هو ألم متواصل قد يزيد أو يقل، لكنه لا يختفي أبدًا. أخبرني الطبيب أن الألم سيزول في أي وقت.

ـ لم أسمع من قبل عن كون تيبس المفاصل قد يشكل مشكلة في الحمل.

ـ تيبس في مفاصل الحوض. مرض شائع.

جلس هاتش علَى كرسيِّ جاي الكبير، وأضاف متشككًا:

ـ مبارك. لابد وأنك سعيدة للغاية.

ـ أنا سعيدة، كلانا سعيد.

ـ مع من تتابعين حملك؟

ـ اسمه آبراهام سابيرشتاين، وهو...

ـ أعرفه، بشكل أدق سمعت عنه. لقد أشرف علَى ولادة حفيدين لي.

ـ واحدٌ من أفضل الأطباء في المدينة.

ـ ومتى آخر مرَّة زرتِه فيها؟

ـ أول أمس، وقد أخبرني بما قلته لك. قد يتوقف الألم في أي وقت، وبالطبع كان يقول لي أن الألم سيتوقف منذ أن بدأ.

ـ كم فقدتِ من وزن؟

ـ ثلاثة أرطال، لكنهم...

ـ هراء، لقد فقدتِ أكثر من ذلك بكثير.

ـ تتحدث مثل ميزان حمامنا! تخلص منه جاي؛ لأنه كان يفزعني. أنا فقدت ثلاثة أرطالٍ فقط، وهذا شيء طبيعيٌّ في أول أشهر الحمل. لاحقًا سيزيد وزني.

ـ أتمنى ذلك، تبدين كمن أنهى عليه مصاص دماء. هل أنتِ واثقة من عدم وجود آثار عضات؟

ابتسمت روزماري، فمال هاتش خلفًا، وهو يبادلها الابتسام:

ـ سأفترض أن دكتور سابيرشتاين يعرف ما يفعله جيدا. لا بد وأن يفعل، فأتعابه باهظة للغاية.

ـ بالفعل، لكن جيراننا، آل كاستيفيت، أصدقاء شخصيون له، لذا فهو لا يعاملنا ماديًّا معاملة عِليَة القوم.

ـ هل يعني ذلك أن ابنتيَّ من علية القوم؟ ستسران لسماع ذلك!

دق جرس الباب، فعرض هاتش أن يقوم بفتحه، لكن روزماري رفضت، قائلة:

ـ الألم يقل حين أتحرك هنا وهناك.

خرجت روزماري من حجرة المعيشة متوجهة إلى الباب، محاولة أن تتذكر إن كانت قد طلبت شيئا ولم يصل إليها بعد.

كان الواقف عند الباب هو رومان، وكان يبدو متعبًا.

ـ لقد كنت أتحدث عنكَ يا رومان منذ ثوانٍ.

ـ بالخير كما أتمنى. هل تريدين شيئا من الخارج؟ سنخرج أنا وميني وأردت أن أسألك، فوجدت الهاتف معطلا.

ـ لا، شكرًا لك. لقد طلبت كل ما أحتاج صباحًا.

نظر رومان خلفها سريعا، ثم ابتسم وسأل إن كان جاي قد عاد إلى البيت.

ـ كلا، ولن يعود قبل السادسة.

ظل رومان مبتسمًا كأنه ينتظر منها أن تخبره بشأن الضيف في الداخل، فأردفت روزماري:

ـ صديق لنا بالداخل، هل تود أن تتعرف عليه؟

ـ بالطبع أود، إن لم يكن هذا تدخلا فيما لا يعنيني.

قادت روزماري العجوز إلى الداخل، وكان يرتدي سترة منقوشة بمربعات سوداء وبيضاء، وقميصا أزرق وربطة عنق ملونة. وعندما مر رومان جوارها لاحظت لأول مرَّة أن شحمة أذنه مثقوبة.

وقفت روزماري عند مدخل حجرة المعيشة وأشارت بكفها نحو هاتش، هاتفة:

ـ هذا هو إدوارد هاتشِنس.

ثم أشارت لرومان، وقالت:

ـ وهذا هو رومان كاستيفيت، جارنا الذي حدثتك عنه. رومان، كنت أخبر هاتش أنك وميني من رشحتما لي دكتور سابيرشتاين.

تصافح الرجلان، وقال هاتش:

ـ لقد أشرف دكتور سابيرشتاين على ولادتين لابنتي الكبرى.

ـ رجلٌ عبقري هو. لقد قابلناه الربيع الماضي، وصار من أقرب اصدقائنا.

أشارت روزماري للرجلين بالجلوس، فجلسا، وجلست روزماري جوار هاتش.

ـ لقد أخبرتك روزماري بخبر حملها، أليس كذلك؟

ـ لقد أخبرتني بالفعل.

ـ يجب أن نراعي راحتها، وراحة بالها من أي خوف أو قلق.

ـ أتمنى ذلك يا رومان.

نظر هاتش نحو روزماري وهو يخرج غليونًا وعلبة طباق، وقال:

ـ أنا قلق بشأن وزنها والتعب البادي على وجهها.

ـ فعلا؟

ـ لكن بما أنها في عناية دكتور سابيرشتاين، فعليَّ ألاَّ أقلق.

ـ لقد فقدت رطلين أو ثلاثة فقط. أليس كذلك يا روزماري؟

ـ هذا صحيح.

ـ وهذا طبيعي في أشهر الحمل الأولى. لاحقًا سيزيد وزنها.

قال هاتش، وهو يملأ غليونه بالطباق:

ـ أتمنى ذلك.

ـ السيدة كاستيفيت تصنع لي شرابا مقويًا كل صباح، يحوي بيضة نيئة وأعشابًا تزرعها بنفسها.

ـ كل هذا حسب تعليمات دكتور سابيرشتاين، لقد أعرب عن قلقه بخصوص فعالية المقويات التي تباع في الصيدليات.

سأل هاتش، وهو يعيد الطباق إلى جيبه:

ـ حقًّا؟ كنت أظنها تُصنع بعناية شديدة ودقةٌ طبية.

أشعل هاتش عودي ثقاب ودسهما في غليونه، وراح يسحب الدخان الأبيض العطري. قربت روزماري المطفأة منه. قال رومان:

ـ كلامك حقيقي، لكن تلك الأقراص تظل على أرفف الصيدليات لأشهر، وقد يفقدها هذا بعضًا من فعاليتها.

ـ لم أفكر في هذا من قبل. ربما..

ـ أحبُ فكرة تناول الأطعمة الطبيعية الطازجة. أعتقد أن جداتنا كن يلتهمن جذرو التانيس قبل ابتكار الأقراص المقوية.

سأل هاتش:

ـ جذور التانيس؟

ـ واحدة من المكونات العشبية لشرابي المقوي.

ثم نظرت روزماري لرومان مُردفة:

ـ هل هو عشب؟ أيمكن لجذرٍ أن يكون عشبًا؟

لم يسمعها رومان؛ لأنه كان يحدق في هاتش بثبات.

ـ تانيس؟ لم أسمع بعشب كهذا من قبل. هل أنت متأكدة من أنك سمعتِ اسمه بشكل صحيح؟

قال رومان:

ـ تانيس.

أخرجت روزماري تميمتها من صدرها وقربتها من هاتش، قائلة:

ـ انظر، هذه هي جذور التانيس، ويُقال أنها تجلب الحظ السعيد. قد تتطلب الرائحة منك وقتا؛ كي تعتادَ عليها.

شم هاتش التميمة فتراجع خلفا عاقدا حاجبيه. ثم أمسك الكرة المفرغة الصغيرة بين أصابعه، وقال:

ـ أعتقد أنها رائحة مزعجة فعلا. لا يبدو لي هذا جذرًا على أي حال، يبدو كفطر أو عفن من نوع ما.

نظر هاتش نحو رومان وأكمل:

ـ هل له اسم آخر؟

ـ لا أعتقد بحسب علمي.

ـ سوف أبحث عنه في الموسوعة لأعرف المزيد عنه.. تانيس. لكن تلك الكرة أو أيًّا كانت، بديعة بالفعل، من أين حصلتِ عليها؟

نظرت روزماري باسمة نحو رومان، وقالت:

ـ لقد أهداها لي آل كاستيفيت.

أدخلت روزماري التميمة في فتحة قميصها. قال هاتش لرومان:

ـ يبدو أنك وزوجتك تعتنيان بروزماري أكثر مما قد يفعله والداها.

ـ نحن نحبها للغاية، ونحب جاي.

استند رومان إلى مسندي كرسيه، وقام واقفا، وقال:

ـ اعذرني، عليَّ أن أرحل الآن، زوجتي في انتظاري.

ـ تفضل، تشرفت بلقائك.

ـ سنتقابل لاحقًا حتمًا، لا تقومي يا روزماري.

لكن روزماري قامت وقادت رومان إلى الباب، ورأت أن شحمة أذنه اليمنى مثقوبة أيضا، وكانت تحف عنقه ندوب تبدو كطائر يطير على بُعد.

ـ شكرًا يا رومان لمرورك.

ـ لا عليكِ. يعجبني صديقك السيد هاتشنس، يبدو ذكيًا.

ـ هو بالفعل كذلك.

لوح رومان بكفه وهو يبتعد عنها عبر الممر، هاتفًا:

ـ أنا سعيد لمقابلته. أراكِ لاحقًا.

ـ إلى اللقاء.

عندما عادت روزماري إلى حجرة المعيشة، وجدت هاتش واقفًا يتفحص المكتبة.

ـ الحجرة أنيقة بالفعل. لقد أحسنت صنعًا.

ـ أشكرك. كنت أتمم بعض الأعمال فيها؛ لكنني توقفتُ بسبب تيبس المفاصل. شحمتا أذني رومان مثقوبتين! لاحظت ذلك للتو!

ـ شحمتان مثقوبتان، وعينان ثاقبتان. ماذا كان يعمل سابقًا؟

ـ كان يعمل في كل شيء وأي شيء. لقد ارتحل إلى كل مكان في العالم.

ـ هراء، لم يرتحل أحد إلى كل مكان في العالم، ولم يعمل أحد في كل شيء. ماذا كان يريد منك حين جاء؟

ـ جاء يسألني إن كنت أريد شيئا من الخارج، فهاتفه معطل. هم جيران رائعون.

ـ وكيف تبدو هي، زوجته؟

ـ جاي مقرب منهما أكثر، وأعتقد أنهما قد تحولا لأبوين بديلين له.

ـ وأنتِ؟

ـ لا أعرف. أحيانًا ما أشعر أنني شاكرة لما يفعلونه حتى لأتمنى أن اقبّلهما. وأحيانا ما يراودني إحساسٌ مُراوغ بشأن ودهما الزائد. هل تذكر يوم انقطاع الكهرباء العمومية؟

ـ وكيف أنساه؟ كنت في المصعد مع ثلاث نساء، ورجلٍ مرتاب، متيقن أن ثمة قنبلة قد انفجرت في المدينة وتسببت في انقطاع التيار.

ـ خمس ساعات في الظلام الدامس.

ـ ماذا كنت تقولين بشأن هذا اليوم؟

ـ كنت أنا وجاي هنا، وبعد انقطاع التيار بدقيقتين وجدنا ميني عند بابنا حاملةً حفنة من الشمع. فكيف يمكنك أن تشكو من جيران كهؤلاء؟

أومأت روزماري برأسها نحو رف المدفأة، فنظر هاتش، متسائلا:

ـ لن أستطيع الشكوى كما هو واضح. هذا هو الشمع، أليس كذلك؟

على رف المدفأة، كان ثمة وعائان فضيَّان في كل منهما بقايا شموع سوداء.

ـ ما تبقى منها.. لقد جلبت لنا ما يكفينا لمدة شهر.

ـ وكلها شموع سوداء؟

ـ نعم، لماذا تسأل؟

ـ فضول. هلا تصنعين لي بعض القهوة؟ واحكِ لي عن السيدة كاستيفيت. أين تزرع أعشابها؟ في أصص حول النافذة؟

* * *

كانا جالسين يحتسيان القهوة في المطبخ، عندما انفتح باب الشقة ودخل جاي، أمسك بكتف هاتش يمنعه من القيام، وهتف:

ـ يالها من مفاجأة! سعيد لرؤيتك.

أمسك جاي برأس روزماري بيده الأخرى، وقربها منه مُقبلا وجنتيها وشفتيها.

ـ كيف حالك يا حبيبتي؟

كان جاي لا يزال بمكياج التمثيل، وكان وجهه مدهونا بالبرتقال، وعيناه محاطتين بالرموش الصناعية الكثيفة.

ـ أنت الذي فاجأتنا بعودتك مبكرا. ماذا حدث؟

ـ لقدت توقف الحمقى بسبب تعديلات في النص المكتوب. سنكمل العمل غدًا. اجلسا كما كنتما، سأتخلص من معطفي سريعا وأعود.

صاحت روزماري؛ كي يسمعها وهو في طريقه للخزانة:

ـ أتريد بعض القهوة؟

ـ بالتأكيد.

قامت روزماري وملأت كوبًا، وأعادت ملء كوبها وكوب هاتش. راح هاتش يمتص الدخان من غليونه وهو شارد، حتى عاد جاي محملا بعلب سجائر بول مول ووضعها على المنضدة.

ـ غنيمة اليوم من تصوير الإعلان. تفضل يا هاتش.

ـ لا، شكرًا لك.

فتح جاي علبة، وأخرج منها سيجارة، وغمز لروزماري وهي تجلس جواره. قال هاتش:

ـ يبدو أنني سأبارك لكما مرَّة أخرى.

أشعل جاي سيجارته مبتسما، وقال:

ـ هل أخبرتك روزماري؟ خبر عظيم، أليس كذلك؟ نحن في غاية السعادة. بالطبع أشعرُ بالذعر من احتمالية أن أكون أبا فاشلا، لكن روزماري ستكون أمًّا عظيمة، حتى أن فشلي لن يُلاحظ.

ـ متى ستلدين؟

أخبرته روزماري، وأخبرت جاي أن دكتور سابيرشتاين قد أشرف على ولادة حفيدين لهاتش.

ـ وقابلت جاركما، السيد كاستيفيت.

ـ رجل عجوز لطيف، أليس كذلك؟ لديه حكايات لا تنضب عن المسرح والممثلين. مجنون مسرح!

ـ جاي، هل لاحظت من قبل أن شحمتي أذنيه مثقوبتان؟

ـ تمزحين!

ـ لا أمزح. لقد رأيتهما اليوم!

شرب ثلاثتهم القهوة، وتحدث جاي عن تسارع خُطاه في مهنته، وحكى هاتش عن رحلة يُعدها في الربيع؛ لزيارة تركيا واليونان.

ـ من المُحزن أننا لم نلقَكَ الفترة الأخيرة بما يكفي؛ بسبب مشاغلي وتعب روزماري. لم نتقابل مع أي أصدقاء لنا منذ فترة طويلة.

قام هاتش متوجهًا نحو الباب، فتبعه جاي وروزماري:

ـ أيمكننا تناول العشاء معًا قريبًا؟

ـ بالتأكيد. لا تنسَ أن تبحث عن أي معلومات عن جذور التانيس.

ـ لن أنسى. واطلبي من دكتور سابيرشتاين أن يتحقق من ميزانه، لا زلت أعتقد أنك خسرتِ أكثر من ثلاثة أرطال.

ـ لا تكن سخيفا، موازين الأطباء لا تتعطل.

أمسك جاي معطفًا معلقًا، وقال:

ـ هذا ليس معطفي، لابد وأنه معطفك.

ـ هو بالفعل كذلك. هل فكرتما في اسم للمولود بعد؟

قالت روزماري:

ـ أندرو أو دوجلاس لو كان ولدا، وميليندا أو سارة لو كانت بنتا.

سألها جاي، وهو يُناوِل هاتش قبعته:

ـ ساره؟ وماذا حدث لسوزان؟

قبّل هاتش خد روزماري، قائلا:

ـ أتمنى أن يزول الألم قريبا.

ـ سيزول، لا تقلق.

أضاف جاي:

ـ عرضٌ شائعٌ هو.

تحسس هاتش جيبي معطفه متحيرًا، ثم أخرج فردة قفاز، وقال:

ـ ألم تريا الفردة الأخرى هنا أو هناك؟

راحت روزماري تبحث على الأرض حولها، بينما تحقق جاي من الخزانة وأرضيتها، ثم قال:

ـ ليست هنا يا هاتش.

ـ أمر يثير الضيق بالفعل. لابد أنني نسيته حيث كنت أحجز تذاكر المسرح. سأعود لأتحقق. المهم، دعونا نخطط لعشاءٍ قريب معًا.

ـ بالتأكيد، ليكن الأسبوع القادم.

راقبت روزماري وجاي هاتش وهو يرحل حتى وصل إلى أول منعطف في الممر، ثم أغلقا الباب.

ـ كانت مفاجأة سارة، هل كان هنا منذ زمن؟

ـ لا، خمن ماذا قال؟

ـ ماذا؟

ـ قال أنني أبدو في حالٍ شنيعة.

ـ هاتش التعس. ينشر البهجة أينما حل.

نظرت له روزماري متسائلة، فأردف:

ـ الرجل صائدُ نكدٍ محترف. أتذكرين حين حاول أن يُثنينا عن إيجار هذه الشقة؟

ـ لا تقل عنه أنه صائد نكدٍ محترف.

قالتها روزماري عائدة إلى المطبخ؛ كي تنظف الأكواب. مال جاي إلى الباب وقال:

ـ حسنًا، ليس محترفًا. لكنه بالتأكيد واحدٌ من أفضل هُواة صيد النكد. من أفضل عشرة تحديدًا.

لاحقًا، بعد عشر دقائق، ارتدى جاي معطفه مرَّة أخرى وذهب ليشتري الجريدة.

* * *

رن جرس الهاتف في الساعة العاشرة والنصف مساء، بينما كانت روزماري تقرأ في الفراش، وجاي يشاهد التلفاز في حجرة الأطفال. دخل جاي حاملا الهاتف ووضعه جوار روزماري، قائلا:

ـ هاتش يريد أن يحدثك. أخبرته أنك ترتاحين، لكنه كان مصممًا على أن ما يريد قوله لا يمكنه الانتظار.

أمسكت روزماري سماعة الهاتف، وسألت في قلق:

ـ هاتش؟

ـ أهلا روزماري. هل تخرجين أم تمكثين في شقتك طيلة الوقت؟

نظرت روزماري لجاي، وهي تجيب:

ـ أنا لا أخرج كثيرا، لمَ تسأل؟

نظر جاي لها مقطبًا، وهو يصيخ السمع.

ـ ثمة ما أريد الحديث عنه معك. هل يمكنني مُلاقاتك غدًا في

الحادية عشرة صباحا أمام مبنى سيجرام؟

ـ بالطبع، لكن ما الأمر؟ ألا يمكنك أن تخبرني الآن؟

ـ ليس شيئا فائق الأهمية، فلا تقلقي. يمكننا تناول إفطار متأخر أو غداء مبكر سويًا.

ـ سيكون هذا رائعًا.

ـ ممتاز، الحادية عشرة صباحا، أمام مبنى سيجرام.

ـ اتفقنا. هل وجدتَ قفازك؟

ـ لا. لكن الوقت مناسب لشراء واحد جديد. تصبحين على خير يا روزماري.

أغلقت روزماري السماعة، فسألها جاي:

ـ ماذا حدث؟

ـ يريد أن أقابله غدًا في الحادية عشرة صباحًا. ثمة ما يريد أن يحدثني بشأنه.

ـ ولم يُلمِّح إلى شيء؟

ـ قط.

هزَّ جاي رأسه باسمًا ثم قال:

ـ أعتقد أن قصص الأطفال التي يكتبها تلتهم عقله. أين ستتقابلان؟

ـ أمام مبنى سيجرام.

أخرج جاي الهاتف فورا متجها نحو حجرة الأطفال، هاتفًا:

ـ سأذهب لشراء الآيس كريم، أتريدين كوبًا؟

ـ حسن.

ـ فانيليا؟

ـ فانيليا.

ـ سأعود سريعًا.

خرج جاي، فغاصت روزماري في وسادتها، ترنو أمامها بينما الكتاب يغفو على فخذيها منسيًّا. ماذا يريد هاتش؟ لقد قال إنه ليس أمرًا فائق الأهمية، لكنه أمرٌ مهم كذلك، وإلا لمَ سيطلب مقابلتها؟ هل هو شيء عن جوان أو واحدة من صديقاتها القدامى؟

من بعيد، سمعت صوت جرس باب شقة آل كاستيفيت. غالبًا جاي يسألهما إن كانا يريدان شيئا.

ثم طعنها الألمُ.

* * *

الفصل الثالث

في الصباح التالي، اتصلت روزماري بميني وطلبت منها أن لا تُحضر لها شرابها المقوي الصباحي. فقد كانت في طريقها لملاقاة هاتش، ولن تعود قبل الواحدة.

ـ لا يتوجَّب عليكِ تناوله في وقتٍ محدد. يمكنك أن تخرجي، وحين تعودين اتصلي بي؛ لأحضره لك.

كان يومًا مشمسًا، باردًا، صافيًا. سارت روزماري على الرصيف ببطء، حاملة ألمها في أحشائها. عند كل منعطف، كان يقف سانتا كلوز يجمع التبرعات، ويقرع أجراسه. ازدانت واجهات المحلات بزينة الكريسماس، وتراصت الأشجار المُزينة في منتصف بارك آفينيو.

وصلت روزماري إلى مبنى سيجرام في الحادية عشرة إلا ربع، ولم يكن هاتش هناك. جلست روزماري على سورٍ خفيض، تتلقى أشعة الشمس الدافئة على وجهها وتستمع إلى أصوات الأجراس وخطوات المارين ونقاشاتهم.

كان الفستان الذي ترتديه تحت معطفها ضيقًا عند البطن، وفكرت

في شراء بضع قطع من ملابس الحمل بعد انتهاء لقائها مع هاتش.

كانت سعيدة بالخروج، فحتى ألمها العاتي لم يكن ليمنعها من صخب الحياة وجمالها. عليها أن تقاوم من الآن فصاعدًا، عليها أن تتعرض للشمس والهواء النقي أكثر، وتبتعد عن دلال ميني وورومان لها تحت الأسقف وبين الجدران.

لكن الألم استمر بالرغم من أفكارها الإيجابية تلك.

في الحادية عشرة وخمس دقائق، قامت روزماري ووقفت جوار الباب الزجاجي للمبنى. ربما يخرج هاتش من الداخل قادمًا من موعد سابقٍ لموعدها. وإلا لمَ اختار هاتش هذا المبنى تحديدا؟

تفقدت الأوجه العابرة والداخلة من وإلى المبنى. رأت رجلا ظنته هو، لكنه لم يكن. وأبصرت شابا ظنته من كان تواعده قبل جاي، لكنه لم يكن هو. ظلت تراقب المارة عالمةً أنها إن لم تره، فسيراها هو حتما.

لم يظهر هاتش حتى الحادية عشرة والربع؛ فدخلت روزماري إلى المبنى، متفقدة قائمة الساكنين به، علها تجد صديقًا مشتركًا بينهما فتتصل به لتسأل عن هاتش عنده. عندما لم ترَ أي اسم مألوف، خرجت مرَّة أخرى إلى الشارع.

جلست على السور المنخفض التي كانت جالسة عليه من قبل، وراحت تراقب الناس الذين يلتقون ببعضهم بعضا، لكنها لم ترَ هاتش، ولم يكن هاتش ممن يتأخرون عن مواعيدهم أبدًا.

في الثانية عشرة إلا الثلث، عادت روزماري إلى داخل البناية مجددًا، وكان الاستقبال فيها أنيقا للغاية. استخدمت روزماري الهاتف في

الداخل لطلب شقتها، وتم توصيلها بآلة الرد التلقائي، فلم تجد رسالة من هاتش. طلبت منزل هاتش، ظنًّا منها أن مساعده ربما يعرف عنه شيئًا. مع أول جرس، سمعت روزماري صوت امرأة قلقة يجيب:

ـ نعم؟

ـ هل هذا منزل السيد إدوارد هاتشِنس؟

ـ أجل. من معي؟

بدا الصوت كأنما لامرأة أربعينية.

ـ أنا روزماري وودهاوس. وكان لدي موعد مع السيد هاتشنس في الحادية عشرة ولم يأتِ. هل لديك فكرة عن مكانه وما إذا كان سيأتي أو لا؟

ساد الصمت، ثم المزيد من الصمت.

هتفت روزماري:

ـ مرحبا؟

ـ لقد حدثني هاتش عنك يا روزماري. اسمي جريس كارديف، صديقة له. لقد تم نقله للمستشفى صباح اليوم.

ـ نقله للمستشفى؟ ماذا حدث؟

ـ غيبوبة عميقة لم يعرف الأطباء سببها حتى الآن. هو في مستشفى سانت فينيسنت.

ـ إلهي! لقد تحدثتُ معه ليلة أمس وكان في خير حال!

ـ وانا أيضًا حدثته هاتفيا ليلة أمس، وكان في حال طيبة. لكن مدبرة

منزله جاءت في الصباح ووجدته فاقد الوعي في الحمام.

- ولم يعرف الأطباء السبب؟

- أعتقد أن الوقت لا يزال مبكرًا، ولديهم المزيد من الفحوص ليجروها. أعتقد أنهم سيعرفون السبب قريبا وسيعالجونه. أما الآن، فهو لا يستجيب لأي طريقة للإفاقة.

- ألم يتعرض لشيءٍ كهذا من قبل؟

- قط. سأعود الآن للمستشفى، ولو أعطيتني رقم هاتف أستطيع الاتصال بكِ عليه، سأبلغك بأيَّ مستجدات.

أملتها روزماري رقم هاتف الشقة، وسألتها إن كان ثمة شيء عليها فعله.

- لا شيء في الواقع. لقد انتهيت من إبلاغ ابنتيه. لو احتجتُ لمساعدةٍ منكِ سأتصل بك.

خرجت روزماري من البناية، وراحت تجول في الشوارع، وتتساءل ما إذا كان هاتش سيعيش أو لا. وتساءلت عن جريس كارديف، هل هي المرأة الجذابة التي يواعدها هاتش؟ تمنت ذلك، وتمنت أن تكون تلك الغيبوبة سببًا لتفكيرهما في الزواج، لكن..هل سينجو؟

عند الزاوية، توقفت روزماري عند واجهة محل، تحوي مجسمًا للسيد المسيح والعذراء، ومن حولهما الخِراف والحيوانات. ابتسمت روزماري للمشهد الرقيق الذي داعب بعض المشاعر الناجية من اللا أدرية بداخلها.

دققت أكثر فرأت انعكاس وجهها الشاحب الذي أفزع هاتش بالأمس، والذي أفزعها هي نفسها الآن.

ـ هذا ما أسميه الصدفة المبالغ فيها!

التفتت روزماري لتجد ميني تقف خلفها مرتدية معطفا أبيض وقبعة حمراء.

ـ قلتُ لنفسي، طالما أن روزماري قد خرجت، فلأخرج أنا أيضا وأنهي تسوق الكريسماس. وها أنتِ، وها أنا! لكن، مابك يا عزيزتي؟ تبدين حزينة؟

ـ لقد سمعتُ أخبارًا سيئة للتو، صديق لي مريض للغاية.

ـ أوه.. من؟

ـ اسمه إدوارد هاتشينس.

ـ الرجل الذي قابله رومان أمس؟ لقد ظل يتحدث عنه وعن ذكائه مدة ساعة. يا للخسارة. ماذا أصابه؟

حكت لها روزماري، فقلت ميني:

ـ أتمنى أن لا يتطور الأمر إلى ما وصلت له حال المسكينة ليلي جاردينيا. ولم يعرف الأطباء سبب الغيبوبة؟ سيغطُّون على جهلهم بالكثير من الرطانة اللاتينية. ألم يكن من الأفضل إنفاق الملايين التي ينفقونها على إرسال رواد الفضاء للأعلى على الأبحاث الطبية في الأسفل؟ روزماري، هل أنتِ بخير؟

ـ لقد تفاقم الألم.

ـ يا للمسكينة، لنعد إلى المنزل، ما رأيك؟

ـ لا، عليكِ أن تُنهي تسوق الكريسماس الخاص بك.

ـ لا يهم، ما يزال أمامنا أسبوعان.

أشارت ميني لسيارة أجرة فتوقفت سريعًا:

ـ ما رأيك في هذه الخدمة؟ سيارة كبيرة أيضا.

لاحقًا، حين عادت روزماري إلى شقتها، تناولت المشروب المقوي اللاذع في كوب مخطط بالأزرق والأخضر، بينما ترمقها ميني مُشجعة.

الفصل الرابع

كانت روزماري تُفضّل أن تتناول اللحم متوسط السواء، لكنها الآن أصبحت تفضله شبه نيئ، مجرد أن تمسه النار؛ لإزالة برودة التجميد وحبس السوائل داخل قطعة اللحم.

خلال موسم الأعياد وما قبله، كان ألمها لا يُحتمل، لكن هذا العذاب قد أغلق شيئا ما في روح روزماري، حتى أنها لم تعد تذكر الألم لدكتور سابيرشتاين، وتوقفت حتى عن التفكير فيه بينها وبين نفسها.

كان الألم في داخلها، لكنها الآن قد غدت بداخله. كان هو الطقس والوقت والعالم بأسره. بدأت تميل للنوم وللأكل أكثر، وبخاصة اللحم النيء.

كانت تؤدي واجباتها بشكل تلقائي، تنظف، تطهو، ترسل بطاقات المعايدة للأهل الذين لم تواتها الجرأة للاتصال هاتفيا بهم. كانت تضع المال في أظرف وتعطها لعامل المصعد، وحارس العقار، وللسيد ميكلاس. حاولت أن تجد ما يشغلها في الجرائد، لكن كل الأخبار تبدو بعيدة وغير حقيقية، الحقيقة الوحيدة التي تعرفها روزماري هي الألم.

اشترى جاي هدايا الكريسماس لميني وروما ن فقط، وأهداهما الأخيران قواعد أكواب لحمية المناضد من البقع.

ذهبت روزماري وجاي إلى السينما عدة مرَّات، لكنهما كانا يقضيان أغلب الليالي في الشقة، أو في زيارة ميني وروما ن. قابلت عندهما في أمسية قريبة الزوجين: فونتاين، والزوجين: جيلمور، والزوجين: ويز، وامرأة تدعى سباتيني وقطتها. قابلا أيضًا دكتور شاند، طبيب الأسنان المتقاعد الذي سَبَك لهم تميمة جذور التانيس. كانوا جميعًا من كبار السن، وكانوا يعاملون روزماري باهتمام ومحبة وقد أدركوا أنها بائسة وعليلة.

وكانت لورا لويز تشاركهم بعضا من تلك الأمسيات وكذلك الدكتور سابيرشتاين. كان روما ن نشيطًا، يُفعم الكؤوس ويقدم المقبلات ويختلق مواضيعَ للنقاش.

في يوم رأس السنة، اقترح روما ن نخبًا، وهتف:

ـ إلى العام ١٩٦٦، العام الأول.

لم تفهم روزماري مقصده، بينما بدا أن الجميع يفهمون ويوافقون على ما قاله. شعرت وكأنها لم تفهم إشارة سياسية ما، لكنها لم تهتم بإيجاد توضيح.

غالبًا ما كانت روزماري وجاي يرحلان مبكرا، ويعود لهم جاي بعد أن يطمئن أن روزماري قد ارتاحت في سريرها.

ظل هاتش على حاله، في غيبوبته العميقة. وكانت جريس كارديف تتصل بها أسبوعيا وتخبرها أن الوضع كما هو، وأن الأطباء لا يعرفون له علاجًا، فاحتمالية أن يعود للحياة في أي وقت هي ذاتها احتمالية أن يغوص أكثر في غيبوبته فلا يعود منها أبدا.

زارته روزماري مرتين في مستشفى سانت فينيسنت. كانت تقف جواره وتحدق في عينيه المغمضتين. في زيارتها الأخيرة كانت ابنته دوريس هناك، وكانت روزماري قد قابلتها في شقة هاتش منذ أعوام. كانت سيدة ثلاثينية قصيرة تبدو وكأنها هاتش يرتدي شعرًا صناعيًا.

لم تتعرف دوريس على روزماري، فعرَّفتها الأخيرة على نفسها؛ مما تسبب في إحراج جَمٍّ لدوريس.

ـ لا تشعري بالإحراج، أعرف أنني في وضعٍ مُزرٍ.

ـ أنت لم تتغيري مطلقًا، لكن ذاكرتي سيئة للغاية فيما يخص تذكر الأوجه. أحيانا ما أنسى ملامح أولادي!

جلست المرأتان سويًا، وتحدثتا عن هاتش وحالته، بينما دخلت ممرضة لتعلق زجاجة تصب سائل ما في عروق هاتش.

ثم ذهب بهما الحديث إلى حمل روزماري، ودكتور سابيرشتاين ومهارته، لكن دوريس تعجبت من أن روزماري تتابع معه أسبوعيًا.

ـ كنت أتابع معه مرَّة واحدة شهريا. قُبيل الولادة كنت أذهب إليه مرَّة كل أسبوعين، وكنت أرى أن عدد الزيارات مناسب جدًّا.

لم تجد روزماري شيئا لتقوله، لكن دوريس عاجلتها قائلة:

ـ لكنني أعتقد أن كل حملٍ له متطلباته وخصوصيته.

ـ هذا ما قاله لي.

في المساء، أخبرت روزماري جاي أن دكتور سابيرشتاين كان يتابع دوريس مرَّة واحدة شهريا أثناء فترة حملها، وأردفت:

- ثمة شيء خاطيء في حملي، وهو يعرف ذلك منذ البداية.

- لا تكوني حمقاء، كان ليخبرك، أو حتي يخبرني أنا.

- ألم يقل لك شيئا؟

- أقسم لك، لم يخبرني بأي شيء

- لماذا إذًا يتوجب عليَّ زيارته أسبوعيًا؟

- ربما هذه هي الطريقة التي يتبعها مؤخرا أو أنه يزيد من رعايتك من أجل ميني وورومان.

- لا.

- حسنا، أنا لا أعرف سببًا. اسأليه، ربما كان الكشف عليك مسليًا أكثر من الكشف عليها!

* * *

سألت روزماري دكتور سابيرشتاين، فقال:

- روزماري..روزماري! ماذا قلت لك بشأن الحديث مع صديقاتك؟ ألم أخبرك أن كل حمل يختلف عن الآخر؟

- أجل، لكن..

- تختلف كذلك خطة العلاج ونوعيته. دوريس قد حملت مرتين قبل أن تأتي إليَّ، وكانت ولادتاها السابقتان عاديتين، فحالتها لا تتطلب الاهتمام الذي تتطلبه الحالات الجديدة.

- وهل تكشف أسبوعيا على كل الحوامل للمرَّة للأولى؟

ـ أحاول، وأحيانا لا أستطيع. أنت بخير حال يا روزماري وسيتوقف الألم في أي وقت.

ـ اشتهي اللحم النيء.

ـ هل تعانين من أي شيء آخر خارج المألوف؟

ـ لا، أليس هذا كافيًا؟

ـ كُلي أي شيء تشتهينه. لقد أخبرتك مسبقًا بشأن الشهية الغريبة. لقد مرَّت عليَّ نسوة تشتهين أكل الورق. توقفي عن القلق، فأنا لا أحجب المعلومات عن مرضاي. أنا أخبرك كل الحقيقة، اتفقنا؟

أومأت روزماري برأسها، فأردف الطبيب:

ـ بلغي ميني وروومان منِّي التحية. وبلغي جاي أيضا.

* * *

بعد فترة قصيرة، وجدت روزماري قلب دجاجة نيء بين أناملها وقد أكلت معظمه. نظرت إلى انعكاس وجهها على السطح اللامع لمُحمَّص الخبز، ثم نظرت ليديها، وللقلب المنهوش ولأصابعها التي تقطر دما.

مرت لحظات حتى انتبهت لنفسها، وألقت ما في يدها في القمامة، وفتحت الصنبور؛ لتغسل يديها، ثم مالت فجأة أماما، وراحت تقيء.

بعد أن نظفت نفسها وطهّرت الحوض، بحثت عن مفكرتها والقلم، وجلست إلى طاولة المطبخ تكتب.

* * *

دخل جاي عليها مرتديا بيجامته، ووجد أمامها كتابًا للطبخ تنقل منه وتكتب في المفكرة.

ـ ماذا تفعلين؟!

ـ أنتقي طعامًا من أجل حفل يوم الثاني والعشرين من يناير. بعد أسبوع تقريبا.

نظرت روزماري إلى الوريقات المنثورة علَى الطاولة، وأمسكت واحدة وقالت:

ـ سوف ندعو: إليس دونستان وزوجها، وجوان وصديقها الجديد. وجيمي وتيجر وآلان.. سندعو كل أصدقائنا القدامى.. كلهم، وابنتيِّ هاتش كذلك. ولن ندعو ميني ورومان ولا أيًّا من أصدقائهما. هذا حفل خاصٌّ لن يحضره سوى من هم أقل من الستين.

ـ للحظة ظننتك لن تدعينني!

ـ أنا دعوتك وستكون النادل.

ـ هل تعتقدين أن فكرة الحفل فكرة مناسبة؟

ـ هذه أفضل فكرة راودتني منذ أشهر.

ـ أليس من الأفضل أن تسألي دكتور سابيرشتاين أولا؟

ـ ولمَ أسأله؟ أنا سأقيم حفلا، ولستُ بصدد عبور المانش، أو تسلق قمة إيفريست.

فتح جاي الصنبور وملأ كوبا بالماء، وهو يقول:

ـ سأكون في بروفات العمل الجديد، أخبرتك أننا سنبدأ يوم السابع عشر من يناير.

ـ لن يكون عليك فعل أي شيء سوى الحضور بطلّتك الساحرة.

ـ وماذا عن وظيفة النادل؟

ـ سنؤجر واحدًا.. وعندما تريد النوم، سأطردهم جميعًا.

التفت جاي إليها حاملا كوبه متعجبًا، فقالت روزماري:

ـ أريد أن أراهم، سئمت من رؤية ميني ورومان طيلة الوقت.

ولّى نظره بعيدًا عنها، ثم نظر إلى الأرض، ثم إلى عينيها، متسائلا:

ـ ماذا عن الألم؟

ابتسمت روزماري في مرارة، وقالت:

ـ ألم تعرف؟ سيزول الألم في أي وقت. هكذا أخبرني الدكتور سابيرشتاين.

* * *

جاء كل من دعته روزماري إلى حفلها، عدا ابنتي هاتش بسبب ظروف والدهما، وزوجين آخرين من أصدقائها؛ لسفرهما إلى لندن.

في يوم الثلاثاء السابق للحفل، جاءت ميني بمشروبها المقوي إلى روزماري بينما كانت مشغولة في إعداد الطعام. سألت ميني روزماري:

ـ ما هذا الطعام؟

ـ سأعده وأبرده لحفل أقيمه يوم السبت.

ـ يبدو أن صحتك قد تحسنت كثيرا لتُقيمي حفلا.

ـ لقد دعوت أصدقاءً قدامى لي لم أرهم منذ زمن، ولم يعلموا بعد بخبر حملي.

ـ يمكنني مساعدتك لو أحببتِ، يمكنني تقديم الطعام بدلا عنك.

ـ شكرًا لك، لكم هو لطيف منك عرض المساعدة، لكنني سأضع الطعام كله على المائدة وليأخذ من يريد ما يكفيه. لن يكون هناك الكثير لأفعله.

ـ يمكنني مساعدتك في تعليق معاطف الزوار.

ـ أشكرك يا ميني، أنت تفعلين الكثير من أجلي.

ـ أعلميني إذا احتجت مساعدة. اشربي مشروبك.

نظرت روزماري للكوب المخطط في يدها، وقالت:

ـ سأشربه بعد قليل وسأعيد الكوب لك.

ـ لا يجب أن تتركيه لفترة طويلة بعد إعداده.. سيفسد.

ـ لن أتركه طويلا، اذهبي أنت وسأعيد لك الكوب لاحقًا.

ـ سأنتظر وأوفر عليك الطريق.

ـ أنا أتوتر حين يراقبني أحد وأنا أعد الطعام. سأخرج في المساء وسأعبر من أمام باب شقتك على أي حال.

ـ ستخرجين؟

ـ سأتبضع.. اذهبي الآن، أنت لطيفة للغاية معي، حقًا.

تراجعت ميني ببطء، وهي تقول:

ـ لا تتركي المشروب طويلا، سيفقد فائدته.

أوصلت روزماري ميني للباب، ثم أغلقته خلفها وعادت للمطبخ.

أمسكت الكوب في يدها للحظات، ثم سكبت السائل الأخضر الشاحب في الحوض، وشاهدته ينزل في دوامةٍ عبر البالوعة.

بعد أن انتهت من إعداد الطعام، راحت تدندن وهي تُعِد مشروبها الخاص المكون من الحليب والقشدة والكريز والبيض، وراحت تهز مكوناته في برطمان مغلق، ثم صبته في كوب. كان لذيذ الطعم إلى حدٍّ مدهش.

(مهلاً يا ديفيد أو ميليندا!)

الفصل الخامس

في حوالي الساعة التاسعة والنصف، لم يبدُ وكأن أحدهم سيحضر الحفل.

وضع جاي قطعة كبيرة من الفحم في المدفأة، ثم نظف كفيه في منديلٍ قماشي. خرجت روزماري من المطبخ متدثرة في ألمها ومعطفها، متوَّجة بتسريحة شعرٍ مميزة مشرقة.

كان الساقي الذي استأجروه يعاني الفراغ، فراح يصمم أشكالا مستخدمًا قشور الليمون، ثم شغل نفسه في إعادة ترتيب الأكواب والمناديل والزجاجات.

كان إيطاليا يُدعى ريناتو، وكان يبدو أنه يعمل كساقٍ فقط لتمضية الوقت، وأنه سيرحل لو أصابه ملل أكثر مما يُعانيه الآن.

ثم جاء آل وسندل، تبعهما آل دونستان. بعد قليل دخل وكيل جاي، آلان ستون، مع عارضة أزياء زنجية حسناء تُدعى رين مورجان.

تدفق الضيوف تباعًا، وراح جاي يعلق معاطفهم، بينما يخلط الساقي المشروبات في حرفية وقد زال الملل عنه فجأة.

عرّفت روزماري الضيوف على بعضهم بعضا، خاصة وأن منهم من جلب ضيوفا إضافيين، ولم تجد روزماري غضاضة في ذلك قط.

صاحت صديقتها كلوديا:

ـ هل يمكنني رؤية بقية الشقة؟ لو كان بقيتها في بهاء ما أره الآن فسأنتحر!

جلب مايك وبيدرو باقة من الورود الحمراء، همس الأخير في أذن روزماري:

ـ عليك أن تأكلي أكثر، تبدين في نحافة زجاجة اليود.

أدخلت روزماري الورد إلى المطبخ فتبعتها إليس حاملة مشروبها، وقالت:

ـ أنتِ محظوظة! هذه هي أجمل شقة رأيتها في حياتي. هل أنتِ بخير يا روزي؟ هل تشعرين بتعب؟

ـ شكرًا لك على الإطراء. بالفعل أنا متعبة لكنني سأكون بخير. أنا حامل.

ـ عظيم! متى ستلدين؟ ومع من تتابعين حملك؟

ـ الثامن والعشرين من يونيو. سأدخل شهري الخامس يوم الجمعة. كنت أتابع مع دكتور هيل و..

ـ كيف هو حال الدكتور هيل معك؟

ـ لم أعد أزوره. وجدت طبيبًا أكبر سنا يُدعى سابيرشتاين.

ـ لماذا؟ لا يمكن أن يكون أفضل من هيل.

ـ هو طبيب معروف وصديق مقرب لأصدقائنا.

دخل جاي، فهتفت إليس:

ـ مبروك يا بابا!

ـ أشكرك.. هل تريدين أن أُحضر التغميسات يا رو؟

ـ أجل، لو سمحت. انظر إلى جمال هذه الورود التي جلباها بيدرو ومايك؟

أخرج جاي وإليس أطباق التغميسات، وأخبرتهما روزماري أنها ستلحق بهما خلال دقائق.

ذاع خبر حمل روزماري بين الأصدقاء، وراح الجميع يهنئونها ويقبّلونها. ثم تغير الموضوع بشكل مفاجيء عندما قال أحدهم:

ـ الأختان ترينش كانتا تعيشان هنا.

قال بيرنارد كاب:

ـ وآدريان ميركاتو وكيث كينيدي كذلك.

ـ وبيريل آدمز.

سأل جيمي:

ـ الأختان ترينت؟

ـ ترينش، كانتا تأكلان الأطفال.

أغلقت روزماري عينيها وكتمت أنفاسها مع هجمة الألم المباغتة التي شعرت بها. ربما تسبب الشراب في هذا الألم، فوضعت كأسها جانبًا.

سألتها كلوديا:

ـ هل أنت بخير؟

ـ بخير، مجرد شد عضلي.

كان جاي يتحدث عن مسلسله الجديد، فسألته تيجر:

ـ ماذا حدث للممثل الذي كان مرشحا قبلك، ألا يزال أعمى؟

ـ لا أعرف.

هتف أحدهم:

ـ دونالد باومجارت، هل تعرفين من هو يا تيجر؟ هو الشاب الذي تسكن معه زوي بايبر.

ـ حقًا؟ لم أكن أدرك أنه شخصٌ أعرفه.

ـ دونالد يكتب نصًّا مسرحيًا سيكون الأقوى في الفترة القادمة. قرأت أول فصلين منه.

سألت روزماري:

ـ ألا يزال فاقدا للبصر؟

ـ أجل. لكنه يبذل جهدًا كبيرًا؛ كي يتأقلم مع الوضع الجديد، ويبدو أنه قد نجح فعلا. زوي تكتب بدلا منه ذلك النص المُبدع الذي يؤلفه.

جاءت جوان من خلف روزماري وتأبطت ذراعها وأبعدتها عن الجمع. سألتها:

ـ ماذا بك؟!

ـ لا شيء، أنا فقط حامل.

* * *

كانت روزماري مع تيجر تخلطان السلاطة، عندما دخلت جوان وإليس وأغلقتا الباب من خلفهما. سألتها إليس:

ـ قلتِ لي ما اسم طبيبك؟

ـ سابيرشتاين.

ـ وهو راضٍ عن حالتك تلك؟

أومأت روزماري إيجابا.

ـ قالت كلوديا أنك شعرت بشد عضلي منذ قليل.

ـ أشعر بألم مستمر، لكنه سيزول سريعا. ليس بالأمر الغريب.

سألت تيجر:

ـ ألمٌ من أي نوع؟

ـ ألم.. ألم حادٌّ فقط؛ يسببه تمدد الحوض وتيبس مفاصلي.

قالت إليس:

ـ روزي، لقد مررتُ بحالتك نفسها في مَرَّتَيّ حملي، وكان الأمر لا يتعدى بضعة أيام، وكان ألما منتشرًا في منطقة البطن بالكامل.

قلبت روزماري السلاطة وراحت ترفعها بين ملعقتين خشبيتين وتتركها تسقط في الطبق، قالت:

ـ كلُ حملٍ يختلف عن الآخر.

ـ ليس بهذا الاختلاف الكبير، تبدين كملكة جمال معسكرات التعذيب لعام ١٩٦٦. هل تثقين بأن هذا الطبيب يعرف ما يفعله؟

وضعت روزماري الملعقتين في الطبق وبدأت في بكاء صامت، وراحت الدموع تجري علَى خديها. نظرت جوان إلى تيجر التي طوقت كتفيّ روزماري، وقالت:

ـ إلهي.. لا تبكي يا روزي.. كفى.

قالت إليس:

ـ البكاء ممتاز لحالتها، دعيها تبكي. ألم تري حالها طيلة الأمسية؟

لطخ الكحلُ خديّ روزماري، بينما انخرطت في بكاء عميق. أجلستها إليس على كرسيٍّ، وأبعدت تيجر طبق السلاطة إلى آخر الطاولة.

كاد الباب أن ينفتح، إلا إن جوان أغلقته سريعًا في وجه جاي.

ـ دعوني أدخل!

ـ نأسف لذلك، هذا المكان مخصص للفتيات فقط.

ـ أريد الحديث مع روزماري.

ـ روزماري مشغولة الآن.

ـ أريد أن أغسل الأكواب إذًا.

ـ اغسلهم في الحمام!

أحكمت جوان غلق الباب، ومالت عليه بجسدها.

ـ اللعنة، افتحي الباب.

استمرت روزماري في البكاء، رأسها منكسة وكتفاها محنيّان يهتزان من النشيج. كانت إليس تمسح خدها بمنديلٍ كل بضع دقائق، بينما تمسد تيجر شعرها وتحاول أن توقف اهتزاز كتفيها. ثم بدأت الدموع في التراجع. رفعت وجهها إليهما، وقالت:

ـ أنا في ألمٍ شديد، وأشعر بالذعر على الجنين، هل سيموت؟

صاحت إليس:

ـ ألا يصف لك أي دواء؟

ـ لا شيء.. لا شيء.

قالت تيجر:

ـ ومتى بدأ هذا الألم؟

نهنهت روزماري ولم تجب. أعادت إليس سؤال صديقتها:

ـ متى بدأ الأم يا روزي؟

ـ قبل عيد الشكر، في نوفمبر.

ـ في نوفمبر؟!

هتفت جوان من مكانها عند الباب المغلق:

ـ ماذا قلتِ؟ أنت تعانين من الألم كل هذه المُدة ولم يفعل هذا الطبيب شيئا؟

ـ يقولُ لي أن الألم سيتوقف.

سألت جوان:

ـ هل طلب استشارة طبيب آخر؟

هزت روزماري رأسها نافية، وأضافت بينما إليس تمسح خديها:

ـ هو طبيب ممتاز، ومعروف كذلك. لقد ظهر في برنامج «النهاية المفتوحة» الشهير![1]

قالت تيجر:

ـ يبدو كمخبول سَادي يا روزماري!

أضافت تيجر:

ـ ألمٌ كهذا يُعد بمثابة إنذار. لا أريد أن أخيفك يا روزي، لكن لتستشيري دكتور هيل، أو أي طبيب آخر.

صاحت تيجر في حنق:

ـ المخبول!

قالت روزماري:

ـ لن أخضع لعملية إجهاض.

مالت جوان بعيدًا عن الباب، وهمست:

ـ من ذكر سيرة الإجهاض هنا؟ فقط استشيري طبيبا آخر، هذا كل ما نقترحه.

أخذت روزماري المنديل من إليس وجففت عينيها، ثم نظرت إلى أثر الماسكارا على المنديل، وغمغمت:

---

(1) Open End

برنامج حواري أمريكي شهير. كان قدمه ديفيد سازكيند في الفترة ما بين 1958 – 1986

ـ لقد أخبرني أن هذا سيحدث، وأن صديقاتي ستوهمنني أن حملهن هو الطبيعي وحملي هو الغريب.

سألت تيجر:

ـ ماذا تعنين؟

ـ طلب منِّي أن لا أسمع لما ستخبرني به صديقاتي.

صاحت تيجر:

ـ عليكِ أن تنصتي إلينا إذًا.. ما هي نوعية الأطباء التي تُسدي نصيحة مُضللة كتلك؟!

ـ كل ما نطلبه منكِ هو أن تستشيري طبيبا آخر، ولا أظن أن أي طبيبٍ عاقل سيعترض على تصرفٍ سيُطمئن مريضه.

ـ اذهبي لطبيب آخر ياروزماري، ليكن هذا هو أول شيء تفعلينه يوم الإثنين.

ـ سأفعل.

سألت إليس:

ـ أتعدياننا؟

ـ أعدكما.. أشعر بتحسن كبير فعلا، شكرًا لكما!

وزعت روزماري ابتساماتها الواهنة على صديقتيها، فقالت تيجر وهي تفتح حقيبتها:

ـ لا، تبدين أسوأ بكثير. أصلحي زينتك..

أخرجت تيجر من حقيبتها أدوات الزينة ووضعتها أمام روزماري

على منضدة المطبخ. قالت روزماري في حسرة:

ـ انظرن إلى فستاني..

ـ سأنظفه.

أخذت إليس منشفة ثم بللتها من صنبور المطبخ، ثم راحت تنظف الفستان، بينما أكملت تيجر إعداد السلاطة. قالت إليس ضاحكة:

ـ في المرَّة القادمة التي تنوين البكاء فيها لا ترتدي القطيفة.

انفتح الباب ودخل جاي ناظرًا إليهن في حيرة. قالت تيجر:

ـ نتبادل بعضًا من أسرار الجمال، أتريد سرًّا؟

ـ روزماري، هل أنتِ بخير؟

ابتسمت روزماري، وقالت:

ـ نعم، أنا بخير.

قالت إليس:

ـ بعض من تتبيلة السلاطة انسكبت على فستانها، هل يمكن لطاقم المطبخ المُتمثل فينا، أن يحصل على بعض من المشروبات يا جاي؟

* * *

كان الطعام شهيا، وأخبرت تيجر روزماري أن دموعها قد أعطت للسلاطة مذاقا أكثر تميزًا.

فتح روناتو زجاجات الشامبانيا وقدمها للجميع، بينما جلس سكوت شقيق كلوديا أمام التلفاز وطبقه على فخذيه، صائحا:

ـ اسمه التيزر[1] يعيش في أتلانتا على ما أعتقد. يزعم أن موت الإله هو حادث تاريخي محدد يحدث الآن، في عصرنا هذا. يقول إن الإله قد مات حرفيا.

جلس الأصدقاء يسمعون ويأكلون. أشار جيمي فجأة إلى النافذة، وهتف:

ـ الثلج بدأ في الهطول!

بدأ ستان كيلر في إلقاء النكات، وراحت روزماري تضحك بصوت عال. غمغم جاي:

ـ لا تشربي كثيرا.

التفتت له وأرته كوبها، وقالت ضاحكة:

ـ مجرد مشروب غازي.

بدأت كلوديا في قراءة الطالع، بينما تطوف بهم روزماري تناولهم القهوة وتفرغ المطافيء، تساعدها في ذلك تيجر وكارول.

لاحقًا، جلست عند حاجز النافذة المُبطن بالمُتكئات تشاهد الثلج وتتحدث مع هيو دانستان.

ـ كل عام، تلح عليَّ فكرة ترك المدينة بجرائمها وضوضائها، وكل عام يهبط الثلج ولا أزال مكاني.

ـ لهذا السبب أردتُ تلك الشقة؛ كي أجلس هنا وأشاهد الثلج جوار المدفأة.

---

(1) Thomas Altizer

مفكر راديكالي، قام بدمج نظرية نيتشه عن موت الإله، وفلسفة هيجل الجدلية في نظرياته الفلسفية المنظمة

ـ أراهن على أنكِ لا زلتِ تقرأين روايات ديكنز.

ـ بالتأكيد، لا يستطيع أحد أن يُقلع عن قراءة رواياته.

جاء جاي هاتفًا:

ـ بوب وثيا سيرحلان.

* * *

بحلول الساعة الثانية، كان الجميع قد رحلوا، تاركين روزماري وجاي وحدهما وسط الأكواب المُتسخة، والمناديل المستعملة، والمطافيء المُفعمة. ولا زالت كلمة إليس الأخيرة في أذن روزماري تتردد (لا تنسي).

ـ ماذا نفعل الآن بكل تلك المخلفات؟ أقترح أن نجد شقة أخرى!

ـ جاي.

ـ أجل؟

ـ سأذهب لدكتور هيل يوم الإثنين القادم.

لم يعلق جاي، فقط ظل يرمقها.

ـ أريده أن يكشف عليَّ. إما أن دكتور سابيرشتاين يكذب، أو إنه.. لا أعرف.. مخبول! ألمٌ كهذا لابد وأنه نذير خطر.

ـ روزماري!

ـ ولن أشرب مشروب ميني مرَّة أخرى. أريد حبوبًا مقوية مثل باقي الناس. أنا لم أشرب هذا الخليط الشنيع منذ ثلاثة أيام. كنت آخذه منها وأخبرها أنني سأشربه لاحقًا، ثم ألقيه في الحوض.

ـ أنت...

ـ وكنتُ أصنع شرابًا خاصًا بنفسي.

استجمع جاي كل دهشته وغضبه، وأشار نحو المطبخ من خلفه، وصاح:

ـ أهذا ما كانت تلك العاهرتان يوسوسان به في أذنيكِ؟ أهذه هي نصيحة اليوم؟ أن تغيري طبيبك!

ـ إنهما صديقتاي، لا تنعتهما بالعاهرتين!

ـ مجرد عاهرتين فاشلتين، كان عليهما أن تهتما لشئونهما الحقيرة الخاصة.

ـ كل ما اقترحتاه هو أن آخذ رأي طبيبٍ آخر.

ـ لديك أفضل طبيب في نيويورك يا روزماري، هل تعرفين من هو دكتور هيل؟ مجرد نكرة!

بدأت روزماري في الصراخ والبكاء مجددا.

ـ لقد سئمت من كلامكم عن براعة دكتور سابيرشتاين هذا! أنا أعاني من هذا الألم من قبل عيد الشكر، وكل ما فعله هو تكرار عبارته «سيتوقف الألم في أي وقت من الآن».

ـ لن تغيري طبيبك يا روزماري. لن أدفع لسابيرشتاين وهيل أيضا. الموضوع خارج المناقشة.

ـ لن أغير طبيبي، أنا أريد فقط رأيًا آخر.

ـ لن أسمح لك. هذا ظلم لدكتور سابيرشتاين.

ـ ظلم؟! عم تتحدث؟ وهل هذا عدلٌ لي؟

ـ أتريدين رأيًا آخر؟ حسنا، اطلبي من سابيرشتاين أن يختار هو طبيبًا يثق به. هو الأمهر في مجاله ويستحق منك كياسةً في التعامل.

ـ أريد دكتورهيل، ولو لم ترد أن تدفع له، سأدفع أنا...

صمتت روزماري ووقفت بلا حراك كأنها تمثال. سالت دمعة على خدها حتى وصلت ركن فمها وتجمدت هناك.

ـ رو..

توقف الألم، زال تماما. كنفير معطل تم إصلاحه فجأة.

لقد انتهى الألم، ولكم كان شعورا رائعًا. اقترب جاي خطوة منها، وسألها في قلق:

ـ رو؟

ـ لقد سكن الألم.

ـ سكن؟

ـ لقد زال!

ابتسمت، وأغمضت عينيها وأخذت نفسا عميقا. لقد صار في مقدورها أن تتنفس بعمق، بقدر ما حُرمت منه الفترة الماضية بسبب الألم. عندما فتحت عينيها، كان جاي يحدق فيها في توتر. سألها:

ـ ماذا كان في المشروب الذي أعددته لنفسك؟

غاص قلبها في صدرها، لقد قتلت الجنين! ربما قتلته بالكريز، أو بالبيضة، أو بالخليط ككل. الطفل قد مات، وزال الألم. الألم والطفل كانا شيئًا واحدًا وقد قتلتهما معا بجهلها.

- بيضة، حليب، قشدة، سكر...

مسحت روزماري خدها، ونظرت لجاي وقالت محاولة أن يبدو ما ستقول أقل سُمية:

- وكريز.

- كريز؟ كم واحدة؟

شيء تحرك في أحشائها.

- الكثير؟

مرَّة أخرى، تحرك شيء وصاحبه إحساس بضغط بسيط في بطنها. قهقهت روزماري.

- روزماري، بحق الله، كم وضعت؟

قهقهت روزماري مجددا، وقالت:

- إنه حي! يتحرك! هو بخير ولم يمت.

نظرت إلى بطنها المتدثرة في فستانها ووضعت كفها عليها وضغطت بخفة. شعرت بشيئين يتحركان: قدمين، كفين. أمسكت بكف جاي ووضعتها في المكان الذي شعرت بحركة فيه، وتحرك الجنين مرَّة أخرى.

- هل تشعر به؟ هنا.. هل تشعر به؟

سحب كفه سريعًا وشحب وجهه، وهو يقول:

- أجل! أشعر به!

- لا يوجد ما يخيف، لن يعُضك!

- هذا.. رائع!

ـ أليس كذلك؟ إنه حي، يتحرك ويركل!

ـ سوف أنظف بعضًا من تلك الفوضى.

راح جاي يجمع المخلفات والأكواب المُتسخة، بينما رددت روزماري:

ـ حسن يا ديفيد أو أماندا، لقد أكدت وجودك، والآن، لنهدأ قليلا؛ كي تستطيع ماما أن تقوم ببعض التنظيف.

صاحتْ روزماري ضاحكة مرَّة أخرى:

ـ إلهى، إنه نشيط للغاية، لقد ركلني مجددًا. ألا يعني هذا أنه ولد؟ على رسلك أيها الشاب، أمامنا خمسة أشهر أخرى، وفّر طاقتك.

ابتسمت واقتربت من جاي، وقالت:

ـ حدّثه يا جاي.. أنت أبوه، اطلب منه أن لا يكون نافد الصبر هكذا.

راحت تضحك وتضحك وهي تمسك بطنها. ثم انخرطت في البكاء.

* * *

الفصل السادس

على قدر سوء وضعها من قبل، على قدر ما شعرت براحةً الآن. فمع سكون الألم، جاء النوم، ومع النوم جاء الجوع للحوم نصف المطهوة (وليس للحوم النيئة)، والبيض والخضروات والأجبان والفواكه والحليب. مع مرور الأيام، سَمِن وجه روزماري وغاصت قسماته وسط اللحم. وخلال أسابيع، أمست روزماري في هيئة المرأة الحامل المتعارف عليها؛ سمينة، تتمتع بالصحة، فخورة، وأجمل من أي وقت مضى.

كانت تشرب مشروب ميني بمجرد أن يصل إليها، تجرعه لآخر قطرة في الكوب المخطط، مدفوعةٌ بشعورٍ بالذنب تذكره كلما خطرت لها ذكرى الليلة التي ظنت فيها أنها قد قتلت الجنين بمشروبها الخاص.

مع المشروب، كانت ميني تقدم لها كعكة محشوة بمادة بيضاء حلوة تشبه المزبانية بالسكر واللوز. وكانت تلتهما فورًا مأخوذة بطعمها الشهي الذي يشعرها بأنها أسعد أم في العالم.

كان الدكتور سابيرشتاين معتدًا برأيه حول حتمية توقف الألم، وأن الأمر يتعلق بالوقت لا أكثر. وبدأ في استخدام المسماع على بطن

روزماري ليستمع إلى حركة الطفل، وقد أبدى سعادة خاصة غير مألوفة لدى أطباء مثله، ممَّن أشرفوا على مئات الولادات. ظنت روزماري أن هذا هو الفرق بين طبيب النساء العظيم والأطباء الآخرين.

اشترت روزماري ملابسًا للحمل. فستان أسود من قطعتين، سترة سكرية اللون، وفستان أحمر منقط بالأبيض.

راح الجميع، بما فيهم الأصدقاء والجيرة، يبدون سعادتهم لتحولها إلى الأفضل. وعرفت أن الجميع كانوا قلقين بشأن منظرها البائس.

ـ أشعر بأنني أفضل بكثير. بعض فترات الحمل تبدأ بداية صعبة، وتئول إلى التحسن فيما بعد، وبعضها على العكس. أنا محظوظة أن أيامي الصعبة قد مرَّت أولا.

أَلِفت روزماري بعض الآلام البسيطة من وقت لآخر، مثلا آلام العمود الفقري، وألم الثدي، وهي آلامٌ معروفة في أثناء فترة الحمل، وقد قرأت عنها في كتابها الذي أمرها دكتور سابيرشتاين بالتخلص منه.

كذلك راحت أحوال جاي في العمل تتحسن بشكل ملفت، وقد تم عرض مسرحيته، وتلقى علَى أثرها مديحًا من النقاد. وحاولت أن تجد روزماري ما يشغلها أثناء غياب جاي في عمله، فراحت تنسق حجرة الأطفال، وتركب ورق الحائط، وتضع المهد في مكانه جوار حوض الاستحمام الصغير.

كان لديها العديد من المهام المؤجلة، منها كتابة الخطابات للعائلة؛ لتخبرهم بنبأ حملها، وشراء ملابس للطفل، بالإضافة إلى ترتيباتٍ تتعلق بتسمية الطفل، وطرق إرضاعه. أتسميه أندرو أم دوجلاس أم ديفيد؟ أماندا أم جيني أم هوب؟

قررت روزماري أن تلد الطفل ولادةً طبيعية، لذا وجب عليها أن تحضر تمارين لتسهيل العملية، وقد اتفقت مع دكتور سابيرشتاين على أن لا يعطيها مخدرا أثناء الولادة إلا إذا طلبت هي منه ذلك.

كانت تقضي الأمسيات عند ميني وروماني، وقد أمضت أمسية واحدة مع صديقاتها اللاتي ذكّرنها أن تحجز ممرضة لمرافقتها. لكن الدكتور سابيرشتاين أكد لها أنه قد وجد لها ممرضة ممتازة لتمكث معها قدر ما تحتاج. وكان اسمها الآنسة فيتزباتريك، واحدة من أفضل الممرضات في المدينة.

كان جاي يتصل بروزماري كلما سنحت له الفرصة أثناء سفره للعرض المسرحي، وكان يخبرها بمستجدات العرض، بينما تخبره هي عن الآنسة فيتزباتريك، وعن ملابس الأطفال الخرقاء التي تصنعها لورا لويز لطفلهما.

بعد انتهاء فترة العروض المسرحية، عاد جاي لبيته مدة يومين، قبل أن يسافر مرَّة أخرى لتجارب أداء في كاليفورنيا لدى شركة وارنر برازرس. ثم عاد بعدها بنصين ليختار منهما ما يشاء، إلى جانب الإعداد للموسم الثاني من المسلسل الكوميدي.

كان الطفل يركل في بطن روزماري كالشيطان، وكلما نهرته روزماري استمر أكثر في الركل.

اتصل بها زوج أختها مارجرِت، وأخبرها أنها قد ولدت طفلا ذكرًا يزن ثمانية أرطال.

تم نقل التلفاز من حجرة الأطفال إلى حجرة المعيشة، بينما تم منح الأصدقاء باقي أثاث الحجرة. وأصبح المكان على أتم استعداد لاستقبال الطفل.

ـ أندرو جون وودهاوس، كُف عن الركل! لا يزال أمامك شهران!

احتفل الزوجان بعيد زواجهما وعيد ميلاد جاي الثالث والثلاثين، وأقاما حفلا آخر دعيا فيه أصدقاءهما القدامى.

راحت روزماري تكتسب الوزن، وانتفخ ثدياها فوق بطنها العملاقة المشدودة كالطبل. واظبت على تمارينها صباحا ومساءً.. ترفع ساقيها وتخفضهما، تجلس القرفصاء، تكرر تمارين التنفس.

في بداية شهر مايو، ومع دخولها في شهرها التاسع من الحمل، جهزت حقيبة صغيرة وضعت فيها حاجياتها التي ستستخدمها في المستشفى بعد الولادة، ووضعتها جوار باب الحمام.

* * *

في يوم الجمعة، الثالث من يونيو، توفي هاتش على سريره في مستشفى سانت فينيسنت. اتصل زوج ابنته بروزماري وأخبرها بما حدث يوم السبت، ودعاها لحضور حفل التأبين يوم الثلاثاء في الحادية عشرة صباحا.

بكت روزماري بحرقة، بكت لموته، وبكت لأنها نست أن تسأل عنه طيلة الأشهر الماضية. كانت قد تلقت اتصالا أو اثنين من جريس كارديف، واتصلت مرَّة بدوريس، لكنها لم تذهب لزيارته. لم تكن تجد في زيارته مغزى، كونه في غيبوبة. لكن شيئا في داخلها كان يثنيها عن زيارته، وكأن المكوث جوار مريض سيمرض جنينها، أو يضعه في خطر.

عندما علم جاي بالخبر، ذهب لونه، وتقوقع على نفسه عدة ساعات حتى اندهشت روزماري لعمق حزنه.

ذهبت روزماري لحفل التأبين وحدها، فقد كان جاي مشغولا، وكانت جوان تعاني من نزلة برد شديدة.

كان الحفل قصيرًا، وقد حضره ما يقارب الخمسين شخصًا. ألقى بعضهم كلمات رثاء وقد بدا أنهم يعرفون هاتش منذ زمن. ثم وجدت روزماري نفسها مُطالبة بقول شيء للحضور. فوقفت على المنصة ورَثَت الرجل، وقدمت تعازيها لابنتيه.

اقتربت منها سيدة خمسينية أنيقة، وأمسكت بذراعها، وسألتها:

ـ اعذريني، هل أنت روزماري؟ أنا جريس كارديف.

أمسكت روزماري كف المرأة وعزتها، وشكرتها على مكالماتها واهتمامها. أخرجت جريس مظروفا كبيرا من حقيبتها، وقالت:

ـ كنت سأرسل هذا أمس، لكنني رجحتُ أنني سأراكِ اليوم.

ناولت جريس المظروف لروزماري، ورأت الأخيرة اسمها وعنوانها مكتوبين عليه.

ـ ما هذا؟

ـ كتاب كان يريد هاتش أن تحصلي عليه، كان متحمسًا له بشدة.

لم تفهم روزماري، فأردفت جريس:

ـ لقد عاد لوعيه قبل وفاته بدقائق، لم أكن جواره وقتها، لكنه طلب من الممرضة أن تخبرني أنه كان يريد إرسال الكتاب الذي على مكتبه إليكِ. غالبًا ما كان يقرأ هذا الكتاب ليلة أن فقد الوعي. كان مُصرًّا على التأكيد على الممرضة أن تبلغني رسالته بإرسال الكتاب إليك، وأن أخبرك أن «الاسم عبارة عن جِناس»

ـ اسم الكتاب؟

ـ تقريبًا، لم يوضّح أكثر. يبدو أنه كان يحارب؛ كي يستعيد وعيه ولو لدقائق. عندما أفاق كان يظن نفسه في صباح اليوم الذي كان سيقابلك فيه. كان يريد أن يخرج؛ كي يلحق بموعدك.

ـ بالفعل، كنا على موعد.

ـ ثم أدرك حقيقة موقفه، فظل يؤكد على الممرضة بشأن إبلاغي بالكتاب حتى.. حتى مات. الكتاب عن السحر.

حدقت روزماري في المظروف، وقالت:

ـ لا أعرف لمَ أرادني أن أحصل عليه.

ـ المهم أنه أراد ذلك، وها هو الكتاب معك، والاسم جِناس. لقد أديت ما أراده منِّي. يا لهاتش المسكين، كان يتعمّد أن يبدو كل شيءٍ كمغامرة أطفال.

مشت المرأتان معًا خارج دار الجنازات. سألت جريس كارديف:

ـ أنا متوجهة لوسط المدينة، هل يمكنني إيصالك إلى أي مكان في الطريق؟

ـ لا، شكرًا.

ودعت روزماري جريس وركبت سيارة أجرة متوجهة إلى شقتها، وظلت الأخيرة تلوح لها حتى غابت عن الأنظار.

الفصل السابع

فكرت روزماري في فتح المظروف في سيارة الأجرة، لكن السائق كان منمقًا للغاية. كان يضع مطافيء السجائر في كل مكان، وعلب المناديل على الجانبين وفكرت في أن فعلٍ كهذا قد يضايق السائق أو يوسخ السيارة.

عادت روزماري لشقتها وغيرت ملابسها مرتدية رداءً عملاقًا أخضر اللون يناسب حجمها الجديد.

دق جرس الباب، فذهبت لتفتحه وهي بعد ممسكة بالمظروف، ووجدت ميني واقفة تحمل كوب المشروب المُقوي والكعكة البيضاء.

ـ سمعتك حين وصلتِ. لم يكن حفل تأبينٍ طويل.

ـ كان لطيفًا، لقد تحدث الناس عن هاتش بالخير، ثم انصرف كلٌّ لحاله.

شربت روزماري المشروب الأخضر الشاحب. قالت ميني وهي تنظر للمظروف:

ـ أناسٌ عاقلين. ألديك بريد اليوم؟

ـ كلا، أحدهم أعطاه لي.

أكملت روزماري كوبها وقد قررت أن لا تتحدث في تفاصيل أكثر من المظروف أو محتواه أو صاحبه الذي عاد من الغيبوبة لدقائق ثم مات.

مدت ميني يدها نحو المظروف وأمسكته، قائلة:

ـ دعيني أحمله عنك حتى تستطيعي أكل الكعكة.

أكلت روزماري بينما حدقت ميني في المظروف وتحسسته.

ـ كتاب؟

ـ كانت صاحبته سترسله لي، لكنها قابلتني اليوم.

قرأت ميني عنوان المرسِل، وقالت:

ـ أعرف هذا العنوان. آل جليمور كانوا يسكنون هناك.

ـ حقًا؟

ـ لقد ذهبتُ إلى هناك عدة مرَّات.. جريس، من أسمائي المُفضلة. هل هي صديقة لك؟

ـ أجل.

كانت تلك الإجابة هي الأمثل؛ كي توفر على نفسها عناء التوضيح أكثر. انتهت روزماري من الأكل والشرب، وناولت ميني الكوب والطبق وأخذت منها المظروف.

ـ أشكرك.

ـ رومان سينزل بعد قليل إلى المغسلة، هل تحتاجين لغسل شيء؟

- لا، شكرًا. هل سنراك لاحقًا؟

- بالتأكيد، لم لا تأخذي قليلولة؟

- سأفعل. مع السلامة.

أغلقت روزماري الباب وعادت إلى المطبخ. أخذت سكينًا وفتحت به المظروف. كان الكتاب يحمل اسم: «كلهم سحرة» للكاتب جي آر هانزليت. كان كتابًا قديمًا مُذهّب الحروف، إصدار عام ١٩٣٣.

أخذت روزماري الكتاب إلى حجرة المعيشة، وراحت تقلب في صفحاته. كان يحوي صورًا لسيدات فيكتوريات الطراز. وتحت عبارات محددة، وضع هاتش علامات وكتب ملاحظات بخطه المألوف لدى روزماري.

كان ثمة خط تحت عبارة «الفطر الذي يسمونه فلفل الشيطان». جلست روزماري علَى متكئ أمام النافذة، وفحصت الفهرس. أول ما رأته هو اسم أدريان مَركاتو، وكان اسم الفصل الرابع. باقي الفصول كانت أسماء لشخصيات أخرى، يبدو بالفعل أن كلهم سحرة: جيليز دي رايز، جين وينهام، اليستر كراولي، توماس وير. وكانت آخر فصول الكتاب تتحدث عن ممارسات السحرة، والسحر، وعبادة الشيطان.

فتحت روزماري الفصل الرابع، وقرأت فيه عن أدريان مَركاتو، المولد في جلاسكو ١٨٤٦، وضع هاتش خطًّا تحت عبارة: «وانتقل بعدها بفترة قصيرة إلى نيويورك». توفي في جزيرة كوفو عام ١٩٢٢. في عام ١٨٩٦ تسبب في شغب كبير عندما زعم أنه قد سيطر على الشيطان، وتمت مهاجمته من قِبل الحشود خارج مبنى برامفورد (وليس في المدخل

كما زعم هاتش.) تكرر الشغب مرَّة أخرى في ستوكهولم عام ١٨٩٨، وباريس عام ١٨٩٩.

كان لمَركاتو عينان مُنوَّمَتَانِ، ولحية حالكة السواد. بدا في الصورة المرسومة في الكتاب مألوفًا إلى حد بعيد. وفي الصفحة التالية، كانت صورة له مع زوجته في إحدى مقاهي باريس بصحبة ابنهما ستيفن، وكان هاتش قد وضع خطًا تحت العبارة الأخيرة.

أهذا السبب أراد هاتش أن يرسل لها الكتاب؟ كي تقرأ المزيد عن أدريان مَركاتو؟ لكن لماذا؟ ألم يدلِ برأيه في أمر السكن في مبنى برامفورد منذ زمن، وقد تأكد له أن كلامه لم يغير في قرارهما شيئا؟

قلبت روزماري صفحات الكتاب، توقفت قُبيل النهاية لتقرأ ما وضع هاتش تحته خطًا.

«وستظل الحقيقة الصامدة، سواء آمنَّا نحن أم لا، فإنهم مؤمنين.» وقرأت بعد بضع صفحات أخرى: «..ويؤمن في صميم قلبه بقوة الدم المسفوك، محاطًا بالشموع السوداء».

كان هاتش قد سألها عن الشموع السوداء التي جلبتها لهما ميني ليلة انقطاع التيار العمومي، وكان فضوليًّا بشأن ميني ورومان بشكل كبير. هل يقصد هاتش أن يقول أنهما ساحران استنادا إلى الكتاب؟ لكن السحر والسحرة أساطير، أليسا كذلك؟

ثم تذكرت الجزء الثاني من رسالة هاتش، وهي أن اسم الكتاب جناسٌ. «كلهم سحرة». حاولت أن تقلّب الحروف وتعيد ترتيبها في عقلها دون أن تحصل على كلمة مفهومة، واحتاجت إلى قلم وورقة، أو الأفضل، لعبة السكرابل.

أخرجت روزماري لوحة اللعب من حجرة النوم، ووضعتها على فخذيها إذ جلست جوار النافذة. واختارت الحروف التي تمثل اسم الكتاب من الصندوق. راح الجنين في داخلها يركل ويتحرك على الرغم من سكونه منذ الصباح.

- ستصبح لاعب سكرابل ماهرا، كفى!

أعادت روزماري ترتيب الحروف مرَّاتٍ ومرَّات دون أن تحصل على جُمل ذات معنى.

هذا حمق، كيف لاسم كتاب أن يحوي جناسًا أو رسالة مخفية لها هي تحديدا؟ هل عاد هاتش لكامل وعيه حقًا أم كان يخرف؟ الوقت يضيع..

ربما كان يقصد اسم الكاتب لا الكتاب؟ ربما كان جي آر هانزليت اسم شهرة، لا يبدو اسمًا حقيقيًّا.

أخرجت روزماري الحروف التي تشكل اسم الكاتب، وركل الجنين مرَّة أخرى.

جي آر هانزليت، جين شرليت، جي أتش زنارتل؟!

يا لهاتش المسكين. رفعت روزماري اللوح وسكبت ما فوقه من حروف خشبية في الصندوق. ثم فتحت صفحة الكتاب التي تحمل صورة أدريان مَركاتو وزوجته وابنه. لماذا يضع هاتش كل تلك الخطوط تحت اسم ستيفن؟

سَكن الجنين في أحشائها.

وضعت اللوحة على ركبتيها مرَّة أخرى، وأخرجت من الصندوق الحروف التي تشكل اسم ستيفن مَركاتو. ظلت تحدق في الحروف

للحظات، ثم بدأت في إعادة ترتيبها. ومن المرَّة الأولى، تكون أمامها اسم رومان كاستيفت!

وتقلب الطفل في داخلها ببطء.

* * *

أعادت روزماري قراءة الفصل الذي يتحدث عن مَركاتو، والفصل الخاص بطقوس السحر وعبادة الشيطان، عندما انفتح باب الشقة، ثم اصطدم بالسلسلة التي تغلقه. كان جاي هو الواقفُ عند الباب.

قامت روزماري لتفتح له، فقال:

ـ لمَ تغلقين الباب بالسلسلة؟

لم ترد روزماري، وكان يحمل باقة من أزهار الأقحوان، وصندوقا صغيرا.

أغلقت روزماري الباب مجددًا بالسلسلة.

ـ ماذا حدث؟

ـ سأخبرك بالداخل.

ـ هل أنتِ بخير؟

ـ أجل.

دخلت روزماري إلى المطبخ فتبعها جاي.

ـ كيف كان حفل التأبين؟

ـ حفل لطيف للغاية، قصير للغاية.

وضعت روزماري الأزهار في إناء، وخرجت بها إلى حجرة المعيشة.

- هل تعرف من يكون رومان حقًا؟

حدق بها جاي وقطب جبينه، متسائلا:

- ماذا تعنين يا عزيزتي؟ رومان هو رومان.

- هو ابن آدريان مَركاتو، الرجل الذي ادعى أنه هزم الشيطان. رومان هو ابنه. رومان كاستفيت هو جناس لاسم ستيفن مَركاتو.

- من أخبرك بذلك؟

- هاتش.

وحكت لجاي عن الكتاب، ورسالة هاتش، ثم أرته الكتاب؛ فأخذه وتفحص غلافه، ثم فهرس المحتويات، وقلب في صفحاته ببطء. أشارت له روزماري على صورة ستيفن مَركاتو، وقالت:

- هذه هي صورته وهو في الثالثة عشرة. هل ترى عينيه؟

- ربما كانت محض صدفة.

- وسكنه هنا صدفة أيضًا؟ في المنزل نفسه الذي كان يعيش فيه ستيفن مَركاتو؟ ولد ستيفن مَركاتو عام ١٨٨٦، وهذا يعني أنه في التاسعة والسبعين الآن مثل رومان. ليست هذه بصدفة مطلقًا.

- لا، أعتقد أنها ليست صدفة. أعتقد أنه هو ستيفن مَركاتو، أتفهم جيدًا سبب تغييره لاسمه. لقد كان أبوه مخبولا.

نظرت روزماري لجاي متشككة، وقالت:

- ألا تعتقد أنه مثل أبيه؟

ابتسم جاي، وقال:

ـ ماذا تعنين؟ أنه ساحر؟ عابد للشيطان؟

أومأت روزماري.

ـ رو، أتمزحين؟ أتعتقدين حقًّا...

وفتح الصفحة التي تحمل الصورة وأشار إليها مستهزئًا. صاحت روزماري:

ـ إنه دين ما.. دين قديم انزوى لفترة من عمر البشر.

ـ حسنا.. لكنه عاد للظهور اليوم؟!

ـ كان أبوه شهيدا لهذا الدين، أتعرف كيف يبدو آدريان مَركاتو في عيني ابنه؟ لقد مات آدريان في إسطبل بعد أن رفضت كل الفنادق استضافته، وكان ابنه معه. هل تظن أن رومان يشعر بالخزي من إيمان أبيه؟

ـ حبيبتي، نحن في عام ١٩٦٦..

ـ لقد نشر هذا الكتاب عام ١٩٣٣، وكانت ثمة مجموعات للسحرة في أوروبا، طوائف كما يسمونها. وكانت هناك طوائفٌ في أمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا. هل تظنهم فنوا في ثلاثةٍ وثلاثين عاما؟! لدينا طائفة هنا، ميني ورومان، ولورا لويز، وآل فونتاين، وآل جيلمور.. أتذكرَ الحفلات التي كنا نسمع فيها الإنشاد وعزف المزامير؟ حفلات أيام السبت!

ـ حبيبتي، أنت تبالغين، دكتور شاند هو من يشغل تسجيلات لموسيقى المزامير لا أكثر.. ذوقه مُريع.. دعينا...

فتحت روزماري الكتاب أمام عينيه وأشارت بأصبعها، هاتفةً:

ـ اقرأ ما يفعلونه يا جاي. يستخدمون الدم في طقوسهم، لأنهم يؤمنون أن الدم المسفوك هو القوة الحقيقية، وأن أقوى الدماء هي دماء الأطفال، الأطفال الذين لم يُعمّدوا. بل إنهم يستخدمون في طقوسهم ما هو أكثر من الدماء، يستخدمون اللحم البشري أيضا!

ـ حبيبتي..

ـ وتلك الشموع السوداء التي أعطتها لنا ميني، شموع من القداس الأسود! هذا ما جذب نظر هاتش حين زارنا. كذلك شقتهما شبه خالية من الأثاث؛ كي يجدا مكانًا لتجمع الطائفة!

ـ حبيبتي، هما مجرد زوجين عجوزين ولديهما أصدقاء من عمرهما. ويمكنك شراء شموع من كل لون من أي مكان، وشقتهما خالية لأن ميني لا تملك حسًا جماليًا. أبو رومان كان مخبولا، ولا يوجد سبب يجعلنا نظن أن رومان مثله.

صاحت روزماري:

ـ لن تطأ أقدامهما هذه الشقة مرَّة أخرى.. لا هما، ولا أيًّا من المأفونين الآخرين، ولن يقترب أحد منهم من ابني.

ـ كون رومان قد غير اسمه، يعني أنه مختلفٌ عن أبيه. لو كان مثله لافتخر بنسبه.

ـ هو بالفعل يفتخر بنسبه، ولم يغير اسمه، لقد احتفظ به بالرغم من تغييره لترتيب الحروف. تغييره كان طريقة فقط لتسهيل حياته.

ابتعدت روزماري عن جاي، واتجهت نحو النافذة وجمعت الحروف من على رقعة السكرابل.

ـ لن أدعهم يدخلون بيتي مرَّة أخرى، وبمجرد أن يكبر ابني قليلا سننتقل من هنا، لا أريدهم بالقرب منا. كان هاتش مُحقًا، ما كان علينا أن نسكن هنا.

كانت روزماري ترتعد حاملةً الكتاب ولوح السكرابل. حدق فيها جاي لبرهة، ثم قال:

ـ وماذا عن دكتور سابيرشتاين؟ هل هو من ضمن الطائفة؟

استدارت روزماري نحوه.

ـ على كلٍّ، العالم مليء بالأطباء المخبولين، أليس كذلك؟ ربما يذهب دكتور سابيرشتاين إلى زياراته المنزلية على ظهر مكنسة.

أولت روزماري ظهرها لجاي، وقالت:

ـ لا، لا أعتقد أنه واحدٌ منهم، فهو.. فهو أذكى من ذلك.

ـ هو يهودي كذلك.. سعيد أنك أعفيتِ أحدا من نظرية المؤامرة تلك.

ـ أنا لا أزعم أن جميعهم سحرة، وأعرف أنهم لا يملكون قوى سحرية حقيقية، لكنهم أشخاص ذوو إيمان، بالضبط كما تؤمن عائلتي بأن ثمة إلها يسمعهم، وأن الخبز هو لحم المسيح. رومان وميني يؤمنان بنصوص دينهما، ويمارسانها. لن أغامر بسلامة طفلي.

ـ لن نترك شقتنا..

ـ سنتركها.

استدار جاي داخلا إلى حجرة النوم، وقال:

ـ سنتحدث لاحقًا.

ـ لقد كذب عليك. لم يكن والده منتجًا، ولا علاقة له مطلقًا بالمسرح.

ـ حسنًا، هو مدعٍ؛ من منَّا ليس كذلك؟

ودخل جاي حجرة النوم.

جلست روزماري جوار لوح السكرابل، ثم بدأت في قراءة الفصل الأخير من الكتاب، والخاص بالسحر وعبادة الشيطان. عاد جاي من حجرة النوم، وقال لها:

ـ لا أظن أنه من الصواب أن تطالعي هذا الكتاب.

ـ أريد أن أقرأ هذا الفصل الأخير فقط.

ـ ليس اليوم يا حبيبتي.. كفاك قلقًا، سيؤذيك توترك وسيؤذي الطفل.

ومد كفه لها؛ كي تعطيه الكتاب.

ـ أنا لست قلقة ولا متوترة.

ـ أنتِ ترتعدين! هيا أعطني إياه، يمكنك استكماله غدًا.

ـ جاي!

ـ لن تقرأيه اليوم، هيا أعطني إياه.

تململت روزماري ثم أعطته الكتاب، فأخذه منها ووضعه في أعلى رف بالمكتبة.

ـ سأعطيه لك غدًا، لقد نلت كفايتك اليوم من التوتر والتعب بعد حفل التأبين.

الفصل الثامن

اندهش دكتور سابيرشتاين، وصاح:

ـ حقًا؟ أمرٌ عجيب للغاية، ما كان اسمه؟ مركادو؟

ـ مَركاتو.

ـ غريب.. أعتقد أنه قد ذكر لي مرَّة أن أبيه كان مستوردا للقهوة.. بالفعل أتذكر قوله هذا، وكيف انخرط في الحديث عن أنواع القهوة ودرجاتها، وطرق طحنها.

ـ وأخبر جاي أن والده كان منتجًا مسرحيًا.

هز دكتور سابيرشتاين رأسه آسفًا، وأضاف:

ـ لا عجب أنه يشعر بالخزي من الحقيقة، ولا عجب من حنقك أيضًا. لكنني متأكد من أن رومان لا يؤمن بأي مما آمن به أبوه، وأتفهم تماما أيضًا عدم رغبتك في السكن جواره.

ـ لا أريد أي صلة به أو بزوجته.. ربما أكون مخطئة، لكنني لن أغامر بصحة ابني وسلامته.

ـ بالتأكيد، أي أم كانت لتشعر بما تشعرين به.

مالت روزماري نحو الطبيب، وقالت:

ـ هل يمكن أن تكون ميني قد دست لي شيئا في المشروب المقوي أو في الكعك؟

ضحك دكتور سابيرشتاين، وقال:

ـ معذرة، لم أقصد أن أضحك.. لكنها امرأة طيبة بالفعل. لا يمكن أن تكون قد وضعت لك ما يضرك في الشراب، وإلا لظهر عليك أو على الطفل.

ـ اتصلتُ بها وأخبرتها أنني مريضة، لن أتناول أي شيءٍ تصنعه.

ـ ليس عليك أن تفعلي. سأصف لك بعض الحبوب، فلم يتبق من فترة الحمل سوى أسابيع، ويمكنك أن تخبريها بأنه لا حاجة لكِ إلى مقويات الآن، وهذا سيحل مشكلتهما أيضا.

ـ لا أفهم، أي مشكلة؟

ـ رومان مريض، وهما بحاجة للسفر؛ للانفراد بنفسيهما. لم يعد في عمر رومان سوى شهر أو اثنين، وكان يرغب في زيارة بعض الأماكن الأثيرة إلى قلبه. بالطبع كانا يحملان هم إخبارك بسفرهما في يوم ولادتك، ولم يشاءا أن يخبراكِ بسبب سفرهما.

ـ أنا.. أنا بالفعل حزينة كون رومان يُحتضَر.

ـ لكنك مُرتاحة لرحيلهما، أليس كذلك؟ كل شيء سيسير كما تتمنين. لكن فضلا، لا تخبري رومان بأنك قد عرفت بشأن هُويته الحقيقية..

لن يحتاج الرجل إلى المزيد من الحرج في أيامه الأخيرة.. تحَّمليهما حتى يوم الأحد حتى يرحلا.

صمتت روزماري لبرهة، ثم قالت:

ـ هل أنت واثق من رحيلهما يوم الأحد؟

ـ أجل.

ـ حسنًا، سأتحملهما حتى يوم الأحد فقط.

ـ سأرسلُ لك الحبوب المقوية، ولتأخذي من ميني الشراب والكعك ولا تتناوليهما. اتفقنا؟

ـ اتفقنا.. سأكون مرتاحة أكثر هكذا.

ـ وهذا هو غاية أملنا، أن تكوني مرتاحة.

ـ لو ولدتُ صبيا، هل يمكنني تسميته آبراهام سابيرشتاين وودهاوس؟

ـ أعوذُ بالله!

وضحكا.

* * *

عندما عرف جاي بخبر مرض رومان، شعر بمثل ما شعرت به روزماري من سكينةٍ، وقال:

ـ أنا حزين لمرض رومان، لكنني كذلك سعيد لسعادتك برحيلهما. أعتقد أنك ستكونين مرتاحة أكثر الآن.

ـ أشعر بالراحة فعلا بمجرد علمي برحيلهما.

* * *

لم يكذِّب الدكتور سابيرشتاين خبرًا، وأبلغ رومان بما تشعر به روزماري تجاهه، لذا في الليلة نفسها، مرَّت ميني وزوجها على روزماري وأخبراها بأمر رحيلهما. قال رومان:

ـ سنرحل يوم الأحد في الساعة العاشرة صباحا. سنطير مباشرة إلى باريس حيث سنقيم أسبوعًا، ثم سنذهب إلى زيورخ، وفينسيا، والمدينة الأجمل في العالم دوبروفنيك في يوغوسلافيا.

قال جاي:

ـ انا أحسدكما!

قال رومان لروزماري:

ـ أعتقد أنك تفهمين أن سفرنا لم يطرأ فجأة، أليس كذلك؟

ولمعت عيناه الغائرتان بخبث.

ـ ذكر لي دكتور سابيرشتاين أمر رحيلكما.

قالت ميني:

ـ لكم كنا نود أن ننتظر حتى نرى مولودك...

ـ لا داعي، كيف تتركان رحلة كهذه من أجل رؤية طفلي.

ـ سنرسل لكما صورًا للطفل.

قالت ميني:

ـ عندما يتملك شغف السفر من رومان، فلا يستطيع أحد إيقافه.

ـ هذا صحيح يا عزيزتي. بعد عمر طويل من الترحال، أجد صعوبة في الإقامة في مدينة واحدة لأكثر من عام. لقد مرَّ علَى إقامتنا هنا نحو

أربعة عشر شهرًا منذ عدنا من اليابان.

حكى رومان عن سحر مدينة دوبروفنيك، وعن مدريد وجزيرة سكي. راحت روزماري تتابع حديثه وهي تتساءل إن كان رجلا مخرفا آخر، أم ابنا لرجل مخبول.

في الصباح التالي، لم تجادل ميني كثيرًا بشأن ترك المشروب والكعكة، فقد كانت مُثقلة بترتيبات السفر، فعرضت عليها روزماري أن تجلب لها فستانها من التنظيف، وتشتري لها بعض الأدوية.

عندما تخلصت روزماري من الشراب والكعكة، وابتلعت حبة الدواء الكبيرة بدلا منهما، شعرت بحمق.

في صباح يوم السبت، قالت لها ميني:

ـ أتعرفين من هو والد رومان؟

فوجئت روزماري، وأومأت إيجابًا.

ـ خمّنت ذلك من الجفاء المفاجيء من ناحيتك.. أوه، ولا تعتذري.. فلم تكوني الأولى، ولن تكوني الأخيرة. لا أستطيع لومك، فلكم أتمنى لو قتلتُ هذا المجنون لو لم يكن قد مات فعلا. لطالما كان وصمة عارٍ في جبين رومان. لهذا يُفضل رومان الترحال كثيرا قبل أن يعرف أحد هُويته ويتعرض للرفض مرَّة أخرى. رجاء، لا تخبريه أنك عرفتِ، فهو يحبك ويحب جاي بشكل لن تصدقيه، وسيكسر قول كهذا فؤاده. أريده أن يحصل على رحلته الأخيرة في سلام وسعادة.

* * *

مساء السبت، أقامت لورا لويز حفل وداع في شقتها الصغيرة التي تفوح برائحة جذور التانيس، وكان الجميع هناك حتى دكتور شاند، الذي شغل تسجيلا لموسيقى المزامير الغريبة.

قدمت لورا لويز الكعك المنزلي مع عصير الفاكهة المخلوط بالخمر. راحت روزماري ترمق الجالسين، والذين يشبهون أي كبار سن في أي مكان آخر، يشبهون أعمامها وخالاتها في أوماها. وجدت صعوبة في تخيل أن هؤلاء ينتمون إلى طائفةٍ من السحرة. هل يمكنها أن تتخيل رجلا ضعيفًا مثل السيد ويز يلقي التعاويذ ويصنع التمائم؟ كيف يمكنها أن تتخيل نسوة مثل ميني ولورا لويز وهيلين ويز عاريات في حفلات عبادة الشيطان الماجنة؟ (ألم ترهم على هذه الهيئة من قبل؟ لا، كان ذلك حلمًا منذ زمن بعيد).

أعطى الضيوف الهدايا التذكارية لرومان، والذي قد بُح صوته تأثرًا، فهذه آخر هدايا قد يتلقاها، وانتاب روزماري شعور بالشفقة تجاهه.

* * *

أصر جاي على أن يساعد رومان وميني في الصباح، على الرغم من رفض رومان. ضبط جاي المنبه على الساعة الثامنة والنصف. وعندما آن الوقت، ارتدى جاي ملابسه علَى عجالة وذهب إلى باب شقة رومان وميني، وتبعته روزماري في ردائها الأخضر الواسع.

لم يكن هناك الكثير من الأمتعة، فقط حقيبتين. علّقت ميني الكاميرا حول رقبتها، وأمسك رومان في يده الراديو الذي أهداه له دكتور سابيرشتاين أمس.

أغلق رومان باب شقته بالمفتاح، وقال:

ـ أي شخص يحتاج لأكثر من حقيبة سفر واحدة، يعتبر سائحًا لا رحالًا.

وقف الجميع أمام المبنى بينما يوقف حارس البوابة سيارة أجرة. تحقق جاي من الأوراق التي سيحتاجانها، ومن وجود عملات فرنسية كافية. مالت ميني على روزماري، قائلة:

ـ أينما سنكون، ستظل قلوبنا معكِ حتى نطمئن إلى أنك نحيفة وسعيدة ومطمئنة على طفلك.

ـ شكرًا يا ميني.. شكرًا لكل شيء.

ـ ذكّري جاي أن يرسل لنا صورًا كثيرة، مفهوم؟

قبّلت روزماري خد ميني، فقبلتها الأخيرة.

ـ سنرسل لكما صورًا.

التفتت ميني لجاي، بينما أمسك رومان كف رومازي، وقال:

ـ لن أتمنَّى لك حظًّا حسنًا، فأنت لا تحتاجين أمنيتي.. ستعيشين حياة سعيدة للغاية ياروزماري.. أنا متأكد.

ـ تمتع برحلتك، وعُد سالمًا.

ـ ربما أعود، وربما أمكث في دوبروفونيك، أو مايوركا. سنرى.. سنرى..

قالت روزماري، وهي تعني كل كلمة تقولها:

ـ عد سريعًا.

ثم قبّلته. توقفت السيارة الأجرة، وساعد الحارس جاي في إدخال الحقيبتين جوار السائق.

ركب العجوزان في المقعد الخلفي، وقال رومان للسائق لاهثا:

ـ مطار كينيدي.

طال الوداع وتبادل القبلات عبر نافذة السيارة، ثم راح جاي وروزماري يلوحان بينما تبتعد السيارة أمام أعينهما، ولوحت لهما ميني بقفازها الأبيض الصغير.

ولم تشعر روزماري بالسعادة التي توقعتها.

* * *

في تلك الليلة، ذهبت روزماري لتكمل قراءة: «كلهم سحرة»، فربما تجده سخيفًا مثيرًا للضحك. لكن الكتاب لم يكن في مكانه. سألت جاي عنه، فأخبرها أنه تخلص منه في القمامة صباح يوم الخميس.

ـ آسف يا عزيزتي، لا أريدك أن تقرأي المزيد من هذه التخاريف وتضايقي نفسك بها.

تفاجأت روزماري وغضبت.

ـ هاتش قد أعطاني هذا الكتاب، أعطاه لي أنا!

ـ لم أفكر في الأمر من هذه الزاوية، وددت فقط أن أبعد عنك ما قد يضايقك. أنا آسف.

ـ ما أقبح فعلتك!

ـ آسف، لم أكن أفكر في علاقة هاتش بالكتاب.

ـ حتى لو لم يعطه لي، كيف تتخلص من كتب الآخرين هكذا؟ كيف تمنعني من قراءة أي شيء؟

ـ أنا آسف.

ضايقها ما حدث طيلة اليوم، وقد أنساها هذا أمرًا كانت تريد سؤاله عنه، فتضايقت أكثر.

في المساء، تذكرت ما أرادت سؤاله إياه.

ـ كيف عرفت أن دكتور شاند هو من يشغل المُسجل ويذيع موسيقى المزامير؟

لم يفهم جاي.

ـ هل تذكر حين كنا نتشاجر حول محتوى الكتاب، وأخبرتني أن دكتور شاند هو من يشغل تلك الموسيقى في حفلات ميني ورومان؟ كيف عرفت؟

ـ آه.. لقد أخبرني. كان ذلك منذ وقت طويل عندما سألته بشأن صوت الفلوت الذي نسمعه من هنا. كيف تظنيني قد عرفت؟

ـ لم أظن شيئا، كنت فقد أتساءل.

* * *

لم تستطع ليلتها النوم. ظلت تحدق في السقف رغم نوم الطفل في بطنها مطمئنًا. ثمة ما يضايقها ويقلق نومها لكن لم تقدر علَى الإمساك به.

من المؤكد أن قلقها كان على الطفل، فهو ما يهمها.

لقد تبقى على موعد ولادتها خمسة عشر يوما، وكل النساء تتوترن

قُبيل الولادة. كذلك الاستلقاء على الظهر كل تلك الفترة يؤرق نومها، وقررت أن أول ما ستفعله بعد أن تلد هو الاستلقاء ليوم كامل على بطنها، محتضنة الوسادة.

سمعت روزماري صوتًا في شقة ميني ورومان، لكنها رجَّحت أن الصوت من الطابق العلوي، فالأصوات تخدع أحيانًا. هما الآن في باريس، يالهما من محظوظين. يومًا ما ستذهب وجاي إلى هناك.. سيذهب ثلاثتهم.

ثم استيقظ الطفل وراح يركل.

الفصل التاسع

اشترت روزماري أدوات النظافة الخاصة بالطفل، ووضعتها في الأدراج. ووصلت إليها بطاقات الإعلان عن المولود، وراحت تضعها في المظاريف الصغيرة استعدادا لإرسالها للأصدقاء والأقارب.

بدأت وقتها في الشعور بانقباضات متزايدة يوما عن يوم.

وصلها من باريس بطاقة تحمل صورة قوس النصر، مكتوب عليها «نفكر دوما بكما. الجو ممتاز، والطعام شهي. مع محبتي، ميني».

* * *

في صباح يوم الجمعة الرابع والعشرين من يونيو، قابلت روزماري دومينيك، مدرب الصوت الخاص بجاي، عند المصعد. وكان آتيا لجاي لكنه لم يكن في البيت. تبادلا الحديث وسعدت بشأن رأيه عن صعود نجم جاي وموهبته.

قبل أن يبتعد مرَّة أخرى نحو المصعد، قالت له روزماري:

ـ نسيت أن أشكرك على تذاكر المسرحية التي أرسلتها لي مع جاي.

كانت رائعة وقد استمتعت كثيرا.

ـ تذاكر المسرحية؟

ـ ألا تذكر؟ لقد أعطيت جاي تذكرتين للمسرحية الخريف الماضي، وقد حضرتها مع صديقتي؛ لأن جاي قد شاهدها من قبل.

ـ أنا لم أعط جاي أي تذاكر من قبل.

ـ بل أعطيته.. الخريف الماضي!

ـ عزيزتي، أنا لم أعط أي شخص تذاكر لأي مسرحية. لابد وأن هناك خلطًا ما.

ـ أنا متأكدة من أنه قال لي أنك أنت من أعطيتهما له.

ـ إذًا فهو مخطيء. اطلبي منه أن يتصل بي حين يعود.

ـ سأخبره.

انتظرت روزماري حتى نزل دومينيك، ثم نزلت هي بمفردها. وقفت في انتظار عبور الشارع، وهي تفكر فيما قاله. كانت واثقة مما قاله جاي وقتها بشأن التذاكر، وكانت تذكر أنها فكرت في الاتصال بدومينيك لشكره لكنها تكاسلت. لا يمكن أن تكون مخطئة.

أضاءت إشارة المرور، فعبرت روزماري الطريق.

لايمكن أن يكون جاي مخطئا أيضًا، فهو لا يُمنح تذاكر مجانية كل يوم، ولابد أنه كان يذكر من أعطاه تلك التذاكر. هل كذب عليها؟

ربما لم يعطه أحد تلك التذاكر، ربما وجدها واحتفظ بها؟ لكن ذلك كان ليسبب لها مشكلة في المسرح ولن يعرضها هو لذلك.

سارت روزماري ببطء على الرصيف، وبطنها متدلية أمامها. كان اليوم رطبًا وحارا، ولا زالت الحرارة ترتفع.

كان جاي يريد أن يُخرجها من الشقة في ذلك اليوم لسبب ما. هل اشترى التذاكر بنفسه؛ كي يتفرغ لدراسة المشهد الذي يتدرب عليه وحيدًا في الشقة؟ لو كان هذا هو السبب، فلم يكن ثمة داعٍ للحيلة، فقد طلب منها أكثر مرَّة من قبل أن تُخلي له البيت؛ كي يتدرب في هدوء، ومرَّات أخرى كان يُصرّ على أن يتدرب أمامها؛ كي تعطه رأيها.

أكان في الأمر امرأة أخرى؟ لكن حين عودتها لم تجد أي رائحة أو عطر غريب. فقط رائحة جذور التانيس اللعينة تفوح في كل مكان، حتى أنها اضطرت إلى لفِّ التميمة في ورق القصدير؛ كي تقلل شناعة الرائحة. وكان جاي نشيطًا للغاية وقد ضاجعها بعنف ليلتها مما ينفي احتمالية وجود امرأة أخرى قبلها. ثم بعد نومه تنامى إلى مسامعها صوت الفلوت من شقة ميني وورومان.

لا، لم يكن الفلوت، كان تسجيل شغله دكتور شاند.

أيمكن أن يكون جاي قد عرف بشأن التسجيل ليلتها؟ أن يكون قد حضر حفلهم.. قداسهم؟

توقفت عن السير، وتفحصت واجهة محل هينري بريندل؛ كي توقف تفكيرها في السحر والسحرة والطوائف التي تقدس دماء الأطفال. لماذا قابلت دومنيك اليوم؟!

فكرت في شراء فستان أعجبها، وسيكون مناسبا لها حين تعود لمقاسها القديم، لكن شرودها دفعها للسير مرَّة أخرى بلا هدف، بينما يتحرك الطفل في داخلها.

لقد ذكر الكتاب، الذي تخلص منه جاي، أمورًا عن طوائف سحرية، تستقطب الأعضاء الجدد بالعهود والتعميد بعلامة السحرة. أكانت علامة السحرة هي الاغتسال أو الدهان بجذور التانيس؟ أيمكن أن يكون جاي عضوًا في تلك الطائفة، يحمل على جسده علامة السحرة في مكان ما غير ظاهر؟!

ثمة لاصق طبيٌّ عند كتفه، رأته عندما رافقته لعرضه المسرحي في فيلاديلفيا، وعندما سألته أخبرها أنه الدمل اللعين إياه وقد عاد. لكنها واثقة من أن الدمل كان في مكان آخر. هل لا زالت اللاصقة موجودة حتى الآن؟

لا تعرف، فهو قد كف عن النوم عاريًا كما كانت عادته. الآن يرتدي البيجاما كل ليلة. متى رأته آخر مرَّة عاريًا؟

كانت تعبر الطريق، فسمعت صوت نفير سيارة، وصاح رجل:

ـ انظري أمامك!

لكن لماذا؟ إنه.. إنه جاي، وليس رجلا مُسنًّا بلا شيء يسليه أو يخلق له حافزا. جاي لديه عمل ناجح يبقيه مشغولا ويتطور فيه يومًا بعد يوم، وينجح! ما حاجته للسحر وكل هذا الخبال، ما الذي يمكن للسحر أن يعطه إياه ولا يجده في أي مكان آخر؟

كانت الإجابة واضحة أمام عينيها، واضحة صادمة.

عمى دونالد باومجات.. أتُصدق؟

لقد أصاب باومجارت بالعمى قبل يوم السبت إياه، يوم أن لازم جاي المنزل منتظرًا مكالمة، منتظرًا الخبر السعيد..

عمى دونالد باومجارت..

بعده جاء كل شيء، المسرحية، إطراء النقاد، المسلسلات، الفيلم. ربما كان ليحل باومجارت محل جاي في كل تلك الأدوار الناجحة، لو لم يصب بالعمى، لو لم ينضم جاي (..ربما) لتلك الطائفة (..ربما) السحرية.

يقول كتاب «كلهم سحرة» ـ كلهم إلا جاي ـ: إن ثمة تعاويذ للعمى أو للصمم قد تتسبب فيها قوى الطائفة المجتمعة لأعدائها. يمكنهم أن يعموا أو يَصموا، أو يشُلّوا أو حتى يقتلوا ضحاياهم.

يشُلّوا أو يقتلوا ضحاياهم؟

صاحت بصوت عالٍ في الشارع «هاتش!». نظرت نحوها طفلة متعلقة بملابس أمها.

كان هاتش يقرأ هذا الكتاب ليلة أن طلب منها أن تقابله في الصباح التالي؛ كي يخبرها بشأن آدريان مَركاتو ورومان، وعرف جاي بالموعد، فخرج (لشراء الآيس كريم!) ودق جرس ميني ورومان. هل جمعوا ليلتها طاقتهم في عجالة ليسحبوا الوعي من هاتش؟ لكن كيف عرف جاي بما سيقوله لها هاتش لو كانت قابلته؟

افترضت أيضًا أن جذور التانيس، لم تكن جذورًا للتانيس. هاتش لم يسمع عنها من قبل.. هل تكون هي المادة المذكورة نفسها في الكتاب؟ فطر الشيطان أو فلفل أو أيًا ما كان اسمها؟ كان هاتش قد وضع تحت ذلك الاسم في الكتاب خطًا، وقد أخبر رومان من قبلها أنه سيبحث عن ماهية تلك الجذور. أهذا ما أقلق رومان؟

أخذ رومان قفاز هاتش، لأن التعويذة كانت تتطلب شيئًا من أغراض

الضحية، ثم أخبرهم جاي عن الموعد، لذا بدأوا في عملهم القذر سريعًا.

لكن رومان لم يأخذ قفاز هاتش، فقد دخل وخرج أمام عينيها.

جاي هو من أخذ القفاز! لقد عاد للبيت بمكياج العمل، وهو شيء لم يفعله قط، وذهب وحده إلى الخزانة حيث معطف هاتش؛ كي يعلق معطفه هو كما زعم. لابد وأن رومان قد اتصل به وأخبره أن هاتش يشك في أمر جذور التانيس، وطلب منه أن يعود ليحضر له شيئًا من أغراضه. وقد أطاع جاي؛ كي يظل باومجارت أعمى.

وضعت روزماري حقيبتها تحت إبطها، ورفعت يديها إلى ما خلف رقبتها وفكت سلسلة التميمة، ثم ألقتها في فتحة تصريف الأمطار على جانب الطريق.

كانت مصابة بهلع يدفعها دفعًا للبكاء، كون جاي قد رضى بمنح أي شيء لهم مقابل نجاحه. أي شيء حتى طفلُه.

لم يُرِد جاي قط إنجاب أطفال، حتى أصيب باومجارت بالعمى. حتى أنه قد كره أن يشعر بحركة الجنين في بطنها على كفه. كان يُبقي نفسه مشغولا وبعيدًا عنها قدر الإمكان. جاي يعرف ما تخطط له طائفة السحرة بشأن الطفل، ويعرف ما سيفعلونه به.

* * *

في شقتها، حاولت روزماري أن تقنع نفسها أنها مرتابة مجنونة. ستنجب طفلها خلال أربعة أيام، لذا فقد نسج توترها حكاية مريبة من وقائع لا علاقة لبعضها ببعض. لا وجود للسحر ولا للسحرة، لا وجود للتعاويذ. هاتش مات ميتة طبيعية، حتى أن الأطباء لم يعرفوا

ما به. وعمى باومجارت كان بالصدفة، فكيف حصل جاي على أحد أغراض الرجل كي يستخدمونه في تعاويذهم؟

(أترين أيتها الحمقاء؟ كل استنتاجاتك تنهار).

لكن لمَ كذب بشأن تذاكر المسرحية؟

وقفت روزماري عارية تحت الدش، تطارد الأفكار حتى تتعب. رفعت وجهها نحو الماء وتركته يزيل عنها ما يعترض تفكيرها.

لابد وأن هناك سببا آخر لكذبه. ربما كان يتسكع مع أصدقائه في بار دونيز الرخيص، وحصل على التذاكر من أحد أصدقاء السوء الذين تكرههم، ولم يشأ أن يخبرها، فقال إن التذاكر إهداء من دومينيك.

لابد وأنه قد فعل ذلك.

(أترين، أيتها الحمقاء؟)

لكن، لماذا لم يتعرَّ أمامها منذ أشهر طويلة؟

كانت مرتاحة لتخلصها من التميمة، وكان يجب عليها أن تتخلص منها منذ زمن. ما كان عليها أن تقبلها من ميني منذ البداية. لكم هو شعور طيب أن تتخلص من تلك الرائحة المستفزة!

جففت جسدها، وتعطرت بالمزيد من الكولونيا.

لم يبد جاي عاريًا أمامها لأنه مصاب بطفح جلدي ما. الممثلون معتدون بأنفسهم وبأجسادهم بشكل مبالغ فيه.

لكن، لمَ تخلص من الكتاب؟ لماذا يمضِي كل هذا الوقت عند ميني ورومان؟ ولمَ كان ينتظر نبأ عمى دونالد باومجارت؟ لم عاد للمنزل بمكياجه كي يحصل على قفاز هاتش؟

صففت شعرها وربطته، ثم ارتدت ملابسها وتوجهت إلى المطبخ وشربت كوبين من الحليب البارد.

(لم تعرف إجابة).

في حجرة الأطفال، أزاحت روزماري حوض الاستحمام المتنقل عن الحائط، وألصقت ورق حائط بلاستيكي من خلفه؛ كي لا يتلف الحائط من الماء.

(لم تعرف إجابة).

لا تعرف إن كانت تُجن، أم تتعقل. لا تعرف إن كان السحرة أقوياء، أم أنهم يبحثون عن القوة. لا تعرف إن كان جاي هو زوجها الحبيب، أو عدو بغيض لها ولابنها.

كانت الساعة تقترب من الرابعة عصرًا، وكان وقت عودته وشيكا.

* * *

اتصلت روزماري بهيئة حقوق الممثلين، وحصلت على رقم هاتف دونالد باومجارت. أُجيب الاتصال فورًا وأتاها صوت متعجل:

ـ أجل؟

ـ هل أنت دونالد باومجارت؟

ـ أنا هو.

ـ أنا روزماري وودهاوس، زوجة جاي وودهاوس.

ـ ...

ـ أردت أن...

ـ إلهي، لابد وأنك امرأة سعيدة للغاية الآن. سمعت أنكما تعيشان في شقة فاخرة في برامفورد، وتحتسيان النبيذ في كؤوس من الكرستال الصافي وسط صفين من الخدم والحشم.

ـ أنا فقط أردت أن أطمئن على أحوالك. ألا تشعر بأي تحسن؟

ضحك باومجارت، وقال:

ـ لم تسألين يا زوجة وودهاوس طيبة القلب؟ أنا بخير، أنا في غاية الروعة! بالطبع هناك تحسن، فقد كسرت ستة أكواب فقط اليوم، وسقطت من علَى السُّلم وكدت أحترق! كل يوم هو يوم أفضل من سابقه.

ـ أنا وجاي نشعر بأسف حقيقيٍّ لما حدث لك، ولما حصل عليه هو من فرص بسبب حظك السيء.

صمت دونالد باومجارت لوهلة، ثم قال:

ـ دائما ما تسير الأمور على هذا النحو. يعلو شأن أحدهم بينما يدنو شأن الآخر. كان ليحصل على أدوار كبيرة على أي حال، فبعد تجارب الأداء التي أجريناها سويًا على الدور نفسه، كنت موقنًا أنه يستحقه أكثر منِّي.

ـ كان هو موقنًا بأنك ستحصل على الدور، وكان على حق. أنا آسفة لعدم حضوري في اليوم الذي أتي لملاقاتك فيه. لقد دعاني لكنني لم أستطع.

ـ لملاقاتي؟ أتقصدين اليوم الذي تناولنا فيه شرابًا سويا؟

ـ أجل، هو ذلك اليوم.

ـ لم يكن مكانًا لائقا لحضور نساء.

ـ أعرف تلك الأماكن.

ـ لم نكن نعرف وقتها أن خلال أسبوع سأكون..

ـ أجل، كان لقائكما قبل أربعة أيام تقريبا من..

ـ من فقد بصري.. كان يوم أربعاء أو خميس. كان أربعاء، وفي يوم الأحد التالي حدث ما تعرفينه. هل وضع جاي شيئًا في شرابي؟

قالها دونالد باومجارت ضاحكًا، فردت روزماري بصوت راجف:

ـ بالطبع لا. كنت أريد أن أخبرك أن أحد أغراضك لا يزال معه، أتذكر؟

ـ أي شيء؟

ـ ألا تذكر؟

ـ لا.

ـ ألم تفقد أي شيء ليلتها؟

ـ لا، على ما أتذكر.

ـ أأنت موقن؟

ـ أنتِ تعنين ربطة عنقي، أليس كذلك؟

ـ أجل.

ـ لقد تبادلنا ربطات العنق. هل يريد استعادة ربطته؟ يمكنه أخذها، فلم يعد يهمني أي شيءٍ أرتدي، ولا يهمني إن كنت أرتدي شيئًا أصلا.

ـ لا، هو لا يريدها. لكنني لا أفهم، كنت أظن أنه اقترضها فقط.

ـ لقد تبادلناهما. يبدو كأنك تظنينه سرقها.

ـ علي أن أرحل الآن، كنت فقط أطمئن على صحتك.

ـ كان ذوقًا منك أن تتصلي بي.

أغلقت روزماري الخط، وكانت الساعة الرابعة وتسع دقائق. ارتدت ملابس الخروج، وأخرجت نقود الطواريء التي يحتفظ بها جاي تحت ملابسه الداخلية في الخزانة، ولم تكن كثيرة، لكنها وضعتها في حقيبتها مع دفتر أرقام الهاتف الصغير وعبوة أقراص المقويات. انقبض رحمها للحظات، للمرَّة الثانية اليوم. أخذت الحقيبة الصغيرة الموضوعة جوار باب الحمام، ثم غادرت الشقة.

في منتصف الطريق إلى المصعد، توقفت وفكرت في أن تعود. لكنها أكملت طريقها، حتى وصلت أول الشارع وركبت سيارة أجرة.

* * *

نظرت الآنسة لارك، عاملة الاستقبال في عيادة دكتور سابيرشتاين، إلى الحقيبة الصغيرة التي تحملها روزماري، وقالت:

ـ هل تلدين؟

ـ لا، لكن يجب أن أقابل الدكتور، الأمر في غاية الأهمية.

نظرت الآنسة لارك لساعتها ثم قالت:

ـ على الدكتور أن ينصرف في تمام الخامسة، ولايزال أمامه السيدة بايرون..

ورَنَت بنظرها نحو سيدة جالسة، وأردفت:

ـ لكنني أعتقد أن في إمكانه مقابلتك. اجلسي وسأخبره في أسرع وقت أنك هنا.

ـ أشكرك.

وضعت روزماري حقيبتها جوار أقرب كرسي وجلست. كانت كفاها غارقتان في العرق، فأخرجت منديلا وجففتهما ووجهها. وكان قلبها يدق بعنف.

سألت الآنسة لارك:

ـ كيف الطقس في الخارج؟

ـ رهيب، شديد الحرارة.

خرجت سيدة في شهرها الخامس أو السادس من حجرة كشف الدكتور سابيرشتاين، فدخلت الآنسة لارك إلى الطبيب. وقفت السيدة التي خرجت جوار مكتب الاستقبال، وسألت روزماري:

ـ ستلدين في أي وقت، ألست كذلك؟

ـ يوم الثلاثاء.

ـ أتمنى لك السلامة.

خرجت الآنسة لارك، وقالت:

ـ السيدة بايرون، تفضلي.. ستقابلين الطبيب بعدها يا سيدة وودهاوس.

ـ أشكرك.

دلفت السيدة بايرن إلى مكتب الدكتور سابيرشتاين وأغلقت الباب خلفها، بينما اتفقت المرأة عند مكتب الاستقبال مع الآنسة لارك على موعد الكشف القادم، ثم خرجت، مودعة روزماري، متمنية لها الحظ السعيد.

أخذت روزماري نسخة من جريدة التايم، وقرأت في مانشت بخط عريض أحمر على خلفية سوداء: «هل مات الإله؟». فتحت الجريدة على صفحة الفن حيث وجدت خبرًا عن المطربة باربرا ستاريسند، فحاولت التركيز في قراءته.

وجهت الآنسة لارك أنفها نحو روزماري، وسألتها:

ـ رائحتك جميلة! ما عطرك؟

ـ اسمه ديتشما.

ـ رائحه أفضل بكثير مما كنتِ تستخدمينه من قبل.. معذرة!

ـ لم تكن الرائحة التي اعتدتُ عليها عطرًا، كانت تميمة حظ وقد تخلصت منها.

ـ ممتاز.. أتمنى لو يحذو الدكتور حذوك.

ـ دكتور سابيرشتاين؟

ـ أجل. يستخدم كولونيا ما بعد الحلاقة، لكن رائحة تميمة الحظ الخاصة غريبة. هو لا يؤمن بالخرافات، لكنه يمتلك واحدة ولا تستطيعين الاقتراب منه أقل من مسافة خمسة أقدام إن كان يرتديها. رائحتها أقوى من رائحة تميمتك، ألم تلاحظي رائحتها قط؟

- كلا.

- ربما ظننتِها رائحتك الخاصة. ما بها تلك التميمة؟ مادة كيميائية؟

قامت روزماري واقفة، ووضعت الجريدة على المنضدة وحملت حقيبتها وقالت:

- زوجي في الخارج، سأذهب لأخبره شيئًا وأعود سريعًا.

- يمكنك ترك حقيبتك هنا.

لكن روزماري أخذتها وخرجت مسرعة.

* * *

الفصل العاشر

مشت روزماري حتى شارع رقم ثمانية وثمانين، حيث وجدت كابينة هاتف عمومية طلبت منها رقم الدكتور هيل. ردت عليها مساعدته، فأعطتها روزماري اسمها ورقم هاتفها وطلبت منها أن تخبر دكتور هيل بضرورة الاتصال بها.

ـ رجاء، أطلبي منه أن يتصل بي فورا، الحالة طارئة وأنا في كابينة هاتف عمومية.

ـ حسنا.

وأغلقت المساعدة الخط وكذا فعلت روزماري، ثم رفعت السماعة مرَّة أخرى وأبقت أصبعها ضاغطًا على زر غلق الخط، كأنما تتحدث كي لا يشك أحد من المارين في بقائها طويلا داخل الكابينة دون إجراء مكالمات.

كان الطفل يتململ في داخلها، وراحت تهمس من بين أسنانها:

ـ أسرع يا دكتور هيل.. أسرع.. أنجدني.

كانوا جميعا ضمن المؤامرة، جميعًا: جاي، دكتور سابيرشتاين، ميني، رومان. كلهم سحرة. كلهم استغلوها كي تنجب طفلا؛ كي...

(لا تقلق يا آندي أو جيني، سأقتلهم جميعًا قبل أن يمسوا شعرة منك).

رن جرس الهاتف، فرفعت أصبعها فورًا عن زر غلق الخط.

ـ أجل؟

سمعت صوت المساعدة تقول:

ـ السيدة وودهاوس؟

ـ أين دكتور هيل؟

ـ هل اسمك الكامل روزماري وودهاوس؟

ـ أجل!

ـ وأنت مريضة لدى دكتور هيل؟

شرحت روزماري سريعًا ما كان بينها وبين الدكتور هيل من زيارة واحدة في الخريف الماضي، وأردفت:

ـ أرجوكِ، عليه أن يحادثني. الأمر في غاية الأهمية.

ـ حسنا.

أغلقت روزماري زر الاتصال مرَّة أخرى. مسحت روزماري العرق عن جبينها بظهر كفها، وفتحت باب الكابينة قليلا طلبًا للهواء، ثم أغلقته سريعًا إذ جاءت امرأة ووقفت منتظرة جوارها. راحت روزماري تتحدث في السماعة كأن ثمة طرفا آخر على الخط. العرق يزحف على ظهرها ومن تحت إبطيها.

ـ لم أكن أعرف ذلك... حقًا؟ وماذا قال أيضًا؟

كان اختيارها لكابينة هاتف بهذا القرب من عيادة دكتور سابيرشتاين اختيارًا خاطئا. كان عليها الابتعاد أكثر ربما حتى شارع ماديسون، أو ليكسنجتون.

ـ هذا رائع. هل قال شيئا آخر؟

ربما تجد دكتور سابيرشتاين أمامها في أي لحظة، ألم يكن من المنطقي أن يبحث عنها عند أقرب كابينة هاتف؟ تمنت لو كانت ركبت سيارة أجرة وابتعدت تمامًا. أولت ظهرها نحو الاتجاه الذي ربما يأتي منه، بينما المرأة خارج الكابينة تدور حولها.

يمكن أن يكون جاي قد وصل البيت، وفوجيء باختفاء الحقيبة. وقتها سيتصل بدكتور سابيرشتاين ظنًّا منه أنها تلد في المستشفى، وقريبًا سيكون الرجلان في إثرها، وسرعان ما سينتقل الخبر إلى باقي أعضاء الطائفة، و...

رن جرس الهاتف.

ـ أجل؟

ـ السيدة وودهاوس؟

كان الصوت هو صوت دكتور هيل، المنقذ.

ـ شكرًا لك.. شكرًا لاتصالك بي.

ـ ظننتك في كاليفورينا.

ـ لا، ذهبت لطبيب آخر اقترحه عليَّ بعض الأصدقاء، وكان يكذب

علي ويصف لي أعشابا وأدوية غريبة. سألد يوم الثلاثاء القادم، وأريدك أن تُشرف على ولادتي، وسأدفع لك أي مبلغ تريد، كأنني كنت أتابع معك طيلة فترة الحمل.

ـ سيدة وودهاوس...

ـ أرجوك، لن أستطيع أن أمكث حيث أقف الآن طويلا. زوجي وطبيبي والأشخاص الذين أرسلونني لذلك الطبيب كلهم متورطون في.. في مؤامرة معينة. أعرف أنني أبدو مجنونة، لكنني أقسم لك بكل القديسين أنني لستُ كذلك. فبين الوقت والآخر تحاك مؤمرات حول بعض الأشخاص، أليس كذلك؟

ـ أعتقد ذلك.

ـ ثمة مؤامرة تستهدفني وطفلي، وإن سمحت لي أن آتي إليك سأخبرك بكل شيء، ولن أطلب منك أن تفعل شيئًا خارج تخصصك ولن أورطك في أي شيء. كل ما أطلبه هو أن تُلحقني بمستشفى وتشرف علَى ولادتي.

ـ تعالي إلى مكتبي غدًا، بعد...

ـ الآن. أريد أن أقابلك الآن. سيبحثون عنِّي.

ـ سيدة وودهاوس، أنا لستُ في العيادة، أنا في منزلي وقد أمضيت...

ـ أتوسل إليك. أرجوك. سآتي إليك في منزلك وأشرح لك كل شيء. لن أستطيع أن أمكث هنا.

ـ تعالي إلى العيادة في الثامنة، هل يناسبك هذا الوقت؟

ـ أجل، شكرًا. دكتور هيل؟

ـ أجل؟

ـ ربما يتصل بك زوجي ويسأل عنِّي.

ـ لن أتحدث مع أي شخص، سآخذ قيلولة الآن.

ـ هل يمكنك أن تخبر مساعدتك أن لا تخبر أحدًا بأمر اتصالي بك؟

ـ سأخبرها.

ـ شكرًا لك.

ـ موعدنا في الثامنة.

التفت رجل إليها إذ خرجت من الكابينة، لكنه لم يكن دكتور سابيرشتاين، كان شخصا آخر.

* * *

سارت حتى ليكسنجتون، ودخلت دار عرض سينمائي هناك؛ كي تستخدم الحمام، ثم جلست أمام الشاشة في الظلام البارد شاردة.

بعد قليل، حملت حقيبتها وتوجهت لكابينة هاتف حيث طلبت مكالمة مباشرة مع أخيها برايان، لكنه لم يجب الاتصال. عادت إلى الفيلم مرَّة أخرى لكنها جلست في مقعد آخر، وكان الطفل هادئًا في أحشائها.

في الثامنة إلا ثلث، توجهت إلى عيادة دكتور هيل، وظنت أنهم يراقبون الآن منازل صديقاتها. لن يشك أحد في وجود دكتور هيل في عيادته في وقت كهذا.

فتح لها الطبيب الباب بنفسه، دخلا إلى مكتبه ولاحظت أن دكتور هيل قد أطال شاربًا أشقر غير ملحوظ.

حكت له روزماري كل شيء، وتعمدت أن تحكي في هدوء، عالمة أن أي بادرة هيستريا ستجعله يظن في عقلها الظنون.

حكت له عن آدريان مَركاتو وميني ورومان، عن الشهور التي قضتها في ألم تجرع الأعشاب وتأكل الكعكات البيضاء الصغيرة، حكت له عن هاتش وعن «كلهم سحرة»، وعن التذاكر التي لم يهدها أحد لزوجها، وعن الشموع السوداء وربطة عنق دونالد باومجارت. حاولت أن تُرتب الأحداث وتحكيها بشكل موضوعيّ، لكنها انهارت في النهاية. قالت روزماري:

ـ ربما كان العمى والغيبوبة صدفة، أو ربما كانوا يملكون قوةً تخاطريةً ما يستطيعون من خلالها إيذاء الناس عن بعد. كل هذا غير مهم، المهم أنهم يريدون طفلي، وأنا واثقة من ذلك.

ـ يبدو الأمر كما تقولين، خاصة من اهتمامهم الزائد بموضوع الحمل من البداية.

أغلقت روزماري عينيها وكادت تبكي. فقد صدَّقها دكتور هيل ولم يظنها فاقدة للرشد. فتحت عينيها ونظرت له محاولة التماسك والهدوء. كان يكتب شيئًا، وتساءلت إن كانت كل مريضاته تحببنه؟

مسحت كفيها المعروقتين في فستانها وراحت تنتظر أن يتحدث.

ـ اسم طبيبك شاند، أليس كذلك؟

ـ كلا، دكتور شاند هو أحد أعضاء الطائفة. طبيبي هو دكتور سابيرشتاين.

ـ آبراهام سابيرشتاين؟

ـ أجل، أتعرفه؟

ـ قابلته مرَّة أو اثنتين.

ـ هل ظننت عندما قابلته أنه...

ـ لم يخطر قط علَى بالي. لذا قيل لنا أن لا نحكم على الناس من الظاهر. هل تودين أن أودعك مستشفى جبل سيناء الآن؟هذا المساء؟

ـ أود بالطبع. هل يمكن ذلك؟

ـ سيتطلب الأمر بعض التفاوض.

قام دكتور هيل وفتح باب حجرة الكشف، قائلا:

ـ تمددي قليلا وحاولي أن تسترخي. سأرى ما يمكنني فعله ثم أعود إليك.

حملت روزماري حقيبتها ودخلت حجرة الكشف، وقالت:

ـ شاكرة لأي مكان تمنحني إياه حتى وإن كان خزانة أدوات تنظيف.

ـ واثقٌ أننا سنجد لك مكانًا أفضل.

دخل دكتور هيل خلفها وشغل مكيف هواء، وأغلق ستائر الحجرة. سألته:

ـ هل أخلع ملابسي وأرتدي ملابس المستشفى الآن؟

ـ ليس الآن، سيتطلب الأمر نحو ساعة من الجدال مع الإدارة. فقط استلقي قليلا.

ثم خرج غالقا الباب من خلفه. جلست روزماري على الفراش، ووضعت حقيبتها جوارها على الكرسي.

ألا بارك اللهُ دكتور هيل!

خلعت حذائيها واستلقت تحت أنسام مكيف الهواء الباردة. تحرك الطفل في كسل كأنما شعر بالنعاس هو الآخر.

(كل شيء على مايرام الآن يا آندي أو جيني. سنحصل على فراش نظيف في مستشفى جبل سيناء، ولن يزعجنا أحد).

تذكرت روزماري النقود، فاستقامت جالسة وفتحت الحقيبة مخرجة مال جاي. حوالي مائة وثمانين دولارا بالإضافة إلى ستة عشر دولارا من مالها الخاص. سيكون مبلغا كافيا كما تمنت، وإن احتاجت للمزيد فسيتدبر برايان أخوها أو أحد أصدقائها الأمر.

أخرجت زجاجة المقويات من الحقيبة ودست النقود ثم أغلقتها، وعادت تتمدد على الفراش. ستعطي المقويات لدكتور هيل؛ كي يحللها ويعرف ما فيها، لكنها تعتقد أنه لن يجد فيها ما يضر. فهم يريدون طفلا سليمًا من أجل طقوسهم المجنونة.

وارتعدت روزماري.

الـ..الوحوش..

وجاي..

تقلص رحمها بشدة، وهو أقوى تقلص قد مرَّت به. تنفست ببطء حتى مرَّ الألمُ. كان هذا هو التقلص الثالث اليوم، وعليها أن تخبر دكتور هيل بذلك.

* * *

كانت تحلم بحياتها المقبلة مع برايان وزوجته، وآندي الذي بلغ من العمر أربعة أشهر، عندما أطل دكتور هيل برأسه من باب الحجرة وأضاء النور، فعاد الواقع من حولها.

ظللت عينيها بكفها، وقالت:

ـ كنتُ نائمة..

فتح دكتور هيل الباب على مصراعيه، وأبصرت دكتور سابيرشتاين وجاي. وقفت روزماري تحدق فيهم وقد أنزلت كفها من فوق عينيها.

اقترب الرجال الثلاثة منها، وكان وجه جاي متصلبا وبلا تعبير، وكان ينظر للحوائط ولم ينظر لها مطلقا. قال دكتور سابيرشتاين:

ـ تعالي معنا في هدوء يا روزماري، بلا فضائح أرجوكِ. لو قلتِ حرفًا آخر عن السحر والسحرة سيكون علينا إيداعك في مصحة عقلية، وستكون ولادتك هناك أصعب في غياب رعاية وتخصص مستشفيات الولادة. ارتدي حذاءك.

نظر لها جاي أخيرًا، وقال:

ـ سنعود بك للبيت، لن يؤذيكِ أحد.

أضاف دكتور سابيرشتاين:

ـ ولن يؤذي أحدٌ طفلك. ارتدي حذاءك.

التقط دكتور سابيرشتاين الحبوب المقوية ووضعها في جيبه، ثم أعطاها حقيبتها بعد أن ارتدت حذائها. خرج الثلاثة، يمسك دكتور سابيرشتاين بذراعها، ويكاد يمس جاي ذراعها الآخر.

قال دكتور سابيرشتاين:

ـ هي بخير الآن، سنعود بها لبيتها؛ كي ترتاح.

ابتسم دكتور هيل لها، فنظرت له ولم تعلق. قال دكتور سابيرشتاين:

ـ شكرًا لك ونأسف لما سببناه لك من مشاكل يا دكتور هيل.

ـ أنا سعيد أنني استطعت المساعدة يا سيدي.

* * *

ركب الجميع سيارة يقودها السيد جيلمور، وجلست روزماري بين جاي ودكتور سابيرشتاين على المقعد الخلفي.

ولم يتكلم أحد.

توجه الجميع إلى مبنى برامفورد.

* * *

ابتسم لها عامل المصعد إذ عبروا المدخل متوجهين نحوه. ابتسم دييجو لأنه يحبها ويفضلها على أغلب السكان. أيقظت ابتسامته شيئا فيها، ذكّرتها بأنها كائن حي حقيقي.

فتحت حقيبة يدها خلسة، وأدخلت أصبعها في حلقة سلسلة مفاتيحها. وقبل أن تصل إلى المصعد، سكبت محتويات حقيبتها على الأرض فيما عدا المفتاح، ثم نظرت لها في غباء.

راح دكتور سابيرشتاين وجاي يجمعان أدوات الزينة والعملات المعدنية والأقلام المبعثرة، بينما وقفت هي في قلة حيلة الحوامل تشاهدهما. خرج دييجو من المصعد وانحنى يساعدهما. تراجعت روزماري في

خفة إلى المصعد وأغلقت الباب الداخلي. التفت دييجو لها صائحا:

ـ سيدة وودهاوس؟!

(آسفة يا دييجو)

وضغطت روزماري زر المصعد فانطلق لأعلى. ستتصل ببرايان أو جوان أو إليس أو جريس كارديف أو أي شخص.

(لن ينتهوا منا بعد يا آندي!)

أوقفت المصعد في الطابق التاسع ثم السادس، ثم بقرب الطابق السابع بفارق بضع بوصات لأسفل، وتركت الباب مفتوحًا.

خرجت من المصعد وراحت تعدو في الممرات بأسرع ما تستطيع على الرغم من الانقباضات المتتالية.

راح مؤشر مصعد الخدمات يشير إلى الطابق الرابع ثم الخامس، وعرفت أن جاي ودكتور سابيرشتاين يصعدان فيه؛ كي يلحقا بها.

أولجت المفتاح في القفل ودخلت الشقة، وأحكمت إغلاق الباب من خلفها بالسلسلة والمزلاج. دار مفتاح من الخارج، وانفتح الباب لا يمنعه إلا السلسلة. هتف جاي:

ـ رو.. افتحي..

ـ اذهب للجحيم!

ـ لن أؤذيكِ يا حبيبتي.

ـ أنت وعدتهم بالطفل. ابتعد من هنا.

ـ أنا لم أعد أحدا بأي شيء، عم تتكلمين؟

صاح دكتور سابيرشتاين:

- روزماري.

- ابتعد أنت أيضًا!

- يبدو أنك توهمتِ مؤامرة ما..

- ابتعد!

ودفعت روزماري الباب حتى أغلقته بالمزلاج.

ظلت هنيهة ترمقه، ثم دخلت حجرة النوم وكانت الساعة التاسعة والنصف. لم تكن تذكر رقم هاتف برايان، ودفتر العناوين ساقطاً في المدخل أو في جيب جاي الآن. فلم يكن أمامها سوى طلب المساعدة من عامل الهاتف؛ كي يوصلها ببراين، لكنه لم يحصل على رد.

- هل تريدين أن أحاول الاتصال به بعد عشرين دقيقة؟

- أجل، لو سمحت.

حاولت الاتصال بجوان، لكنها كانت في الخارج هي الأخرى. كذلك كانت إليس وهيو، فأبلغت السكرتيرة أن تحاول الاتصال بهما وإخبارهما أنها تريد الحديث إليهما للضرورة القصوى.

سمعت روزماري همسات خارج باب حجرة النوم، مصحوبةً بصوت خطوات. دخل جاي والسيد فونتين الحجرة، وقال الأول:

- حبيبتي، لن نؤذيك.

من خلفهما دخل الدكتور سابيرشتاين مشهرًا محقنًا زجاجيًا. تبعه دكتور شاند، والسيدة فونتين والسيدة جيلمور.

ـ نحن أصدقاؤك..

ـ لا داعي للخوف ياروزماري. بأمانة، لا داعي للخوف.

قال دكتور سابيرشتاين:

ـ هذا مهديء بسيط، سيساعدك على النوم.

كانت روزماري واقفة بين الفراش والحائط، محاصَرة لا تستطيع الفرار. تقدموا منها، وقال جاي:

ـ لن يؤذيك أحد يارو..

التقطت روزماري سماعة الهاتف وضربت بها رأس جاي بقوة، فأمسك الأخير ذراعها بينما أمسك السيد فونتين بالذراع الأخرى. فسقط منها الهاتف وهي تحاول التملص.

ـ النجدة!

صرخت روزماري فوجدت منديلا يُدس في فمها وكفًّا غليظا تثبته مكانه. تم جر روزماري بعيدا عن الفراش؛ كي يستطيع دكتور سابيرشتاين أن يحقنها. هاجمتها التقلصات أكثر فراحت تتنفس بسرعة. وضع دكتور سابيرشتاين كفه على بطنها ثم هتف:

ـ انتظروا، انتظروا. روزماري تلد!

ساد صمت لثوانٍ، ثم تردد الخبر خارج الحجرة.

ـ روزماري تلد.. تلد..!

فتحت روزماري عينيها ونظرت نحو دكتور سابيرشتاين، تحاول أن تَعُب الهواء من فتحتي أنفها. نظر لها الطبيب ثم أمسك ذراعها

فجأة وحقنها بالمخدر. تلقت روزماري المحقن في جسدها بلا حركة، كانت خائفة، كانت مذهولة. سحب الطبيب المحقن ومسح مكانه على ذراعها بإبهامه ثم وضع قطعة قطن فوقه.

راحت النسوة يعدِّلن من وضع الفراش، وتيقنت روزماري أنها ستلد هنا.

(كان من المفترض أن ألد في مستشفى، وسط أطباء ومعدات وممرضات، حيث كل شيء نظيف معقم!).

أمسكوا بها بينما تحاول التملص، همس جاي في أذنها:

ـ ستكونين بخير، أقسم لك أنك ستكونين بخير! لا تتملصي هكذا، أرجوكِ يا رو! كلمة شرف منِّي، ستكونين بخير.

ثم شعرت بانقباض آخر.

وضعوها على الفراش، وشعرت بدكتور سابيرشتاين يحقنها مرَّة أخرى بينما تمسح السيدة جيلمور جبينها.

رن جرس الهاتف، رد جاي وقال لعامل الاتصال:

ـ ألغِ الاتصال.

انقباض آخر. كان رأسُها كأنما يطفو في الهواء، وقد نست كل تمارين التنفس التي واظبت عليها. على كلٍّ ليست تلك ولادة عادية فهي لا تشعر بشيء ولا ترى شيئا.

(آندي أو جيني.. أنا آسفة للغاية يا صغيري، سامحني)

الجزء الثالث

الفصل الأول

ضوء..

السقف..

ألم بين فخذيها..

جاي يجلس على الفراش إلى جوارها، يراقبها في قلق وابتسامة عصبية.

ـ حبيبتي..

ـ جاي..

كان الألم رهيبًا..

ثم تذكرت. كل شيء انتهى، والطفل قد وُلِد.

ـ هل هو بخير؟

ـ أجل، بخير.

ـ ما نوعه؟

ـ ولد.

- حقًا؟ ولد؟!

أومأ برأسه إيجابًا.

- وهل هو بخير؟

- أجل.

تركت عينيها تنغلقان، ثم جاهدت كي تفتحهما مرَّة أخرى.

- هل اتصلتَ بتيفاني؟

- أجل.

أغلقت عينيها ونامت.

* * *

لاحقًا تذكرت أكثر. لورا لويز كانت تجلس جوار سريرها تقرأ في جريدة مستخدمة عدسة مكبرة. سألتها روزماري:

- أين هو؟

فزعت لورا لويز، تركت العدسة المكبرة تتدلى على صدرها، وقالت:

- إلهي! أفزعتني!

ثم أغلقت عينيها وتنفست بعمق.

- أين هو؟ أين طفلي؟

- انتظري دقيقة..

قامت لورا لويز مغلقة الجريدة، وأردفت:

- سآتي بدكتور سابيرشتاين وجاي. هما في المطبخ.

حاولت روزماري أن تقوم بلا جدوى، كانت ذراعاها وساقاها عديمة القدرة، وكانت تشعر بسكاكين مُنغرسةٌ في بطنها. استلقت وانتظرت. تذكر وتتذكر.

كانت الساعة التاسعة مساء حين دخل الرجلين، يبدو على محيّاهما الحزن والحزم. سألتهما:

ـ أين طفلي؟

جلس جاي جوارها على الفراش وأمسك بيدها قائلا:

ـ حبيبتي..

ـ أين هو؟

حاول جاي أن يقول المزيد لكنه لم يستطع، فنظر عبر الفراش إلى الطبيب مستنجدًا.

نظر إليها دكتور سابيرشتاين، وقطعة من جوز الهند تتدلى من طرف شاربه، وقال:

ـ كانت ثمة تعقيدات يا روزماري أثناء الولادة. لكنها لن تؤثر في أي ولادة تالية.

ـ هل..

ـ لقد مات.

حدقت روزماري في وجهه.

فأومأ برأسه.

التفتت نحو جاي.

أومأ هو الآخر.

- كان وضع الطفل غير سليم، ولو كنا في مستشفى لاستطعت أن أنقذه، ولم يكن أمامنا وقت لنقلك. محاولتي لإنقاذه هنا كانت تعرضك للخطر.

قال جاي:

- يمكننا إنجاب طفل آخر يا حبيبتي. أعدك أن ننجب مرَّة أخرى بمجرد أن تستعيدي عافيتك.

قال دكتور سابيرشتاين:

- بالتأكيد يمكنكما محاولة الإنجاب في غضون شهور، واحتمالية حدوث أي تعقيدات أقل مما تتوقعا. ما حدث كان أمرا نادرا، فالطفل كان في حالٍ ممتازة لآخر وقت.

ضغط جاي على كفها وابتسم مشجعًا، وقال:

- بمجرد أن تتحسني..

نظرت روزماري إلى جاي، وإلى دكتور سابيرشتاين ذي قطعة جوز الهند المعلقة بشاربه، وقالت:

- أنتما تكذبان.. أنا لا أصدقكما، أنتما تكذبان!

- حبيبتي..!

- الطفل لم يمت، أنتما تكذبان! تكذبان!

ثبت جاي كتفيها إلى الفراش، وحقنها دكتور سابيرشتاين مجددا.

* * *

تناولت روزماري الحساء، ومثلثات الخبز الأبيض، بينما جلس جاي عند طرف الفراش. قال:

ـ أنت مجنونة.. لقد فقدتِ عقلك تمامًا. لكن ما تمرين به هو أمر شائع خلال الأسبوعين الأخيرين قبل الولادة كما قال لي دكتور سابيرشتاين. ذكر لي اسمًا لعرضك هذا لكني نسيته.. «شيء ما قبل الولادة» على ما أذكر. نوع من الهيستريا.

لم تقل شيئا، وأكملت طعامها.

ـ اسمعي، أعرف من أين أتت لك فكرة أن ميني ورومان ساحران، لكن من أين لك الظن بي وبدكتور سابيرشتاين؟

لم تعلق روزماري.

ـ هذا غباء منِّي. لا أعتقد أن « شيء ما قبل الولادة» يحتاج إلى أسباب ليقنعك.

أمسك جاي بقطعة خبز وقضم طرفها، ثم أدارها وقضم الطرف الآخر. قالت روزماري:

ـ لماذا تبادلتَ وباو مجارت ربطات العنق؟

ـ لماذا..؟ ما علاقة هذا بما نتحدث عنه؟

ـ أنت احتجت لشيء من متعلقاته الشخصية؛ كي يستطيعوا أن يصيبوه بالعمى بسحرهم.

ـ حبيبتي، بحق الله عم تتحدثين؟!

ـ أنت تعرف.

- استبدلت ربطة عنقي معه لأن ربطة عنقه أعجبتني ولم تعجبني ربطة عنقي، وربطة عنقي أعجبته ولم تكن ربطة عنقه تعجبه! لاحقًا شعرت بالحمق لفعلتنا فقد كنا مخمورين.. كانت فعلة صبيانية.

- من أين جئت بتذاكر المسرحية؟

- ماذا؟

- لقد أخبرتني أن دومينيك أعطاها لك.

- وهذا يجعلني في نظرك مشعوذًا؟ لقد حصلت عليهما من فتاة تدعى نورما، قابلتها أثناء تجارب الأداء وشربنا كأسين سويًا. وماذا فعل دكتور سابيرشتاين هو الآخر؟

- يستخدم جذور التانيس. العشب الذي يستخدمه السحرة.. قالت لي موظفة الاستقبال لديه أنها تشم رائحة جذور التانيس تفوح منه.

- ربما أهدته ميني تميمة حظ كما أهدتك واحدة. أتعنين أن السحرة فقط هم من يستخدمونها؟ ألا يبدو هذا غريبًا؟

أبقت روزماري على صمتها.

- لنواجه الأمر يا عزيزتي..أعرف أن ما تمرين به هو أسوأ شيء حدث لك في حياتك. لكن من الآن فصاعدا كل شيء سيكون كما تتمنين. سأحصل على عقد لدى شركة وارنر، وكذلك قد أبدت شركة يونيفرسال للإنتاج شغفًا بي. سرعان ما سنغادر هذه المدينة لنسكن بيفرلي هيلز وسط النجوم، وستحصلين على حديقة الأعشاب التي كنت تحلمين بها، وسننجب أطفالا يا رو.

قام جاي متجهًا نحو الباب، فنادت روزماري:

ـ أريد أن أرى كتفك.

توقف جاي مكانه والتفت لها، كررت روزماري طلبها.

ـ هل تمزحين؟

ـ كلا. دعني أرى كتفك الأيسر.

فتح جاي أزار القميص، ثم خلعه، وكان يرتدي تحته قميصًا قطنيًّا قصير الكمين.

ـ أفضِّل أن أؤدي استعراض التعري هذا على خلفية من الموسيقى.

ثم خلع القميص القطني واقترب من الفراش. كانت كتفه بلا أي علامات سوى أثر بسيط لدمل أو بثرة. أراها جاي الكتف الأخرى وباقي ظهره، واستدار لترى بطنه وصدره.

ـ هذا كل ما يمكنني أن أريك إياه دون موسيقى ولا أضواء.

ـ حسنًا..

ـ السؤال هو، هل أرتدي قميصي، أو أخرج نصف عار لأمنح لورا لويز إثارة لم تحصل عليها في حياتها؟

* * *

امتلأ ثديا روزماري بالحليب، وكان عليها التخلص منه. لذا أراها دكتور سابيرشتاين كيف تستخدم مضخة من المطاط متصلة بزجاجة. وكانت تستخدمها عدة مرَّات في اليوم. كانت تأتي لورا لويز أو أيًّا من النسوة بالمضخة وكوب قياس؛ كي تستطيع روزماري التخلص من الكمية الدقيقة من الحليب.

كان السائل المخضر الباهت يسيل منها ويفوح برائحة جذور التانيس، وكانت تلك العملية كريهة للغاية في غياب طفل يشرب هذا الحليب. كانت إحدى النساء تأخذ الحليب وتترك روزماري مستلقية على الفراش، محطمة الفؤاد، على شفا البكاء.

جاءت صديقاتها لزيارتها، وتدفقت الهدايا والأزهار من الجميع، حتى أن جاي اشترى لها تلفازا بجهازٍ للتحكم عن بعد، وكانت تشاهده وهي نائمة، أو تأكل، أو تجرع أقراص أدويتها.

ووصلها خطاب من ميني ورومان يشاركانها فيه التعازي والحزن.

* * *

بعد أسبوعين أو ثلاثة، ظنت روزماري أنها قد سمعت صوت بكاء طفل. أغلقت روزماري التلفاز وأنصتت. بالفعل كان هناك صوت خفيض أو أنه مجرد خيال؟ قامت من فراشها وأغلقت مكيف الهواء.

دخلت فلورنس جيلمور ومعها المضخة والكوب المعياري. سألتها روزماري:

ـ أتسمعين صوت بكاء طفل؟

أنصتت المرأتان، وسمعتا صوت البكاء. قالت فلورنس:

ـ لا أسمع شيئا، عودي إلى فراشك يا عزيزتي، أنت تعلمين أن الراحة مطلوبة. لماذا أغلقتِ جهاز التكييف؟ لا تفعلي ذلك مجددا، فاليوم حار للغاية والناس تموت حرفيا من الحر.

سمعت روزماري صوت البكاء عصرا، وبدأ صدرها في إفراز الحليب من تلقاء نفسه. أخبرها جاي في المساء ـ بلا مقدمات ـ أن

سكانا جددا قد سكنوا في الطابق الثامن.

ـ وهل لديهم أطفال؟

ـ أجل، وكيف عرفتِ؟

نظرت روزماري له وهلة ثم قالت:

ـ سمعت طفلا يبكي.

سمعت روزماري الصوت ذاته في اليوم التالي، واليوم الذي يليه. توقفت عن مشاهدة التلفاز، وأمسكت كتابا متظاهرة بأنها تقرأ، لكنها كانت حجّة كي تنصت.

لم يكن الصوت آتيًا من الطابق الثامن، بل كان هنا، في السابع.

كانت المضخة والكوب يصلانها بعد دقائق من سماعها لصوت البكاء، بينما يتوقف البكاء نفسه بعد رحيل حاملة الحليب بدقائق.

سألت روزماري لورا لويز وهي تعيد إليها المضخة والكوب:

ـ ماذا تفعلون بهذا الحليب؟

ـ نتخلص منه، لم تسألين؟

في المساء، عندما أعطت لورا لويز كوب الحليب، قالت:

ـ انتظري لحظة..

وكادت روزماري أن تضع ملعقة كانت تقلب بها قهوتها في الكوب. أبعدت لورا لويز الكوب فزعة، وهتفت:

ـ لا تفعلي ذلك!

أمسكت لورا لويز بالملعقة بأصبع يدها التي تحمل المضخة. سألتها روزماري:

- وما الخطأ في ذلك؟

- تصرف مقرف، هذا كل ما في الأمر..

الفصل الثاني

الطفل حي!

الطفل في شقة رومان وميني، يشرب حليب صدرها. سألت روزماري الله أن يرعاه، ففي الأول من أغسطس أحد أعياد السحرة، كما قرأت في كتاب هاتش؛ يوم ليماس أو لاماس الذي يقيمون فيه طقوسًا مجنونة أو ربما هم فقط ينتظرون عودة ميني ورومان للمشاركة.

لكنه حي.

توقفت روزماري عن تعاطي الأقراص التي كانوا يعطونها، كانت تضع القرص بين أصابعها وتتظاهر بأنها ابتلعته، ثم تدس القرص لاحقًا في أبعد مكان بين الحشية وصندوق اليايات من تحتها.

وشعرت بأنها أقوى وأكثر وعيا.

(تماسك يا آندي، ماما قادمة!)

تعلمت درسها جيدًا من دكتور هيل، فلن تلجأ لأحد مرَّة أخرى. ولن تتوقع أن يصدقها أحد وينقذها أحد.

حتى أنها لن تلجأ للشرطة ولا لإحدى صديقاتها القدامى، فجاي ممثل ممتاز، ودكتور سابيرشتاين طبيب شهير. وبين الرجلين لن يجد أحد مناصًا من تصديق أنها تعاني اكتئابًا بسبب فقد طفلها، أو أي مرض نفسي آخر يذكره سابيرشتاين. هذه المرَّة ستذهب بأطول سكين مطبخ لديها وتنقذ طفلها بنفسها، حتى لو اضطرت لقتلهم جميعا.

كانت تتفوق عليهم بخطوة، فقد كانت تعرف ـ ولم يعرفوا هم أنها تعرف ـ أن ثمة بابا يقود إلى شقة رومان وميني. فكيف دخلوا إذًا بعد أن أغلقت باب الشقة بالسلسة؟

كان الباب الذي تبحث عنه هو باب خزانة المفروشات، والذي قد أغلقته السيدة جاردينيا من قبل بقطعة الأثاث الضخمة. على الأغلب قد ماتت بسحرهم كما مات هاتش.

لو أن السيدة جاردينا عضوٌ في تلك الطائفة، فمن المنطقي أن تفتح بابًا سريًّا بين الشقتين لسهولة التنقل والابتعاد عن شكوك الجيران. ألم تقل تيري لها أن المرأة كانت تمد ميني بالأعشاب؟

لابد أنها انقلبت عليهم لسبب ما، مما دفعهم لقتلها.

في حلمها الكابوسي، رأت نفسها تُسحب من خلال تلك الخزانة. لم يكن ما حدث حلما، بل إنهم حملوها لشقة ميني عبر الخزانة بالفعل. ذكرى كتلك كانت عونا إلهيا لها؛ كي تجد طريقها في محنتها.

(إلهي في السماوات، اغفر لي شكي، غفر لي فراري منك. أنت الرحيم، ساعدني، ساعدني في وقت شدتي. يسوع، ساعدني أن أجد ابني).

* * *

أدخلت روزماري ذراعها تحت حشية الفراش، وأخرجت الأقراص المهدئة التي كانت تخبئها. ثمانية أقراص. أيا كان محتواها، فقد كانت ثلاثة أقراص يوميًا منها تُبقيها نصف واعية. تُرى ماذا تفعل جرعة من ثمانية أقراص؟

لفت الأقراص في قطعة من صفحة مجلة، ووضعتهم تحت علبة المناديل جوارها.

تظاهرت روزماري بأنها نصف واعية كالعادة، وأكلت وجباتها، وضخت حليبها، وقرأت مجلاتها.

عندما حان الوقت، كانت ليا فونتين هي التي تجالسها بعد رحيل هيلين ويز بكوب الحليب والمضخة.

ـ مرحبًا روزماري! لقد حظيت الفتيات بشرف صحبتك طيلة الوقت، وحان دوري كي أسعد برفقتك. ماذا سيذيعون في التلفاز الليلة؟

لم يكن أحد غيرهما في الشقة، فقد أخبرها جاي أنه ذاهب لملاقاه آلان؛ كي يشرح له بعض شروط التعاقدات الجديدة.

شاهدتا فيلما سويًا لفريد استير وجينجير روجرز، وخلال فاصل إعلاني، ذهبت ليا إلى المطبخ وعادت بكوبين من القهوة. قالت لها روزماري:

ـ أنا جائعة، هلا صنعتِ لي شطيرة جبن من فضلك؟

وضعت ليا كوبي القهوة، وقالت:

ـ بالتأكيد يا عزيزتي، هل تحبين الشطيرة بالمايونيز والخس؟

خرجت ليا مرَّة أخرى إلى المطبخ، فأخرجت روزماري الأقراص التي كانت قد وصل عددها إلى أحد عشر قرصا هذا المساء. وضعتهم كلهم في كوب ليا وقلبتهم جيدا بملعقتها، ثم مسحت الملعقة جيدا بمنديل. حاولت حمل كوب قهوتها لكنها كانت متوترة للغاية، راح الكوب يهتز حتى أنها تركته مكانه.

عادت ليا بالشطيرة، فقالت لها روزماري:

ـ شكرًا لك. القهوة مُرَّة قليلا، ربما كانت قديمة نوعًا.

ـ هل أطحنُ لك حبوب قهوة جديدة؟

ـ لا، لا ليست بهذا السوء.

جلست ليا جوار الفراش، وأمسكت بكوبها وتذوقته، فكورت أنفها وهزت رأسها موافقة بشأن طعم القهوة المُر. قالت روزماري وهي تأخذ كوبها الخاص:

ـ مُرة لكنها قابلة للشرب.

أكملتا مشاهدة الفيلم، وفي منتصف الفاصل التالي، مال رأس ليا على صدرها.

وضعت روزماري الكوب من يد ليا على المنضدة، وأكملت شطيرتها وهي تشاهد الاستعراض على الشاشة. بعد قليل، غطت ليا في نوم عميق وتعالى شخيرها. نادتها روزماري:

ـ ليا؟

أكملت المرأة الشخير بصوت أعلى، ومالت جُمتها حتى ظهر شعرها الأبيض من تحتها.

قامت روزماري من الفراش، وارتدت خفيها، ومعطفها المنزلي الجديد الذي اشترته من أجل إقامتها في المستشفى. خرجت روزماري وأغلقت باب حجرة النوم، ثم اتجهت إلى باب الشقة فأغلقته بالمزلاج والسلسلة.

عادت روزماري إلى المطبخ وانتقت أطول سكين لديها، وكانت جديدة وحادة بمقبض من العظم والنحاس. أمسكتها موجهة نصلها للأسفل واتجهت إلى خزانة المفروشات.

بمجرد أن فتحت بابها عرفت أنها كانت محقة، فكانت محتوياتها في غير مكانها بالرغم من محاولتهم إبقاء كل شيء كما كان تقريبًا، إلا إن الشراشف كانت مكان الملائات، والعكس.

وضعت روزماري سكينها جوار الحائط، ثم أخرجت كل محتويات الخزانة، ورفعت الأرفف من مكانها. تحققت روزماري من ضهر الخزانة الداخلي، ووجدت الطلاء مشققا عند التقاء الظهر بزوايا الجانب. ضغطت روزماري بكفها فتحرك الظهر الخشبي، مُظهرا من خلفه باطن خزانة أخرى يتسرب من فتحة مفتاحها خيط من الضوء.

خطت روزماري إلى الخزانة الثانية، ونظرت خلال ثقب المفتاح لترى داخل شقة رومان وميني، ولم تر أحدا. دفعت الباب فانفتح. تراجعت روزماري إلى داخل خزانتها لتأخذ سكينها ثم عادت إلى خزانة ميني وفتحت بابها قليلا.

كان الرواق خاليًا، لكن كانت ثمة أصوات من جهة حجرة المعيشة. جالت بنظرها داخل الحمام المفتوح، وحجرة رومان وميني لكن لم يكن ثمة مهد أو رضيع فيهما.

سارت روزماري في الرواق ببطء، عن يمينها باب مغلق بالقفل، ثم باب خزانة مفروشات أخرى.

فوق خزانة صغيرة، رأت لوحة زيتية لكنيسة تحترق، كنيسة سانت باتريك تحديدًا، وكان من قبل يحتل مساحة اللوحة فراغٌ يتوسطه مسمار تعليق.

متى رأت مشهدا كهذا؟ كنيسة تحترق..

في حلمها الذي حملوها فيه عبر خزانة المفروشات..جاي وشخص آخر حملاها إلى قاعة الرقص أسفل اليخت. لكن كيف؟ هل حملوها بالفعل عبر الخزانة ورأت اللوحة فأدخلتها في حلمها؟

لكن، عليها أن تجد آندي.

أشهرت السكين، وتبعت انعطاف الرواق يسارا ثم يمينا. كل الأبواب الأخرى كانت موصدة. ورأت لوحة أخرى تمثل رجالا ونساء عراة يرقصون في دائرة.

أمامها لمحت باب الشقة، وكان المدخل على اليمين هو مدخل حجرة المعيشة. كانت الأصوات عالية، وسمعت السيد فونتين يقول:

-إلا لو كان في انتظار خطة ما!

تعالت الضحكات والهمهمات.

في حلمها، رأت جاكلين كينيدي تحدثها برفق، ثم رأتهم جميعا عراة يرقصون في دائرة. أكان كل هذا حقيقيا؟ أكان يرتدي رومان رداءً أسود ويرسم خطوطا مستخدما سائلا ما يحمله له دكتور سابيرشتاين؟ طلاء أحمر؟ دم؟

سمعت صوت ميني تقول:

ـ والآن، هل تسخر منِّي؟ أكلُّ ما فعلته هو لسحب قدمي إلى الموضوع؟

ميني؟ هل عادت من أوروبا؟ هل عاد رومان أيضا؟ لكنهما قد أرسلا لها بطاقة من دوبروفنيك! هل غادرا نيويورك من الأساس؟!

كانت تقف عند مدخل حجرة المعيشة، وتستطيع أن ترى من مخبئها أرفف الكتب والمدفأة، وتسمع أعضاء الطائفة يتحدثون مع خلفية من أصوات مكعبات ثلج تتأرجح داخل الكؤوس.

أحكمت روزماري قبضتها على مقبض السكين وتقدمت خطوات للأمام، ثم توقفت تحدق فيما أمام النافذة الكبيرة. كان ثمة عربة أطفال صغيرة سوداء، محاطة بقماش أسود حول حافتها، ومظللة بـ «الأورجانزا» السوداء. فوق غطائها العلوي تتدلى أداة فضية ملفوفة بشريط حريري أسود.

هل مات؟

تحرّك قماش الأورجانزا، وتلألأت الأداة الفضية لثوان. الطفل في العربة الشيطانية السوداء!

كانت الأداة الفضية عبارة عن صليب مقلوب، ويلتف الشريط الحريري على عقبي يسوع.

كانت فكرة أن ابنها قابع في العربة المشؤومة وحيدا، تدفع روزماري للانهيار والبكاء، تدفعها للاستسلام أمام هذا الشر الخالص.

أغلقت روزماري عينيها بقوة؛ كي تمنع دموعها، وهمست بصلاة للعذراء مريم، ثم استجمعت كل حنقها وغضبها على رومان وميني

وجاي ودكتور سابيرشتاين وكل هؤلاء المشعوذين الذين تآمروا لخطف آندي من أجل أغراضهم المجنونة. مسحت العرق عن كفيها في ردائها، وأحكمت قبضتها على السكين، ثم خطت أمامًا ليراها الجميع ويعلموا بوجودها.

لوهلة، استمروا في الشرب والحديث وكأنها مجرد شبح، أو أنها تحلم.

كانت تراهم جميعا - بما فيهم جاي - وعددا من الأشخاص الذين لم ترهم من قبل، مجتمعين تحت صورة عملاقة لأدريان مَركاتو. وكان هو فقط من رآها، مهيبًا، محدقا. أدريان مَركاتو.

ثم رآها رومان، فوضع كأسه وأمسك بكف زوجته. ساد الصمت، وأولئك من كانوا يُولونها ظهورهم التفتوا إلى حيث حدق الجميع. حاول جاي القيام، لكنه هوى جالسًا مرَّة أخرى. وضعت لورا لويز كفها على فمها وراحت تولول. قالت هيلين ويز:

- عودي إلى فراشك يا روزماري، أنت تحتاجين إلى الراحة.

لم تعرف روزماري إن كانت المرأة غاضبة أم تحاول التلاعب بحالتها النفسية والعقلية. سأل شخص ياباني:

- هي الأم؟

أومأ رومان، فنظر الياباني مرَّة أخرى إلى روزماري في اهتمام أكبر. حدقت روزماري في وجوههم، واحمرَّ وجه جاي خجلا.

رفعت روزماري سكينها عاليًا، وصاحت:

- أنا قتلتها، طعنتها حتى ماتت، ثم نظفت سكيني وأنتظر أي شخص يقترب منِّي؛ كي أمزقه بها. أخبرهم يا جاي عن حدة السكين، ألم تكن أنت من اشتراها؟

لم ينبس جاي ببنت شفة. جلس السيد فونتين واضعًا كفه على قلبه، وأكملت لورا لويز ولولتها.

سارت روزماري نحو عربة الأطفال في منتصف الحجرة. هتف رومان:

ـ روزماري!

ـ اخرس!

ـ قبل أن تنظري داخل الـ..

ـ قلتُ اخرس..أنت في دوبروفنيك ولن أسمعك.

قالت ميني:

ـ دعها.

ظلت تراقبهم حتى وصلت إلى العربة. بيدها الحرة، أزالت الغطاء ولفّت العربة نحوها. أنَّتِ العجلات الصغيرة وهفهفت طبقات القماش من فوقها.

كان نائمًا، بوجه وردي صغير. كان آندي ملفوفا بغطاء أسود، يرتدي قفازي أطفال من القطيفة السوداء. وكان شعره كثيفا للغاية، بلون أحمر مائل للبرتقالي، وبشرته نظيفة براقة نضرة.

(آندي.. آندي الحبيب!).

مدت يدها إليه، وأبعدت يدها الأخرى التي تحمل السكين إلى ما خلف ظهرها. ضم الطفل شفتيه وفتح عينيه.

كانت عيناه صفراوان ذهبيتان، بلا بياض أو قزحية. عينان صفراوان بالكامل، يتوسطهما شقان طوليان أسودان.

نظرت روزماري إليه، ونظر إليها ثم إلى الصليب المعلق المتدلي.

استدارت للجمع ورفعت سكينها صارخة:

ـ ماذا فعلتم بعينيه؟!

نظر الجميع إلى رومان فقال:

ـ إنهما عينا أبيه.

حدقت روزماري فيه، ثم إلى جاي الذي كان يضع كفيه على وجهه، ثم عادت تنظر إلى رومان متسائلة:

ـ عمَ تتحدث؟ عينا جاي بنيتان، عيناه عاديتان! ماذا فعلتم بالطفل أيها المخابيل!

ابتعدت روزماري عن العربة، منتوية قتلهم. صاح رومان:

ـ الشيطان هو أبوه. هو من صعد من دركات الجحيم؛ كي يتخذ طفلا من امرأة فانية، وينتصر لعبدته المخلصين.

صاح السيد ويز:

ـ ليتمجد الشيطان!

ارتفع صوت رومان أكثر، وهو يصيح:

ـ والشيطان هو أبوه، واسمه هو آدريان! سيقلب موازين القوة، ويسحق معابد إلهكم. سيُخلِّص المهانين، وسيشفي غليل المعذبين والمحترقين!

ردَّدوا:

ـ ليتمجد الشيطان.. ليتمجد آدريان.

هزت روزماري رأسها في هيستريا، وهي تصيح:

ـ لا!

قالت ميني:

ـ لقد اختارك أنت من بين نساء العالمين. اختارك أنت وجلبك إلى هنا أنت وزوجك. لقد اخترنا تيري الحمقاء من قبلك، لكنها حطمت كل خططنا بخوفها ورعونتها. رتب هو كل شيء واختارك؛ لأنه يريدك أنت تحديدًا أن تكوني أمًا لابنه الذي سيحيا على ظهر الأرض.

قال رومان:

ـ قوَّته أكبر من أي قوة.

ـ قدرته أبقى من أي قدرة.

ـ ليتمجد الشيطان!

أنزلت لورا لويز يدها عن فمها، ونظر جاي لروزماري من فوق كفيه. تدلى السكين من يد روزماري جوارها، وقالت:

ـ لا..لا...لا يمكن أن يكون هذا حقيقيًّا!

قالت ميني:

ـ انظري إلى كفيه، انظري إلى قدميه..

صاحت لورا لويز:

ـ وذيله.

صاحت روزماري:

ـ رباه!

- الرب قد مات!

عادت روزماري إلى العربة، وأسقطت السكين، ثم أولت ظهرها نحو الطائفة المجتمعة.

- إلهي!

غطت روزماري ووجهها وظلت تصرخ..

- إلهي..إلهي..إلهي!!

هدر صوت رومان:

- مات إلهك..لقد مات الرب! مات الرب وعاش الشيطان! إننا في العام الأول لسيدنا.. العام الأول لموت الرب، العام الأول لسيادة آدريان!

- ليتمجد الشيطان، ليتمجد آدريان!

تراجعت روزماري خلفًا، حتى توقفت بين منضدتين، وتهاوت على الكرسي من خلفها.

هرع السيد فونتين نحو الرواق، وتبعه جاي والسيد ويز. انحنت ميني وأمسكت بالسكين الساقط أرضًا، وأودعته المطبخ.

راحت لورا لويز تهز العربة وتداعب الطفل. أنّت العجلات وهفهف الغطاء.

ظلت روزماري تردد «لا»، وهي بعد منهارة في مكانها.

الحلم، الحلم.. كان حقيقة، والعينان الصفراوان لمن كان يغتصبها حقيقة!

ـ إلهي..إلهي..

جلس رومان مرَّة أخرى وقال لروزماري:

ـ الرجل ذهب ليرى زوجته التي قتلتِها. عامةً لم يكن يميل إليها كثيرا، ولم يكن أحد يحبها. لمَ لا تساعدينا يا روزماري وتكوني أما حقيقية لآدريان؟ افعلي هذا ولن نخبر أحدا بشأن قتلك للمرأة. ليس عليكِ أن تنضمي لطائفتنا إن كنت لا تريدين ذلك، فقط كوني أمًّا لطفلك.. ميني ولورا لويز مستتين للغاية.

نظرت روزماري إليه.

قام رومان واقفا، وأضاف:

ـ فكري في الأمر.

ـ أنا لم أقتلها..

ـ حقًا؟

ـ خدرتها، هي نائمة الآن..

ـ حقًا؟

رن جرس الباب، فذهب إليه، مضيفًا:

ـ فكري في الأمرعلى أي حال.

ـ إلهي..

صاحت لورا لويز وهي تهز العربة:

ـ كفاك ذكرا لإلهك هنا وإلا قتلناك.

نهرتها هيلين ويز وهي تقترب من روزماري وتعطيها منشفة مبللة:

- كفاكِ أنت وتأدبي معها. هي أمه بالرغم من كل شيء، تذكري هذا.

همست لورا لويز بشيء من بين أسنانها وصمتت. مسحت روزماري وجهها بالمنشفة المبللة الباردة.

كان الياباني يجلس في مقابلتها، فأخرج كاميرا ووضع فيها فيلما، ثم ضبطها كي يأخذ صورا للعربة ومن فيها.

وبكت روزماري.

عاد رومان متأبطًا ذراع رجل قوي، وسيم، أسمر يرتدي بذلة سوداء وحذاء أبيض. كان الرجل يحمل صندوقا كبيرًا ملفوفا في ورق تغليف أزرق، منقوشا برسومات لدببة وحلواء، ومن الصندوق انبعث صوت موسيقى.

تجمع القوم حوله وحيوه، وسمعت روزماري منهم كلمات متناثرة: قلقٌ، سعادة، مطار، ستافروبولوس، إجازة.

جلبت لورا لويز الصندوق إلى حيث العربة، وحملته حتى يستطيع الطفل أن يراه، وهزته حتى يسمع صوت ما بداخله. ثم وضعته جانبًا مع باقي الهدايا عند النافذة، وكان بعضها ملفوفا في ورق أسود ومزينا بشرائط سوداء.

قال رومان:

- في منتصف ليلة الخامس والعشرين من يونيو بالضبط. بفارق نصف عام بالضبط من مولد الثاني.. إياه. أليس هذا رائعًا؟

سأل القادم الجديد:

ـ لكن لم تفاجأتم؟ ألم يتنبأ إيدموند لوتريمو[1] بيوم الخامس والعشرين من يونيو لولادته منذ ثلاثمائة عام؟

ـ بالفعل، لكنه أمر غريب أن تثبت صحة إحدى نبوئاته الشعرية. تعال يا صديقي لتراه، تعال لترى الطفل.

ذهبا إلى العربة حيث وقفت لورا لويز جوارها بابتسامة بائع مرحب. نظر الجميع إلى الطفل في صمت، ثم خر الضيف على ركبتيه أمام العربة.

دخل جاي والسيد ويز وانتظرا حتى قام الضيف، ثم تقدم جاي من روزماري وقال:

ـ ستكون المرأة بخير. آيب معها. لقد وعدوني أنهم لن يؤذوكِ.. أعني.. افترضي أن الطفل قد مات بعد ولادته، ما الفارق الآن؟ لنعد إلى حياتنا يا رو، لقد حصلنا على الكثير في المقابل.

وضعت المنشفة على المنضدة وحدقت فيه، ثم بصقت في وجهه.

احمَرَّ وجهه وابتعد وهو يمسح وجهه في سترته. جاء رومان إليه وقدمه إلى الضيف الجديد، آرجيرون ستافروبولوس. قال الأخير مُربتًا على كتف جاي:

ـ عليك أن تكون فخورًا، لكن كيف لهذه المرأة أن تكون أمه؟ وإلا فلماذا...

أمسك رومان ذراعه، وهمس في أذنه.

---

(١) شاعر فرنسي، اسمه الحقيقي أيزدور لوسيان دوكاسي، عرف بكتاباته الخيالية والسيرالية.

أحضرت ميني لروزماري فنجانًا من الشاي، وقالت:

- اشربي هذا وستشعرين بتحسن.

- ماذا وضعتِ فيه؟ جذور التانيس؟

- لم أضع فيه شيئا سوى السكر والليمون. شاي ليبتون عادي. اشربي.

ووضعت ميني الشاي إلى جوار المنشفة علَى الطاولة.

* * *

رأت روزماري أن أفضل شيء تفعله هو قتل الطفل. ستنتظر حتى يهدأ الجميع ويجلسون، ثم تدفع لورا لويز بعيدا عن العربة، وتحمل الطفل وترمي به خارج النافذة.

(امرأة تقتل طفلا وتنتحر في برامفورد)

لتنقذ العالم مما لا يعلمه سوى الله، مما لا يعلمه سوى الشيطان.

تذكرت ذيله، وبراعم قرنيه، وأرادت أن تصرخ، أن تموت.

ستفعلها وتقفز من النافذة خلفه.

كان الجميع باسمين من حولها، مجرد حفل صغير مرح. لا يزال الياباني يصور الجميع بما فيهم جاي وستافروبولوس، ولورا لويز وهي تحمل الطفل.

أشاحت بوجهها بعيدا، فطاردتها عيناه الصفراوان، عينا حيوان ضارٍ. هو لم يكن بشريا على كل حال، كان كائنًا هجينًا، مَسخًا.

ولكم كان جميلا قبل أن يفتح عينيه! جميلا، وردي اللون، يشبه أخاها برايان. فقط لو لم يفتح عينيه الحيوانيتين الصفراوين!

تذوقت الشاي، وكان شايًا عاديًا بالفعل.

لن تستطيع إلقاءه من النافذة، فهو ابنها أيا من كان أبوه. كل ما عليها فعله هو اللجوء لشخص يتفهم هذا الوضع، كاهن مثلا أو قس. كان هذا هو الحل الوحيد، ولا يسع أحد التدخل سوى الكنيسة أو البابا شخصيًا. لن تستطيع روزماري ريلي من أوماها أن تفعل شيئا.

مهما كانت ماهية القتيل، فالقتل جريمة. وشربت المزيد من الشاي.

كانت لورا لويز متحمسة، فراحت تهز العربة بشكل مبالغ فيه، فتململ الطفل وبدأ في البكاء. قامت روزماري متحاملة على نفسها وتوجهت إليه، فصاحت فيها لورا لويز:

ـ ابتعدي من هنا، لا تقتربي منه.. رومان!

ـ أنتِ تهزيه بعنف!

ـ اجلسي! رومان، أخرِجها من هنا، أعدها إلى بيتها.

ـ إنها تهزه بعنف والطفل يبكي!

ـ لا تدسي أنفك فيما لا يخصك.

قال رومان:

ـ دعي روزماي تهزه هي..

حدقت لورا لويز فيه وهو يقترب ويقف خلف العربة، قائلا:

ـ اجلسي مع النساء يا لورا لويز ودعي أمه تؤرجحه.

ـ كيف تثق....

ـ اجلسي مع النساء يا لورا لويز!

تذمرت وابتعدت.. قال رومان لروزماري باسمًا وهو يقرب العربة منها:

ـ أرجحيه..

تسمرت روزماري مكانها، وقالت:

ـ أنت تحاول إرغامي على أن أكون أمه.

ـ ألستِ أمه؟ أرجحيه حتى يتوقف عن البكاء.

أمسكت روزماري مقبض العربة، ولدقائق تأرجحت العربة بينهما، ثم تركها رومان لها بالكامل.

لمحت روزماري الطفل، وكان ينظر إليها بعينيه الصفراوين، فأحالت عينيها إلى النافذة.

ـ يجب عليكم إصلاح العجلات، صوتها يزعجه.

ـ سأفعل، انظري كيف هدأ؟ هو يعرف من تكونين.

ـ لا تكن أحمق.

نظرت روزماري للطفل مجددًا، وكان ينظر لها. لم تكن عيناه بهذا السوء بعد أن اعتادت عليهما. كانت المفاجأة هي ما أزعجتها، وقد رأت فيهما الآن جمالا من نوع خاص.

سألت روزماري:

ـ ما شكل كفيه؟

ـ جميلتان، لديه مخالب صغيرة مثل اللؤلؤ. هو يرتدي تلك القفازات؛ كي لا يخدش نفسه لا بسبب سوء شكل كفيه.

ـ يبدو مضطربًا.

جاء دكتور سابيرشتاين أخيرًا وهتف وهو ينظر إليها:

ـ ليلة المفاجآت!

صاحت روزماري:

ـ ابتعد عني وإلا بصقت في وجهك!

ـ ابتعد يا آيب..

قالها رومان في هدوء، فابتعد الطبيب. قالت روزماري للطفل:

ـ لست غاضبة منك، أنا غاضبة منهم جميعًا؛ لأنهم خدعوني وكذبوا عليَّ.. لا تخف، أنا لن أؤذيك.

ـ هو يعرف ذلك.

ـ إذا لم يبدو بهذا القلق؟ الصغير البائس، انظر إليه يا رومان.

ـ امنحيني دقيقة، عليَّ أن أجالس ضيوفي، سأعود فورًا.

رحل رومان، فمالت على الطفل، وهمست:

ـ لن أؤذيك..

فكت روزماري رداءه، وأردفت:

ـ سأريحك أكثر، لورا لويز أحكمت ملابسك حول جسدك. لديك ذقن لطيف! هل تعرف تلك الحقيقة. عيناك غريبتان لكن ذقنك لطيف!

كيف لطفل مسكين كهذا أن يكون كائنا شريرًا؟ لو أنه نصف شيطان، فهو نصف من روحها، نصف بشري. لو أنها حاولت أن تملأ قلبه بالإنسانية والمحبة فربما..

ـ لديك غرفة في بيتي، هل تعرف ذلك؟ مزدانة بورق الحائط الأبيض والأصفر، ولديك مهد أصفر جميل، ولا يوجد أي شيء أسود في حجرتك، ولا نقطة واحدة سوداء. سأريك إياها وقت رضعتك التالية. لو كان هذا يثير فضولك، فأنا السيدة التي تشرب حليبها منذ وُلدتَ. الآن ستعرف أن الحليب يقدم في أمهات لا في أكواب! هلا أبديت أي حماس أيها الشاب بدلا من هذا الوجه القلق المتجهم؟!

الصمت هو ما جعلها ترفع عينيها عنه. كان الجميع حولها واقفين على مسافة تراعي الاحترام والتقديس الذي يحملونه لهما.

احمرَّ وجهها، وبدأت في تغطية الطفل وهي تقول:

ـ دعهم يشاهدون، نحن لا نهتم بهم، أليس كذلك؟ كل ما نريد هو أن نكون مرتاحين ودافئين هكذا.. أتشعر بالراحة؟

صاحت هيلين ويز:

ـ فلتتمجد روزماري!

صاح الآخرون:

ـ فلتتمجد روزماري!

رددها ميني وستافروبلوس. رددها جاي، وحركت لورا لويز شفتيها بها دون صوت. هتف رومان:

ـ المجد لروزماري، أم آدريان!

نظرت روزماري نحوهم، وقالت:

ـ اسمه أندرو، أندرو جون وودهاوس..

ـ آدريان ستيفن.

قال جاي:

ـ رومان، هل تهم الأسماء إلى هذه الدرجة؟

ـ أجل، واسمه آدريان ستيفن.

قالت روزماري:

ـ أتفهَّم سبب اختيارك لهذا الاسم، لكن اسمه هو أندرو جون، وهو ابني وليس ابنك، ولن نتناقش في هذا الأمر مجددًا. ولن يرتدي الأسود طيلة الوقت!

فتح رومان فمه ليقول شيئا، لكن ميني قاطعته هاتفة:

ـ ليتمجد أندرو..

ردد الجميع:

ـ ليتمجد أندرو.. لتتمجد روزماري أم أندور.. وليتمجد الشيطان.

داعبت روزماري بطن الطفل باسمة، وقالت:

ـ أرأيت؟ لم يكن اسم آدريان يعجبك، أليس كذلك؟ لقد غيرنا اسمك فماذا يقلقك الآن؟! ألا تضحك حتى؟ آندي.. هيا يا ذا العينين العجيبتين، ابتسم لي، ابتسامة صغير واحدة؟

وركع الياباني على ركبتيه وراح يصورهما في جنون..

الأم، والابن..

طفل روزماري

بالرغم من تاريخ مبنى برامفورد الأسود المليء بالسحرة والسفاحين وحوادث الانتحار المُريبة، تُقرّر روزماري وزوجها الممثل المغمور جاي وودهاوس الانتقال للعيش في شقة فاخرة فيه. تتوق روزماري لإنجاب الأطفال رغم معارضة زوجها، لكن كل شيء ينقلب بعد دخول الجيران الغامضين الفضوليين إلى حياتهما. وتكتشف روزماري المؤامرة التي تُنسج حولها، وحول جنينها الذي لم يولد بعد.

المؤلف

آيرا لَفين، روائي وكاتب سيناريو أمريكي، وُلد عام 1929 وتُوفي عام 2007. من أهم أعماله: "قبلة قبل النوم" عام 1953، "طفل روزماري" عام 1967، و"زوجات ستيبفورد" عام 1972. وأغلب أعماله قد تم تحويلها إلى أعمال سينمائية ومسرحية.

المترجمة

شيرين هنائي، كاتبة روائية ومخرجة رسوم متحركة وكاتبة سيناريو مصرية، ومحاضرة معتمدة من الأكاديمية العالمية للفنون والإعلام والإبداع بالولايات المتحدة في مجال ورش التدريب على الكتابة الإبداعية والروائية. صدرت لها روايتان مصورتان للكبار "كوميكس"؛ هما "عجين القمر" و"الموت يومًا آخر". وفي مجال الروايات الطويلة، صدرت لها روايات "نيكروفيليا" 2011، "صندوق الدمى" 2012، "طغراء" 2014، "ذئاب يلوستون" 2015، "أسفار النهايات" 2017، "ملاعيب الظل" 2019.

للنشر والتوزيع

تصميم الغلاف كريم آدم